البُنيّات النموذجيّات



الكونتيسه دي سيغور

ترجمة : إلياس حدّاد

البنيّات
النموذجيّات

تأليف : الكونتيسه دي سيغور
ترجمة : إلياس حدّاد



البنيات النموذجيات
ترجمة : الياس حداد
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٩

الناشر : وزارة الثقافة والاعلام . دار ثقافة الاطفال
العراق . بغداد ص . ب ٨٠٤١

سلسلة مكتبتنا

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف

البُنيّات النموذجيّات

مقدّمة

بنيّاتي النموذجيات لسن ابتكاراً ، انّما هنّ مخلوقــات حقيقيات : انهنّ صور شخصيّة . والبرهان على ذلك موجود في نقائصهن ذاتها . ففيهنّ عيوب هي ظلال رقيقة تبرز سحر الصورة وتشهد على وجود النموذج . فكميلة ومادلين هما حقيقة يمكن أن يتثبت منها أي شخص يعرف المؤلفة .

الكونتيسة دي سيغور



كميلة ومادلين

السيّدة (دي فلورفيـل) كانت أمًّـا لابنتين صغـيرتين ، طيّبتـين ، لطيفتين ، ومحبوبتين ، وكلّ واحدة متعلّقة بالأخرى تعلّقاً رقيقاً جدّاً . فغالباً ما نجد أشقّـاء وشقيقات يتشـاجرون ثم يتـوجهون الى أهلهم يشتكون ويناقض بعضهم بعضاً بحيث يتعذّر تمييز الجهة التي صدر عنها الخطأ الأول . ولكن لم يسمع أبداً نقاش بين كميلة ومادلين . فمرّة تتنازل هذه لرغبة شقيقتهاومرّة تلك .

مع ذلك لم يكن ذوقاهما متجانسين تماما . فكميلة التي تكبر مادلين بسنة كان عمرها ثماني سنوات . وكانت حركة وأكثر طيشاً ، تفضّل الألعاب الصاخبة على الألعاب الهادئة ، وكانت تحبّ الـركض واثارة الضجّة والاستماع الى الصخب . وكانت أكثر ما تتلهى عندمـا يكثر الأولاد حولها فتنكبّ من دون تحفّظ على ألعابها المفضّلة .

أما مادلين فكانت على الضد منها ، تفضّل على كلّ هذا الصخب المرح أن تهتم بدميتها ودمية كميلة . ولولا مادلين لكانت دمية كميلة غالبا ما تبيت ليلتها على كرسيّ ولا تبدّل ثيابها الداخليّة وفستانها الّا مرّة كل ثلاثة أيّام أو أربعة .

ولكنّ اختلاف ذوقيهما لم يكن يمنع اتفاقهما التام . فمادلين تترك كتابها أو دميتها بطيبة خاطر ، ما أن تعبّر أختها عن رغبتها في التنزّه أو الركض . وكميلة ، من جهتها ، كانت تضحّي بالتنزّه وصيد الفراشات ما أن تعرب كميلة عن رغبتها في الانصراف الى لهو أكثر هدوءاً .

كانت هاتان الشقيقتان سعيدتين تماماً ، وكانت أمهّما تحبّهما بحنان ، ويحبّهما أيضاً جميع الأشخاص الذين يعرفونهما ويحاولون إسعادهما .



النزهة والحادث

ذات يوم كانت مادلين تسرّح شعر دميتها . وكانت كميلة تقدّم لها الأمشاط ، وترتّب الفساتين والأحذية ، وتغيّر أمكنة سريري الدميتين ، وتنقل الخزائن ، والأصوفة[1] والكراسي والطاولات . كانت تريد ، بحسب قولها ، ان تنقل الأثاث لأن هاتين السيّدتين (أي الدميتين) غيّرتا البيت .

قالت مادلين :

ـ «أؤكدّ لك ياكميلة ، أن اقامة الدميتين في بيتهما القديم كانت أفضل . وكان مكان أثاثهما أوسع .

أجابت كميلة :

ـ أجل ، هذا صحيح يامادلين . لكنّهما ضجرتا من بيتهما العتيق . وفضلا عن ذلك انّهما ستشعران بدفء أكبر في غرفة صغيرة .

قالت مادلين :

ـ آه ! أما بهذا الخصوص فانهما مخطئتان فعلاً لأنهما ستكونان قرب الباب الذي يسرّب اليهما الهواء . وسيكون سريراهما ملاضقين تماماً للنافذة التي لن تسرّب اليهما كذلك الحرارة .

ردت كميلة :

ـ حسنا ، عندما تقيمان مدة في هذا البيت الجديد سنحاول أن نجد لهما منزلا أكثر ملاءمة . فهل يكدّرك هذا يامادلين ؟

قالت مادلين :

آه ! أبداً ياكميلة . وخاصّة اذا كان ذلك يعجبك .

وعندما انتهت كميلة من نقل أثاث الدميتين وكانت مادلين من جهتها قد انتهت من تصفيف شعرهما والباسهما ثيابهما . اقترحت كميلة البحث عن الخادم للذهاب في نزهة طويلة . وافقت مادلين بكلّ رغبة . ونادتا عندئذٍ (اليزا) . قالت لها كميلة :

«أيتها الخادم ، هل ترغبين في التنزّه معنا ؟

قالت اليزا :

ـ ليس عندي أفضل من هذا ، ياصغيرتي . الى أين سنتوجّه ؟

قالت كميلة :

ـ صوب الطريق العام لمشاهدة مرور العربات . أتوافقين يامادلين ؟

ردت مادلين :

ـ أكيد . واذا صادفنا نساء فقيرات أو أولاداً فقراء سوف نعطيهم نقوداً . سأجلب معي خمسة فلوس .

فردّت كميلة :

ـ أجل ! أنت على حقّ ، يامادلين . وأنا سوف أجلب معي عشرة فلوس .

وهكذا ركضت البنيّتان أمام خادمتهما وهما سعيدتان جدّاً ، فوصلتا الى الحاجز الذي يفصلهما عن الطريق . وبانتظار مرور العربات ، راحتا تتلهيّان بقطف الأزهار لصنع أكاليل لدميتيهما .

ـ ها انّي أسمع صوت عربة ، صرخت مادلين .
ـ أجل . كم هي مسرعة ! سوف نشاهدها عمّا قريب .
ـ لكن انصتي ياكميلة . ألا تسمعين صراخاً ؟
ـ لا ، لا أسمع الأصوت سير العربة .

لم تكن مادلين مخطئة . إذ ما أن انتهت كميلة من الكلام ، حتى سُمع صراخ حادّ بكلّ وضوح ، فتجمدت البنيّتان والخادمة من الخوف في أمكنتهنّ . وما هي الا لحظة حتى أطلّت عربة يجرّها ثلاثة أحصنة بريد تنهب الأرض نهباً ويحاول الحوذيّ عبثاً أن يكبح جِماحها .

وكان في العربة امرأة وطفلة في الرابعة من عمرها تطلقان صراخاً أخاف كميلة ومادلين . وعلى بعد مئة خطوة من الحاجز سقط الحوذيّ عن مقعده فمرّت العربة فوق جسده . وعندما شعرت الجياد أنّها لم تعد ملجومة ولا موجهّة ضاعفت عدوها واندفعت بسرعة نحو حفرة عميقة كانت تفصل بين الطريق والحقل المحروث . وكانت كميلة ومادلين وخادمتهما يقفن أمام الحاجز وقد اصفرت وجوههن من الخوف ! فعندما وصلت العربة الى أمامهنّ سقطت في الحفرة وجرّت بسقوطها الجياد . فصدرت صرخة حادّة ، تلتها أنّة نواح ثم سكت كلّ شيء .

مرت بضع لحظات قبل أن تستفيق الخادمة من الخوف الذي تملّكها لتفكّر في نجدة تلك المرأة التعيسة وطفلتها المسكينة اللتين كان بالامكان أن تكونا قد قتلتا من قوّة السقطة . لم يكن يُسمع أي صراخ . أوَلم يكن الحوذيّ التعيس الذي دهسته العربة هو أيضاً به حاجة الى نجدة ؟

وأخيراً تجرّأت الخادم واقتربت من العربة المتدهورة في الحفرة ، تتبعها كميلة ومادلين وهما ترتجفان من الخوف .

كان أحد الأحصنة قد نفق . وكانت فخذ الثاني مكسورة وهو يبذل جهوداً عقيمة للنهوض . أمّا الحصان الثالث الذي أخافته السقطة ودوخته فكان يلهث ولا يتحرّك .

قالت الخادمة :

«ســأحاول فتــح الباب . لكن لاتقتــربا يــاصغيرتيّ : اذا نهضت الأحصنة تقتلكما .

ثمّ فتحت الباب ، فشاهدت المرأة والطفلة جامــدتين ومضرّجتــين بالدماء .

«آه ! ياآلهي ! المرأة المسكينة والطفلة ميتتان أو انّ جروحهما بليغة» .

كانت كميلة ومادلين تبكيان . أمّا (اليزا) فكانت ماتزال تــأمل أن تكون الأمّ وطفلتها مغمى عليهما فقط . فحاولت أن تخلص الطفلة من ذراعي والدتها التي كانت تمسكها بقوة وتشدّها الى صدرهــا . وبعد جهود عدّة استطاعت الخادمة أن تخلّص الطفلة وتنتشلها وهي شاحبة ومضرجة بالدم .

لم ترغب في تمديدها على الأرض الرطبة فطلبت من الشقيقتين اذا كانتا تملكان القوّة والشجــاعة لحمــل الصغيرة المسكينــة الى المقعد الموجود في الجهة المقابلة للحاجز . فقالت كميلة :

«أجل ، ياخــادمتي . أعطنا إيــاها . نحن نستطيــع ان نحملها » وسنحملها . ياللصغيرة المسكينة . انّها مضرّجة بالدم . لكنّها لم تمت . أنــا متأكــدة ! لا ! لا ! لم تمت . هاتي ، هــاتي ، ايتّها الخــادمــة . ساعديني يامادلين .

ـ لا أستطيع ، ياكميلة ، أجابت مادلين بصوت خافت ومتهدّج . فهذا الدم ، وهذه الأمّ المسكينة الميتة ، وهذه الصغيرة الميتــة أيضا كلهــا مناظر تسحب مني القوّة الضرورية لمساعدتــك . فأنــا لا أستطيع الاّ البكاء .

قالت كميلة :

إذن سأحملها وحدي . ويجب أن تكون لي القدرة على ذلك . وانّ الله تعالى سيساعدني .

قالت هذا ، ودفعت الصغيرة ، أخذتها بين ذراعيها وحاولت ، على الرغم من هذا الحمل الثقيل جدًّا بالنسبة الى قوتّها وعمرها ، أن تتسلّق

الحفرة ، لكنّ رجلها زلّت وكـادت ذراعاهـا تفلتان الحمـل ليقع عـلى الأرض . عندئذ تغلّبت مادلين عـلى خوفهـا وصدودهـا ووثبت لتنجد شقيقتها وتساعدها في حمل الطفلة . وصلتا الى أعلى الحفرة فاجتازتا الطريق وارتمتا منهوكتين على المقعد الذي عيّنته لهما (اليزا) .

مدّدت كميلة البنت الصغيرة على ركبتيها . وجلبت مادلين مياها من القناة . فغسلت كميلة الدم الذي يغمر وجه الطفلة وجفّفته بمنديلها ولم تستطع كبت فرحها عندما وجدت أنّ الصغيرة المسكينة غير مجروحة فصرخت :

«مادلين ، أيتها الخادمة ! تعاليا بسرعة ! البنت الصغـيرة ليست مجروحة . انّها حيّة ! انّها حيّة ! لقد تنهدّت . بلى . انّها تتنفّس وانها تفتح عينيها» .

ركضت مادلين فوجدت الطفلة قد استعادت وعيها وهي تنظر حولها خائفة ، وتقول «أمي ! أمّي ! أريد أن أرى أمي !

أجابتها كميلة وهي تعانقها :

«ستجيء أمّك ، ياصغيرتي الطيّبة . لاتبكي إبقي معي ومع شقيقتي مادلين .

ـ لا ، لا . أريد أن أرى أمّي . هذه الأحصنة الشريرة قد ذهبت بأمي .

ـ الأحصنة الشريرة سقطت في حفرة كبيرة ، ولم تذهب بأمّك . أؤكد لك ذلـك . أنظري . أتـرين ؟ ها هي خـادمتي اليزا . انّهـا تحمل أمـك الغافية» .

كان يمر رجلان على الطريق فساعدا الخادمة وانتشلوا من العربة والدة البنت الصغيرة . لم تكن تبدي أي إشارة تدل على أنّها على قيد الحياة . كانت مصابة في رأسها بجرح عميق . وكان وجهها وعنقهـا وذراعاها كلها مضرّجة بالدماء . ومع ذلك كان قلبهـا يخفق . لم تكن ميتة .

أوفدت الخادمة أحد الرجلين اللذين ساعداها ليبلغ بسرعة السيدة

(دي فلورفيل) لترسل أشخاصاً يحملون الأمّ والطفلة الى القصر، وليرفعوا الحوذيّ الذي كان مازال ممدّداً على الطريق، ويفكوا عن العربة الأحصنة التي كانت ماتزال تتخبّط وترفس العربة .

انطلق الرجل وبعد ربع ساعة وصلت السيدّة (دي فلورفيل) بنفسها مع العديد من الخدم وعربة وضعوا فيها المرأة ، وأسعفوا الحوذيّ ورفعوا العربة المنقلبة في الحفرة .

في غضون هذا الوقت كانت البنت الصغيرة قد تعافت تماماً لم تكن مصابة بأيّ جرح . وكان سبب اغمائها الوحيد هو الخوف وصدمة السقوط .

وخوفاً من أن ترتعب من منظر الدم الذي كان مازال يسيل من جرح أمها ، طلبت كميلة ومادلين من أمّهما أن تعودا بها معهما سيراً على الأقدام . وكانت الصغيرة قد ألفت في ذلك الوقت الشقيقتين اللتين كانتا تغمرانها بألطافهما وكانت تظن أمّها نائمة ، فوافقت بكل سرور أن تقطع المسافة سيراً على الأقدام . وفي الطريق راحت كميلة ومادلين تتحادثان معها .

قالت مادلين :

ـ «ما اسمك ، ياصغيرتي العزيزة ؟

اسمي مرغريت .

ـ وما اسم أمّك ؟

ـ أمّي اسمها أمّي .

ـ ما اسمها ؟ لها اسم أمّك .

ـ أجل . اسمها أمّي .

قالت مادلين ضاحكة :

ـ لكن الخدم لاينادونها «أمّي» ؟

ـ يسمّونها «سيدتي» .

ـ لكن ، «سيدتي» من ؟

ـ لا . لا . ليس سيّدتي من : فقط سيّدتي .
قالت كميلة :
ـ اتركيها ، يامادلين . ترين أنّها صغيرة جداً . فهي لاتعرف ، قولي لي يامرغريت : الى أين كنت ذاهبة مع هذه الأحصنة الشريرة التي أوقعتك في الحفرة ؟
ردت مرغريت :
ـ كنت ذاهبة لأرى خالتي أنا لا أحب خالتي . انّها شريرة وهي توبخ دائماً . أفضّل البقاء مع امّي ... «ثم أضافت وهي تقبّل يد كلّ من كميلة ومادلين : «ومعكما» .
فعانقت كميلة ومادلين مرغريت الصغيرة .
ثم قالت مرغريت متسائلة :
ـ «ماذا تسميّان ؟
قالت كميلة :
أنا أسمىّ كميلة واختي تسمّى مادلين .
قالت مرغريت :
ـ اذن ستكونان أميَّ الصغيرتين .. أمي كميلة وأمي مادلين» .
وفي غضون هذا الحديث كنّ قد وصلن الى القصر . كانت السيّدة (دي فلورفيل) قد عجّلت وارسلت في طلب طبيب وقد مددّت السيدة (دي روسبورغ) على سرير جيد . كان اسمها محفوراً على صندوق وجد في العربة وعلى الحقائب المربوطة في الخلف . كان جرحها قد ضمّد لتوقيف النزف وكان وعيها يعود اليها بالتدرّج . وبعد نصف ساعة طلبت ابنتها فجيء بها اليها . دخلت مرغريت بهدوء لأنه قيل لها ان أمّها مريضة . رافقتها كميلة ومادلين . فقالت وهي تدخل :
أمّي المسكينة . هل يؤلمك رأسك ؟
ـ أجل ، يا ابنتي ، يؤلمني كثيراً .
ـ أريد أن أبقى معك ، يا أمّي .

ـ لا ياصغيرتي . قبليني فقط ، ثم اذهبي مع هاتين البنيّتين الطيبتين . اني ألاحظ من هيئتيهما أنّهما طيبتان جدّاً .

آه ! أجل يا أمي . طيّبتان كثيراً . كميلة أعطتني دميتها . انّها دمية جميلة جدّاً ... ومادلين أطعمتني شريحة خبز مع المربى .

تبسمّت السيدة (دي روسبورغ) لفرح مرغريت الصغيرة التي كانت تحبّ اطالة الحديث لكن السيدة (دي فلورفيل) لاحظت أن المريضة قد انخضّت كثيراً فنصحت مرغريت ان تذهب وتلعب مع أمّيها الصغيرتين لكي تتمكن أمّها الكبيرة من النوم .

قبّلت مرغريت السيدة (دي روسبورغ) ثم خرجت مع كميلة ومادلين .

الأصوفة : خزائن صغيرة ذات ادراج تحفظ فيها الكتب والثياب .



مرغريت

قالت مادلين :

ـ «عزيزتي مرغريت : خذي كلّ ما تريدين من ألعابنا وتسلّي بها .

قالت مرغريت :

ـ أوّاه ! ياللدمى الجميلة ! هذه واحدة تساويني في القامة . وهاتان أيضاً دميتان جميلتان جداً !

آه ! تلك الدمية الكبيرة الممدّدة في سرير صغير جميل ! إنّها مريضة كأمي المسكينة ... ياه ! الكلب الصغير ! ما أجمل وبره ! يبدو حيّا . والحمار الصغير الرائع ... ياه ! الصحاف الجميلة ! هذه فناجين ، وملاعق ، وشوك وسكاكين أيضاً ! هاهي مزَيّنَة صغيرة وممالح ! آه العربة الصغيرة الجميلة !... وهذه الخزانة الملأى بالفساتين ، والقبّعات ، والجوارب والقمصان وكلّها للدمى ، كم انّها مرتبة ! ما

أجمل هذه الكتب الصغيرة وما أكثر الصور ، انّها تملأ الخزانة !»

كانت كميلة ومادلين تضحكان لمشاهدة مرغريت تركض من لعبة الى لعبة ، لاتعرف أيها تأخذ ، ولا تستطيع أن تمسكها كلّها أو تنظر اليها كلّها في الوقت ذاته . تضع واحدة ، ثمّ تأخذها من جديد ، ثمّ تتركها وفي تردّدها تبقى في وسط الغرفة تدور الى اليمين وتدور الى الشمال ، تقفز ، تصفّق من فرح واعجاب . وأخيراً أخذت العربة الصغيرة المشدودة الى أربعة أحصنة وطلبت من كميلة ومادلين أن تخرجا معها لجرّ العربة الى الحديقة .

أخذت البنيات الثلاث يركضن في الممرات وعلى العشب . وبعد عدة دورات انقلبت العربة . وانقلب معها كل المسافرين الموجودين فيها بعضهم فوق بعض . وانكسر زجاج الباب .

فصاحت مرغريت باكية :

ـ «آه ! الهي ! الهي ! لقد كسرتُ عربتكما ، ياكميلة . فأنا متأسفة . وحتماً لن أكرّر هذا الخطأ .

ردت كميلة تطمئنها :

ـ لاتبكي يا مرغريت الصغيرة . فلا بأس . نفتح الباب ونعيد المسافرين الى أماكنهم . وسوف أطلب من أمّي أن تكلّف من يركبّ زجاجاً آخر في الباب .

ـ لكن ، اذا كان المسافرون متألمين من رؤوسهم كأمّي ؟

ـ لا ! لا ! إنّ رؤوسهم أقسى . أنظرى أترين كيف أنّهم عادوا جميعاً الى أماكنهم وهم متعافون تماما .

ـ من حسن حظّي ! كنت أخشى أن أزعجكما .

عندما رفعت العربة ، تابعت مرغريت جرّها ، لكن باحتراس أكبر لأنها كانت طيّبة القلب . اذ لو سببت ازعاجا لصديقتيها الصغيرتين لكانت تكدّرت كثيراً .

وعادت البنيّتان بعد ساعة لتناول العشاء ثم نوّمت كميلة ومادلين

الصغيرة مرغريت في السرير لأنها كانت تعبة جدّاً .



لقاء من دون فراق

بينما كانت البنيّات يلعبن جاء الطبيب وعاين السيّدة (دي روسبورغ) . لم يجد الجرح خطيراً وقرر انّ الكمية التي فقدتها من الدم ستمنع الالتهاب وتجعل فصدها غير مجدٍ . ووضع على الجرح مرهماً وغطّاه بأوراق خس كان يجب تغييرها مرّة كل ساعة . وأوصى لها بالهدوء التام ووعد بالعودة في صباح الغد .

كانت مرغريت تعود أمّها عدة مرات في اليوم ، لكنها ما كانت تمكث طويلا في الغرفة لأن حيويتها وثرثراتها كانت تخضّ السيدة (دي روسبورغ) وتسليها في آن معاً . وبايماءة من طرف عين السيدة (دي فلورفيل) التي كانت تلازم سرير مريضتها كانت الشقيقتان تصحبان محميّتهما الصغيرة ويخرجن .

وان عناية السيدة (دي فلورفيل) الفائقة بالسيدة (دي روسبورغ)

قد ملأت قلب هذه الأخيرة اعترافاً بالجميل ومودّة . فكانت تعبر غالباً في أثناء نقاهتها عن تأسفها لترك سيدة اعتنت بها بمحبة زائدة . وذات يوم قالت لها السيدة (دي فلورفيل) :

«لماذا تتركيني ياصديقتي العزيزة ؟ ولماذا لانعيش معاً ؟ فصغيرتك مرغريت سعيدة جداً مع كميلة ومادلين . وأؤكد لك انهما سوف تتأسفان لافتراقهما عن مرغريت . وأكون لك شاكرة اذا وعدتني بألاتفارقيني .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

ـ ولكن ، ألا يكون ذلك تطفلا بنظر عائلتك ؟

ردت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ أبداً . فأنا أعيش في عزلة كبيرة منذ وفاة زوجي . لقد أخبرتك عن نهايته المريرة في معركة بالمغرب العربي منذ ست سنوات . ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش في الريف . وأنت لازوج لك أيضاً مادمت لم تتلقي أي خبر عنه منذ غرق السفينة التي كان يبحر عليها .

ـ مع الأسف ! أجل لقد هلك ولاشك مع هذه السفينة المشؤومة . على الرغم من كل ما بذله أخي من تفتيش منذ سنتين ـ وهو البحار الذي دار حول العالم تقريباً ـ لم نكتشف أي أثر لزوجي المسكين ولا لأي شخص من الأشخاص الذين كانوا يرافقونه . ومادمت تضغطين علي بكل ود للبقاء هنا ، فأنا أوافق بطيبة خاطر على السكن معك لنؤلف معاً عائلة واحدة . واترك صغيرتي مرغريت برعاية صديقتيها الطيبتين والمحبوبتين .

ـ إذن ياصديقتي العزيزة هذا أمر قد تقرّر ؟

ـ أجل ! مادمت ترغبين في ذلك . سوف نبقى معاً .

ـ كم أنت طيبة ياصديقتي العزيزة لتوافقي بهذه السرعة على رغباتي ! سأبلغ هذا النبأ السار الى ابنتيَّ . وسوف تفرحان به كثيراً» .

دخلت السيدة (دي فلورفيل) الغرفة حيث كانت كميلة ومادلين

تدرسان بانتباه تام بينما تتلهى مرغريت بالدمى وتقص عليها أخباراً بصوت منخفض كي لا تعطل اهتمام صديقتيها التام بالدرس .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ يا ابنتيَّ الصغيرتين ، جئت ابلغكما نبأ سيسركما جداً . ان السيدة (دي روسبور غ) ومرغريت لن تتركانا كما كنا نخاف .

تساءلت كميلة :

ـ كيف ، ياأمي ، ستبقيان دائماً معنا ؟

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ أجل ، دائماً ، يا ابنتي . لقد وعدتني السيدة (دي روسبور غ) بذلك .

ـ آه ، ياللسعادة ! صرخت البنات الثلاث معاً .

ركضت مرغريت تقبل السيدة (دي فلورفيل) التي قبلتها بدورها وقالت لكميلة ومادلين :

ـ يا ابنتي العزيزتين . اذا كنتما تريدان إسعادي دائماً كما فعلتما حتى الآن ، فعليكما مضاعفة اجتهادكما في الدروس ، واطاعة أوامري ، والتلاطف فيما بينكما . فمرغريت أصغر منكما . وأنتما ستتكلفان بتربيتها تحت اشراف والدتها واشرافي . ولكي تكون صالحة وعاقلة ، يجب ان تسديا اليها دائماً النصائح الجيدة وخاصة أن تعطياها المثل الصالح .

قالت كميلة :

ـ كوني مطمئنة ، يا أمي العزيزة . سنربي مرغريت جيداً مثل ما تربيننا . سوف أعلمها القراءة والكتابة . وستعلمها مادلين شغل الابرة ، والترتيب ، وتنظيم كل شيء . أليس كذلك يا مادلين ؟

ردت مادلين :

ـ أجل ، حتماً . على كل حال انها لطيفة جدا ، وناعمة جداً ، ولن تتعبنا كثيراً .

ثم أضافت مرغريت وهي تعانق تارة كميلة وطوراً مادلين :

- سأكون دائما عاقلة جداً . سأسمع كلامكما وسأحاول دائماً أن أرضيكما .

فقالت كميلة :

- إذن ، ياصغيرتي مرغريت ، مادمت تريدين أن تكوني عاقلة ، اعملي معروفاً واذهبي في نزهة طيلة ساعة كما سبق ان قلت لك . فمنذ ان بدأنا دروسنا وأنت لم تخرجي . واذا بقيت دائماً جالسة يشحب لونك وتمرضين .

قالت مرغريت :

- آه ! ياكميلة ، أرجوك اتركيني معك ! فأنا أحبك حباً جما !

كادت كميلة أن ترضخ لها ، لكن مادلين توقعت ضعف شقيقتها وترقبت حالا أن الرضوخ مرةً لمرغريت سوف يجر الى الرضوخ لها دائما فتنتهي بأن تفرض دائماً إرادتها . فأخذت مرغريت بيدها وفتحت الباب وقالت لها :

- «عزيزتي مرغريت . لقد قالت لك كميلة مرتين ان تذهبي وتتنزهي وأنت تطلبين دائماً أن تبقي بعد للحظة . وكميلة تسمع منك أما هذه المرة فاننا نرغب في أن تخرجي . وهكذا ، كي تكوني عاقلة كما سبق أن وعدتنا عليك ان تطيعي . إذهبي ، ياصغيرتي . وبعد ساعة ستعودين» .

تطلعت مرغريت بكميلة بتضرع ، لكن كميلة ، التي كانت تشعر أن أختها على حق ، لم تجرؤ أن ترفع عينيها خوفاً من أن تضعف . وعندما وجدت مرغريت أنه يجب عليها الطاعة خرجت على مهل ونزلت الى الحديقة .

سمعت السيدة (دي فلورفيل) هذا الحوار الصغير ولم تتفوه بكلمة . اقتربت من مادلين وعانقتها بحنان وقالت لها : جيد ، يا مادلين ! وانت ياكميلة ، تشجعي . افعلي مثل شقيقتك . ثم خرجت .



الأزهار المقطوفة والمستبدلة

تمشت مرغريت مدة ربع ساعة ثم تساءلت :

ـ «ياالله ! يا الله ! كم أنا أضجر وحدي ! لماذا أرغمتني مادلين على الخروج ؟ ... كانت كميلة ترغب في استبقائي . لقد لاحظت ذلك !... عندما نكون ، كميلة وأنا وحدنا ، تتركني أفعل ما أشاء ...كميلة ، كم أحبها !... أنا أيضاً أحب كثيراً مادلين . لكني ... الهو أكثر مع كميلة . ماذا أفعل لاتسلى ؟ها ! عندي فكرة جيدة ، سأنظف الحديقة الصغيرة وأكنسها» .

وأسرعت صوب حديقة كميلة ومادلين ، فنظفتها ، وكنست الأوراق المتساقطة ثم أخذت تتفحص الأزهار كلها . وفجأة ، لمحت بخاطرها فكرة أن تقطف باقة لكميلة ومادلين . وقالت لنفسها :

ـ «كم ستفرحان ! سأجمع الأزهار كلّها واجعل منها باقة رائعة .

ستضعانها في غرفتهما فيتعطر جوها !»

وها هي مرغريت المعجبة بفكرتها تأخذ بقطف القرنفل ، والمنتور ، والاقحوان ، والورد ، والأضاليا (الداليا) ، والخزامى ، والياسمين ، وبالتالي كل ما كان موجوداً في الحديقة . وكلما قطفت زهرة رمتها في ازارها الذي رفعت زواياه ، فكدست ما أمكنها من زهر قطفته من دون أعناق تقريباً .

وعندما قضت على الأزهار جميعها خفت الى البيت مستعجلة ودخلت الغرفة حيث كانت كميلة ومادلين ما تزالان تشتغلان وتوجهت نحوهما ووجهها يشع سعادة ، وقالت لهما :

- «خذي ياكميلة ، خذي يامادلين . أنظرا ماذا جلبت لكما . أليست جميلة» ؟ وفتحت ازارها كي تشاهدا كل تلك الأزهار المدعوكة والذابلة والمسحوقة . ثم أضافت :

«لقد قطفتها كلها لكما . سنضعها في غرفتنا لكي يتعطر جوها !»

تبادلت كميلة ومادلين النظرات وهما تبتسمان . لقد تملكتهما البهجة إذ رأتا هذه الباقات من الأزهار الذابلة ومرغريت وهي تظهر بمظهر الظافرة . ثم راحتا تقهقهان عندما رأتا وجه مرغريت الأحمر ، المتحير والمذلول . تركت الصغيرة المسكينة الأزهار تقع أرضاً وتجمدت في مكانها ، فاتحة فمها بدهشة وهي تنظر الى كميلة ومادلين تضحكان . وبعد قليل تمكنت كميلة من الكلام :

- «من أين قطفت كل هذه الأزهار ، يامرغريت ؟

- من حديقتكما .

- من حديقتنا ! صاحت الأختان معاً . وتوقفتا عن الضحك . كيف ؟ كل هذه الأزهار من حديقتنا .

- كلّها ، كلّها ، حتى البراعم» .

تبادلت كميلة ومادلين النظرات في ذهول ومضض . لقد سببت

مرغريت لهما ، من دون أن تقصد ، ألما عميقا . لقد كانتا تحتفظان بكلّ هذه الأزهار لتصنعا منها باقة وتقدماها لوالدتهما يوم عيدها المصادف بعد غد . وها انه لم تبق زهرة واحدة . ومع ذلك لم تجرؤ لاهذه ولا تلك على تأنيب مرغريت المسكينة التي وصلت عامرة بالفرح وهي تفكر أنها ستسبب لهما مفاجأة سارة جداً .

تعجبت مرغريت كيف أنهما لم تشكراها ولم تقبلاها كما كانت تنتظر . فتطلعت الى كل من الشقيقتين بانتباه فلمحت بوجهيهما المنذهلين مسحة حزن . وقدرت أنها قد سببت لهما سوءاً ، فطفقت تبكي .

وأخيراً قطعت مادلين السكوت وقالت :

- «ياصغيرتي مرغريت . لقد نبهناك أكثر من مرة ألا تمدي يدك إلى شيء قبل أن تطلبي الاذن . لقد قطفت ازهارنا وآلمتنا . كنا نرغب في تقديم باقة جميلة من الأزهار التي زرعناها نحن وسقيناها الى والدتنا وذلك بعد غد بمناسبة عيدها . أما الآن وبسبب غلطتك لم يبق عندنا شيء نقدمه لها .

تضاعف بكاء مرغريت .

ثم تابعت كميلة :

- «نحن لن نوبخك ، لأنك لم تفعلي ذلك عن سوء نية ، لكنك ، ترين ما أبشع عدم سماع كلامنا» .

كانت مرغريت تجهش بالبكاء . فقالت لها مادلين وهي تعانقها : «خففي عنك ، ياصغيرتي مرغريت . ترين جيداً أننا ما استأنا منك .

- لأنكما ... طيبتان ... جداً ، قالت مرغريت وهي تغص . لكنكما ... حزينتان ... وهذا ... يؤلمني ... سامحيني ياكميلة - ويا مادلين .. لن أعيدها .. أبداً .. وبكل تأكيد» . تأثرت كميلة ومادلين لحزن مرغريت ، فقبلتاها ، وخففتا عنها ما استطاعتا . وفي هذا الوقت دخلت السيدة (دي روسبورغ) فوقفت مندهشة لدى رؤية عيني ابنتها المحمرتين ووجهها المنتفخ .

- «مرغريت ! ما بك يابنيتي ؟ هل أسأت الى أحد مصادفة ؟

- آه ! لاياسيدتي ، أجابت مادلين . نحن نؤاسيها .

- لم تؤاسيانها ، ياصغيرتيَّ العزيزتين ؟

قالت مادلين :

- ل ... ل ... واحمرّ وجه مادلين وتوقفت عن الكلام . فتابعت كميلة :

- «سيدتي . نحن نطيب خاطرها .. نحن ... نقبلها ... لأن ... «واحمرّ وجهها هي بدورها وسكتت .

ازدادت دهشة السيدة (دي روسبورغ) ، فقالت :

- «يامرغريت ، قولي لي أنت ، لماذا تبكين ؟ ولماذا تطيب صديقتاك خاطرك ؟ فصرخت مرغريت ترتمي في حضن أمها :

- آه ، يا أمي ، يا أمي العزيزة . لقد كنت شريرة جداً . لقد آلمت صديقتيَّ ، ولكن من دون أن أقصد . لقد قطفت أزهار حديقتهما كلها . ولم يبق عندهما شيء تقدمانه لامهما يوم عيدها . وبدلا من أن تؤنباني فهما تقبلاني . يا الهي ! كم أنا حزينة !

- حسنا تفعلين بالاعتراف لي بحماقاتك يا ابنتي العزيزة . سوف أسعى لاصلاحها . وان صديقتيك الصغيرتين هما طيبتان جداً كيلا تؤاخذاك . كوني متسامحة وطيبة مثلهما ، ياصغيرتي العزيزة ، لتصبحي محبوبة مثلهما ومباركة من الله تعالى ومن والدتك .

عانقت السيدة (دي روسبورغ) كميلة ومادلين ومرغريت بكل حنو ثم تركت الغرفة ونادت خادمها وطلبت منه تحضير عربتها فوراً .

وفي غضون نصف ساعة كانت عربة السيدة (دي روسبورغ) المكشوفة حاضرة . فركبتها وطلبت ايصالها الى مدينة (مولان) التي لم تكن تبعد من بيت السيدة (دي فلورفيل) الريفي إلامسافة خمسة كيلو مترات .

ترجلت عند بائع أزهار واختارت من أزهاره أحسنها وأجملها . وقالت له :



- «أرجوك ، سيدي ، أن تتلطف وتحمل بنفسك كل هذه الشتول الى بيت السيدة (دي فلورفيل) .

سأدلك على المكان حيث يجب أن يتم زرعها وأطلب منك أن تراقب التنفيذ واني أرغب في أن يتم ذلك ليلا لتحضير مفاجأة لصغيرتي آل (دي فلورفيل) .

-كوني مطمئنة ياسيدتي . سيتم كل شيء بحسب أوامرك . عند الغروب سوف أحمل الأزهار التي اخترتها ، ياسيدتي ، في عربة نقل ، وأتقيد بأوامرك .

-كم يتوجب علي ، سيدي ، ثمن الشتول وبدل غرسها ؟

- اربعون فرنكا ، سيدتي . هناك ستون شتلة مع آنيتها يضاف اليها الشغل . ألا تجدين سيدتي ، أن هذا مكلف قليلاً ؟

- لا ! لا إني موافقة . ستتسلم الاربعين فرنكا فور الانتهاء من العمل

ثم ركبت السيدة (دي روسبورغ) عربتها وعادت الى قصر (دي فلورفيل) . وهذا الاسم كان يطلق على أراضي السيدة (دي فلورفيل) . وأمرت خادمها أن ينتظر بائع الأزهار عند هبوط الليل ، ويدله على الأمكنة التي ستغرس فيها الأزهار في حديقة كميلة ومادلين .

كان غياب السيدة (دي روسبورغ) قصيرا جدا فلم تلاحظه السيدة (دي فلورفيل) كما لم تلاحظه البنيات .

وما أن تركت السيدة (دي روسبورغ) الصغيرات حتى توجهت الثلاث الى حديقتهن . فكرت كميلة أنه قد تكون بعض الأزهار منسية لصنع باقة صغيرة في الأقل . ومع الأسف لم يبق شيء . كانت كلها مقطوفة . فتطلعت كميلة ومادلين بحزن وصمت الى حديقتهما الفارغة . ومرغريت كانت ترغب في البكاء .

وأخيرا قالت مادلين :

- «ماحصل قد حصل . وليس له علاج . سنحاول ان نزرع بضع

غرسات جديدة سوف تزهر في المستقبل .

قالت مرغريت :

ـ خذي ، يامادلين ، كل اموالي لشراء الشتول . فمعي أربعة فرنكات !

قالت مادلين :

ـ شكراً ، ياصغيرتي العزيزة . من الأفضل أن تحتفظي بمالك للفقراء .

قالت مرغريت :

ـ لكن ، اذا لم يكن عندك مال يكفي ، يامادلين ، ستأخذين مالي ، أليس كذلك ؟

ـ أجل ! أجل ، ياصغيرتي الطيبة . لا تشغلي بالك ، ولنتوقف عن التفكير في كلّ هذا ، ولنعدَّ حديقتنا من أجل ان نزرع فيها أزهاراً جديدة .

وانصرفت الصغيرات الثلاث الى العمل . كلفت مرغريت باقتلاع النباتات اليابسة ونقلها بالعربة الى الحرج . وراحت كميلة ومادلين بكل حماسة تقلبان الأرض بالمسحاة . كان العرق يتصبب من البنيات الثلاث عندما وصلت السيدة (دي روسبورغ) من جولتها ولحقت بهن الى الحديقة . فصاحت :

ـ «أواه ! ياللشغيلات الطيبات ! هذه حديقة منقوبة جيداً ! ستنبت فيها الأزهار وحدها . وأنا متأكدة من ذلك .

ـ سوف نحصل على الأزهار قريباً . وسترين .

ـ أنا لا أشك في ذلك لأن الله تعالى يكافىء دائماً البنيات الصالحات مثلكن .

انتهت المهمة . فرتبت كميلة ومادلين ومرغريت أدواتهن ولعبن مدة ساعة في المرج عندئذ دق جرس العشاء ودخل الجميع .

وفي صباح الغد ، بعد الفطور ، ذهبت البنيات الى حديقتهن الصغيرة لاتمام تنظيفها .

كانت كميلة تركض في الطليعة فبدت لها الحديقة زاخرة بالأزهار أجمل واكثر الف مرة مما كانت عليه في العشية . فبهتت ولم تكن تفهم

شيئاً .

وصلت مادلين ومرغريت بدورهما . وتوقفت الثلاث خرساوات للمفاجأة وللفرحة أمام هذه الأزهار الندية ، والمتنوعة جداً والجميلة جداً . وأخيراً عبرت صرخة عامة عن سعادتهن . فأسرعن الى الحديقة ورحن يشممن زهرة هنا ويلامسن زهرة هناك ، وينظرن باعجاب اليها كلها ويكدن يطرن من الفرح . لكنهن لايفهمن كيف ان هذه الأزهار نبتت وتفتحت في ليلة واحدة ، ولا يحزرن من جلبها . فقالت كميلة :

ـ «إنه الله تعالى .

ـ بل هي العذراء القديسة . قالت مادلين . واستدركت مرغريت :

ـ أعتقد أنهم ملائكتنا الصغار .

في هذا الوقت وصلت السيدة (دي فلورفيل) والسيدة (دي روسبورغ) معا . فقالت السيدة (دي فلورفيل) وهي تشير الى السيدة (دي روسبورغ) :

ـ «هذا هو الملاك الذي أنبت أزهاركن . لقد أثر فيها لطفكن وطيبتكن . فراحت واشترت كل هذا من (مولان) بينما كنتن تسبحن بالعرق لتصلحن الضرر الذي سببته مرغريت» .

لاتسل عن سعادة البنيات الثلاث وامتنانهن . وربما كانت مرغريت أسعد من كميلة ومادلين ، لأن الحزن الذي سببته لصديقتيها كان يضغط على قلبها .

وفي صباح الغد ، قدمت البنيات الثلاث باقة مؤلفة من أجمل أزهارهن ليس فقط الى السيدة (دي فلورفيل) بمناسبة عيدها وانما أيضا للسيدة (دي روسبورغ) كعربون امتنان .





الكلب المسعور

ذات يوم ، كانت مرغريت وكميلة ومادلين يلعبن أمام البيت تحت سروة كبيرة . وكان قربهن كلب أسود كبير اسمه (كالينو) منبطحا على الارض ، وهو يخص الحارس .

كانت مرغريت تحاول أن تضع حول عنقه عقداً من زهور الربيع قد انتهت كميلة لتوها من صنعه . وعندما وصل العقد الى وسط الرأس هز الكلب رأسه فسقط العقد .

صرخت فيه مرغريت مزمجرة :

ـ«ياكالينو الشرير . هل تريد أن تبقى هادئاً ! اذا هززت رأسك مرة ثانية فسوف أصفعك» .

ثم التقطت العقد وقالت له :

ـ «أحن رأسك ياكالينو»

أطاعها كالينو بلا مبالاة . فأدخلت مرغريت العقد بصعوبة في رأسه وعندما وصلت الى الوسط هز كالينو رأسه فوقع العقد من جديد . فقالت له مرغريت وهي تصفعه صفعة خفيفة على رأسه :

ـ «أيها الحيوان النحس ! العنيد والمتمرد» .

في تلك اللحظة كان كلب أصفر قد تقدم من دون ضجة وعض كالينو . حاولت مرغريت طرده . فارتمى الكلب الأصفر عليها وعض يدها ثم تابع طريقه مخفيا ذنبه بين ساقيه ، وحانيا رأسه ومادأ لسانه . أطلقت مرغريت صرخة خفيفة ، ثم عندما رأت الدم على يدها بكت .

وكانت كميلة ومادلين قد نهضتا بسرعة على صرخة مرغريت . فلاحقت كميلة الكلب الأصفر بعينيها وقالت بصوت خافت بضع كلمات لمادلين ، ثم خفت الى السيدة (دي فلورفيل) وقالت لها بصوت منخفض :

ـ «يا أمي . لقد عض كلب مسعور يد مرغريت .

ـ كيف تعرفين أن الكلب مسعور ؟

ـ لقد شاهدته ، يا أمي ، وعرفت من ذيله المتدلي ولسانه المتهدل وخطواته المتقاربة . وقد عض كالينو . ومرغريت من دون نباح ومن دون ضجة . وبدل ان يدافع كالينو عن نفسه ، أو يصرخ ارتمى أرضاً من غير حراك .

ـ الحق معك ياكميلة ! ما هذه المصيبة يا الله ! لنغسل بسرعة العضتين بالمياه العذبة ثم بالمياه المالحة .

ـ لقد صحبتها مادلين الى المطبخ يا أمي . فما العمل ؟

وبدلاً من أن تجيب السيدة (دي فلورفيل) توجهت مع كميلة لرؤية مرغريت . نظرت الى العضة فوجدت ثقباً صغيراً قليل العمق وقد توقف نزفه . فنادت :

ـ اسرعي يا روزالي (روزالي الطباخة) ، وأعطني دلو مياه عذبة ! هاتي يدك يامرغريت ! غطسيها في الدلو ، غطسيها أيضا ثم غطسيها .

حركيها جيداً . أعطني ، ياكميلة ، قبضة كبيرة من الملح ... جيد ... ضعيها في قليل من المياه .

وأنت ياعزيزتي مرغريت غطسي يدك في المياه المالحة .

قالت مرغريت وهي تبكي :

ـ أخاف أن يخزني الملح .

ـ لا ! لاتخافي . لن تشعري بشيء . لكن حتى ولو كان سيخزك يجب أن تغطسي يدك والا سوف تمرضين بشدة .

وفي غضون عشر دقائق ظلت السيدة (دي فلورفيل) ترغم مرغريت على ابقاء يدها في المياه المالحة . وعندما لاحظت خوف البنت المسكينة التي كانت تمسك دموعها بصعوبة ، عانقتها وقالت لها :

ـ «لاتخافي ، ياصغيرتي . أعتقد أن العضة لن تؤثر أبداً . وعليك كل يوم ، صباحا ومساء ، أن تغطسي يدك في المياه المالحة مدة ربع ساعة . وان تاكلي قبضتين من الملح مع الثوم . وخلال ثمانية أيام ينتهي كل شيء .

قالت كميلة :

ـ يجب ألا نخبر السيدة (دي روسبورغ) يا أمي ، والا سوف تقلق كثيراً .

ـ الحق معك ، يا ابنتي العزيزة أجابت السيدة (دي فلورفيل) وهي تعانقها . سوف نخبرها . سوف نخبرها بذلك بعد شهر .

أما كميلة ومادلين فقد أوصيتا مرغريت بألا تقول شيئا لوالدتها كي لاتغتم ومرغريت التي كانت مطيعة وغير ثرثارة لم تتفوه بكلمة . وخلال ثمانية أيام نفذت تماماً ما أوصتها به السيدة (دي فلورفيل) . وفي مدة ثلاثة أيام كانت يدها الصغيرة قد شفيت .

وبعد شهر ، عندما زال كل خطر ، قالت مرغريت ذات يوم لوالدتها : «أمي ! يا أمي العزيزة . أنت لاتعرفين أن ابنتك المسكينة نجت من الموت .

ـ من الموت ! يا حبيبتي ! قالت الام وهي تضحك . لايبدو أنك مريضة .
ـ انظري ، يأمي ، الى يدي . هل ترين هذه البقعة الصغيرة الحمراء ؟
ـ اجل ! اراها جيداً ! انها وخزة سببها لك ابن خالتك !
ـ بل هي عضة كلب مسعور .

اطلقت السيدة (دي روسبورغ) صرخة مختنقة ، وشحب لونها وسألت بصوت متهدج :

ـ «من قال لك ان الكلب كان مسعوراً ؟ لماذا لم تخبريني بذلك بسرعة ؟
ـ أوصتني السيدة (دي فلورفيل) أن أنفّذ تماماً ما قالته لي ، وألا أصبح أنا مسعورة وأموت . ومنعتني من اعلامك قبل مضي شهر ، يا أمي العزيزة ، لكي لا أخيفك .
ـ وماذا فعلت لك لتشفيك يا صغيرتي العزيزة ؟ هل كوت العضة بحديدة حامية ؟
ـ لا ، يا أمي ، أبدا . لقد نظفت السيدة (دي فلورفيل) وكميلة ومادلين يدي بسرعة في دلو من المياه ، ثم غطستها في المياه المالحة طويلا وطويلا جداً . وقد طلبت مني أن أفعل ذلك صباحا ومساء طيلة أسبوع كامل ، وأطعمتني كل يوم قبضتين من الملح مع الثوم .

عانقت السيدة (دي روسبروغ) مرغريت بانفعال ظاهر وأسرعت تبحث عن السيدة (دي فلورفيل) لتحصل على ايضاحات أدق .

أكدت السيدة (دي فلورفيل) رواية الصغيرة وطمأنت السيدة (دي رورسبورغ) على عواقب هذه العضة قائلة :

ـ «لن تتعرض مرغريت لأي خطر ، ياصديقتي العزيزة ، كوني متأكدة . فالمياه هي العلاج الذي لايخطىء لعضات الحيوانات المسعورة . والمياه المالحة هي المفضلة في هذا المجال . تأكدي أنها نجت .

ثم عانقت السيدة (دي فلورفيل) بحنو وعبرت لها عن امتنانها الكبير لعاطفة كميلة ومادلين نحو مرغريت وعنايتهما بها . وعللت نفسها سرا بأن تعبر لهما عن ذلك في أول مناسبة .



كميلة المعاقبة

على بعد فرسخ من قصر آل (دي فلـورفيل) كـانت توجـد فتاة في السادسة من عمرها ، اسمها صوفي فقدت والدتهـا عندمـا كانت في الرابعة من عمرها في غرق سفينة في البحر . تزوج والدها ثانية وتوفي أيضا بعد ذلك بقليل . فعاشت صوفي مع زوجة أبيها السيدة (فيشيني) التي عادت لتعيش في أرض كانت تخص السيـد (دي ريان) ، والـد صوفي . وكان هذا الأخير قد اتخذ له اسما آخر هو السيد (فيشيني) ، أورثه اياه مع ثروة طائلة صديق له توفي في أميركـا . وكانت السيـدة فيشيني تجيء أحيانا مع صوفي لزيارة السيدة (دي فلورفيل) وسوف نرى اذا كانت صوفي صالحة مثل كميلة ومادلين .

ذات يوم بينما كانت الشقيقتان الصغيرتان خارجتين مع مرغريت في نزهة ، سمعن سير عربة . وبعد لحظات أطلّت عربـة خيل مكشـوفة

لماعة . توقفت أمام مدخل القصر ، وترجلت منها السيـدة (فيشيني) وصوفي . فقالت كميلة ومادلين :

«ـ نهارك سعيد ، ياصوفي ، نحن مسرورتان جداً لمشاهدتك . ثم أضافتا وهما تنحنيان انحناءة احترام :

ـ نهارك سعيد ياسيدة .

ـ نهاركما سعيد ، ياصغيرتيَّ . أنا متوجهة الى البهو لرؤية والدتكما . تابعا نزهتكما . وصوفي يمكنها مرافقتكما . ثم أضافت وهي تتوجـه بالحديث الى صوفي بنبرة جافة وباسلوب قاس : وانت ، يا آنسة ، كوني عاقلة والا استحققت الجلد لدى عودتك .

لم تجرؤ صوفي على الرد بل خفضت نظرها الى الأرض . فاقتربت منها السيدة (فيشيني) وعيناها تقدحان شرراً :

«أليس لك لسان للاجابة ، ايتها الوقحة الصغيرة !؟

فعجلت صوفي في الاجابة :

ـ بلى ، يا أمي : .

رمتهـا السيدة (فيشيني) بنظـرة غضب ، وأدارت لهـا ظهـرهـا وتوجهت الى البهو .

كميلة ومادلين وقفتا مشدوهتين . ومرغريت اختبأت وراء صندوق ليمون . ولما اغلقت السيدة (فيشيني) باب البهو رفعت صوفي رأسها بتمهل واقتربت من كميلة ومرغريت وقالت لهما بصوت خافت :

«لنخرج . ولاتتوجهن الى البهو : زوجة أبي موجودة هناك .

قالت كميلة :

ـ لم وبختك زوجة أبيك ياصوفي ؟ ماذا فعلت ؟

قالت صوفي :

ـ لاشيء البتة . انها دائما هكذا .

قالت مادلين :

ـ لنذهب الى حديقتنا حيث نكون في أمان . تعالي معنا يامرغريت .

قالت صوفي لامحة مرغريت :

ـ آه ! من هي هذه الصغيرة ؟ لم أرها من قبل ؟

قالت كميلة :

ـ انها صديقتنا الصغيرة وهي فتاة طيبة . لم تشاهديها قبلا لأنها لم تستطع مرافقتنا عندما ذهبنا لزيارتك . فقد كانت مريضة . اعتقد ، ياصوفي انك ستحبينها ، وهي تسمى مارغريت» وراحت مادلين تقص على صوفي كيف تعرفتا على السيدة (دي روسبورغ) . عانقت صوفي مرغريت الصغيرة وركضت الفتيات الأربع الى الحديقة .

قالت صوفي :

ـ ياللأزهار الجميلة ! انها فعلا أجمل من أزهاري . من أين جئتن بهذه القرنفلات الرائعة وهذه الغرنوفيات الجميلة وهذه الورود الفاتنة ؟ ياللرائحة المنعشة !

قالت مادلين :

ـ انها السيدة (دي روسبورغ) التي اعطتنا كل هذا .

قالت مرغريت :

ـ انتبهي ياصوفي . لقد دست على شتلة فراولة جميلة . تراجعي .

ردت صوفي :

ـ لاتتدخلي . فانا أريد أن اشم الورود .

قالت مرغريت :

ـ ولكنك تكسرين فراولات كميلة . لايجوز أن تدوسي على فراولات كميلة

قالت صوفي :

ـ وأنا أقول دعيني وشأني أيتها الحمقاء الصغيرة» .

وبما أن مرغريت كانت تحاول حماية الفراولة فقد تمسكت بساق صوفي فدفعتها هذه عنها بغضب شديد وبقساوة كبيرة فوقعت مرغريت المسكينة على مسافة ثلاث خطوات من صوفي وتدحرجت على الأرض . وما ان شاهدت كميلة مرغريت مطروحة أرضا حتى قفزت على صوفي

وصفعتها صفعة عنيفة .

راحت صوفي تصرخ ، ومرغريت تبكي ، ومادلين تحاول تهدئة الحال . أما كميلة فاحمر وجهها تماماً من شدة الخجل . وفي هذه اللحظة أطلت السيدات (دي فلورفيل) و(دي روزسبورغ) و (فيشيني) . بادرت السيدة (فيشيني) الى صفع صوفي التي كانت تصرخ .

قالت صوفي ، صارخة :

ـ لقد نلت اثنتين . لقد نلت اثنتين !

قالت السيدة فيشيني :

ـ أية اثنتان ؟ أيتها الحمقاء الصغيرة ؟

قالت صوفي :

ـ صفعتان اثنتان ، صارتا من نصيبي !

قالت السيدة فيشيني ، وهي تصفعها صفعة أخرى :

ـ خذي . هذه هي الصفعة الثانية حتى لاتكوني كاذبة .

ردت كميلة قائلة :

ـ لم تكذب ، ياسيدتي . فأنا التي صفعتها الصفعة الأولى .

تطلعت السيدة فيشيني الى كميلة بدهشة .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «ماذا تقولين ، ياكميلة ؟ أنت الطيبة جداً ، صفعت صوفي التي جاءت لزيارتك ؟

ردت كميلة ، وهي تخفض عينيها :

ـ أجل ، يا أمي

قالت السيدة (دي فلورفيل) بقساوة :

ـ ولماذا سمحت لنفسك بالانزلاق الى مثل هذه الخشونة .

أجابت كميلة مترددة :

ـ لأن ، لأن ... (رفعت عينيها الى صوفي التي كانت تنظر اليها نظرة

توسل) لأن صوفي كانت تدوس على فراولاتي .
قالت مرغريت ، محتدة :
ـ لا ، ليس هذا هو السبب ، بل .. لأن ...

قاطعتها كميلة وهي تضع يدها على فم مرغريت بحدة :
هكذا صار ـ هكذا صار . من أجل فراولاتي (وبصوت منخفض الى مرغريت) اسكتي أرجوك .
قالت مرغريت بصوت منخفض :
ـ لا أريد أن يحسبوك شريرة وأنت ماثار غضبك الا من أجل الدفاع عني .
قالت كميلة :
ـ أرجوك ، ياصغيرتي مرغريت ، أسكتي حتى ذهاب السيدة فبشيني .
قبلت مرغريت يد كميلة وسكتت .

توقعت السيدة (دي فلورفيل) ان يكون قد حصل شيء أثار غضب كميلة المعروفة دائماً بهدوئها ، وأحست أنهن يتسترن عليه مراعاة لصوفي . وعلى الرغم من ذلك ، كانت ترغب في ارضاء السيدة (فيشيني) ومعاقبة كميلة على هذه الحدة غير المألوفة . فقالت لها بأسلوب ساخط :
ـ اصعدي الى غرفتك ، يا آنسة . ولا تبرحيها الا للعشاء من دون فواكه ولا حلوى .

فانهمرت دموع كميلة بغزارة واستعدت لتنفيذ أوامر والدتها . وقبل ان تنسحب تقدمت من صوفي وقالت لها :
ـ «سامحيني ، ياصوفي . أؤكد لك أني لن أعيدها» . وصوفي التي لم تكن في قرارة نفسها شريرة ، عانقت كميلة وقالت لها بصوت منخفض :
ـ «شكراً ، ياكميلة الطيبة ، لأنك لم تقولي بأني دفعت مرغريت والا لكانت زوجة أبي جلدتني حتى يسيل مني الدم» . شدت كميلة على يد صوفي وتوجهت باكية الى البيت . ولدي مشاهدة دموع كميلة بكت مادلين ومرغريت بغزارة . وكان بود مرغريت أن تبرىء كميلة باخبار ما

حصل لكنها تذكرت ان كميلة رجتها ألا تتحدث في الموضوع .
فقالت في نفسها :
«ياصوفي الشريرة اني اكرهها لأنها سبب شقاء عزيزتي كميلة» .
استقلت السيدة (فيشيني) العربة مع صوفي التي سمع صراخها بعد لحظات من ركوبها العربة . فقدرن أن زوجة أبيها تضربها . ولم يخطئن لأن السيدة (فيشيني) ما ان صعدت الى العربة حتى راحت توبخ صوفي ولكي تكون موعظتها كاملة راحت تشد لها شعرها بقوة .
وما ان انطلقتا حتى أخذت مادلين ومرغريت تقصان على السيدة (دي فلورفيل) كيف ثارت كميلة على صوفي ولماذا . فقالت السيدة (دي فلورفيل) :
- «هذه التوضيحات تخفف كثيراً من خطأ كميلة ، ياعزيزتي ، لكنها أخطأت في انقيادها بسورة غضبها . اني اسمح لها بالخروج من غرفتها ، لكنها لن تحصل على فاكهة ولا على حلوى .
أسرعت مادلين ومرغريت الى كميلة وأخبرتاها أن عقابها يقتصر على عدم أكل الفاكهة والحلوى . فتنهدت كميلة لكنها بقيت حزينة جداً .
ومايجب الاعتراف به أن كميلة الطيبة واللطيفة كانت تشكو من عيب واحد وهو أنها كانت شرهة قليلا . كانت تحب الأشياء الطيبة وخاصة الفواكه . وكانت تعرف جيداً ان في ذلك المساء سيقدم على الطاولة درّاق لذيذ وعنب أرسلهما خالها من باريس . فياللحرمان ان لاتذوق شيئا من هذه الفاكهة اللذيذة التي منت بها نفسها ! لذلك استمرت عيناها مغرورقتين بالدموع . فقالت لها مادلين :
- «عزيزتي كميلة ، هل أنت حزينة فعلاً لعدم حصولك على الفاكهة ؟
قالت كميلة ، دامعة :
- يزعجني أن أرى الجميع يأكلون العنب الرائع والدرّاق اللذيذ اللذين أرسلهما خالي ولا استطيع حتى أن أذوق شيئا منهما .
قالت مادلين :

ـ إذن ياعزيزتي كميلة ، فأنا كذلك لن آكل منهما ، ولا من الحلوى . وهذا سيعزيك قليلا .

ردت كميلة :

ـ لاياعزيزتي مادلين . لا أرغب في أن تحرمي نفسك من أجلي . كلي منهما ، أرجوك .

قالت مادلين :

لاياكميلة . لقد اتخذت قراري . لن استطيب أكل الأشياء اللذيذة المحرمة عليك .

ارتمت كميلة بين ذراعي مادلين وتعانقتا عشرين مرّة بمودة قوية . وطلبت مادلين من كميلة ألا تخبر أحدا بقرارها . وقالت لها :

ـ «إذا عرفت أمي ، فاما أن تجبرني على أكل الفواكه واما أتمكن من اقناعها بمسامحتك» .

فوعدتها كميلة بألا تتكلم في ذلك اثناء العشاء ، لكنها قررت أن تعلن فيما بعد كيف حرمت اختها الصغيرة والطيبة نفسها مختارة من هذه الاطايب . وقد كان لها فضل كبير في ذلك لانها مثل كميلة كانت شرهة قليلا .

حل وقت العشاء وكانت البنيات الثلاث حزينات . وصادف ليلتها ان كان طبق الحلوى من حلاوة الارز التي تحبها مادلين كثيرا .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «مادلين اعطيني صحنك لاقدم لك حلاوة الارز .

ـ شكراً ، يا امي لن آكل منها .

ـ كيف ! لن تأكلي منها ، انت التي تحبينها كثيرا .

ـ لقد شبعت يا أمي .

ـ لقد طلبت مني منذ لحظة بطاطا ، فرفضت اعطاءك لاني كنت افكر في حلاوة الارز التي تحبينها اكثر من كل اصناف الحلوى .

قالت مادلين مضطربة ومحمرة خجلا :



ـ كنت ما ازال جائعة ، يا امي . اما الان فقد شبعت تماماً .

نظرت السيدة (دي فلورفيل) بدهشة الى مادلين المحمرة خجلاً والمضطربة . ونظرت الى كميلة التي احمر وجهها ايضا واضطربت خوفا من ان تبدو مادلين ذات نزوة فتوبخ .

وشكت السيدة (دي فلورفيل) في انهما تخبئان عنها امراً ، فلم تلح .

ثم وصلت الفاكهة : سلة رائعة من الدّراق وسلة عنب . اغرورقت عينا كميلة بالدموع اذ فكرت بحزن أن شقيقتها تحرم نفسها من هذه الأشياء اللذيذة إكراماً لها . وتنهدت مادلين وهي ترمق السلتين بنظرة اشتهاء .

قالت البيدة (دي فلورفيل) :

ـ «أبالعنب تريدين أن تبدأي أم بالدّراق ، يامادلين ؟

ـ شكراً يا امي ، لن اكل فاكهة .

فقالت السيدة (دي فلورفيل) وهي تزداد دهشة :

ـ كلي في الأقل عنقود عنب . انه ممتاز .

ـ لا ، يا امي (أجابت مادلين وهي تشعر انها تكاد تضعف أمام منظر هذه الفواكه الطيبة التي تعطر برائحتها الأنفاس) فأنا تعبة وأريد الذهاب الى النوم .

فسألتها أمها بقلق :

ـ هل أنت مريضة ، ياصغيرتي العزيزة ؟

ـ لا ، يا أمي ، فأنا بصحة جيدة . انما أريد أن أنام فقط .

ونهضت مادلين وذهبت لتودع أمها والسيدة (دي روسبورغ) . وكانت منحنية لتعانق كميلة عندما طلبت هذه الأخيرة وبصوت متهدج من السيدة (دي فلورفيل) الاذن باللحاق بمادلين . فسمحت لها السيدة (دي فلورفيل) لانها كانت تشفق عليها لاضطرابها . وذهبت الاختان معا .

وبعد خمس دقائق ترك الجميع المائدة ، ووجدوا كميلة ومادلين في

البهو تتعانقان وتضم كل واحدة أختها وتشدها الى صدرها .

ثم تركت مادلين كميلة ، وصعدت الى النوم .

بقيت كميلة في وسط البهو وهي تلاحق مادلين بعينيها وتكرر :

ـ «هذه الطيبة ، مادلين ! كم أحبها ! كم هي طيبة» !

فسألتها السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «أخبريني ، ياكميلة ، ماذا يدور في رأس مادلين . انها ترفض طبق الحلوى ، وترفض الفاكهة ثم تذهب الى النوم أبكر من العادة بساعة .

ـ لو تعلمين ، يا أمي العزيزة ، كم تحبني مادلين وكم هي طيبة ! لقد فعلت كل ذلك من اجل أن تفرج عني ، ولكي تكون محرومة مثلي . ولقد ذهبت الى النوم خوفا من عدم مقاومة اغراء العنب الرائع الذي تحبه كثيراً !

فصاحت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ تعالي معي ، ياكميلة ، لنراها . ولنذهب لتقبيلها» :

وقبل أن تترك البهو أسرت ببضع كلمات في أذن السيدة (دي روسبورغ) التي توجهت فوراً الى غرفة الطعام .

صعدت السيدة (دي فلورفيل) وكميلة الى غرفة مادلين التي كانت مستلقية في سريرها وتجمّد عينيها الكبيرتين الزرقاوين على رسم لكميلة وتبتسم .

دنت السيدة (دي فلورفيل) من سريرها وضمتها بحنو الى صدرها وقالت لها :

ـ «ياصغيرتي العزيزة . ان كرم نفسك قد افتدى خطأ شقيقتك ومحا العقاب . واني أسامحها بفضلك وستأكلان كلاكما حلاوة الأرز ، والعنب والدّراق التي طلبت احضارها الى هنا .

في هذه اللحظة ، دخلت الخادمة (اليزا) وهي تحمل حلاوة الأرز على طبق ، وعنبا ودرّاقا على طبق آخر . فتعانق الجميع . ثم نزلت السيدة (دي فلورفيل) للانضمام الى السيدة (دي روسبورغ) .

وقصت كميلة على (اليزا) كم كانت مادلين طيبة معها . وكلتـاهما قدمتا قسماً من الحلوى الى (اليزا) وبعد ان تحادثنا قليلا وتعانقتا ، وصلّيتا من أعماق القلب خلعت كميلـة ، ثيابهـا ، ونامتـا لكي تحلما بالصفعات والتوبيخ ، واللطف ، والمسامحة والعتب ...



القنافذ

ذات يوم كانت كميلة ومادلين جالستين على مقعديهما الصغيرين خارج البيت تقرآن عندما رأتا مرغريت راكضة نحوهما وهي تصرخ :

ـ «كميلة ! مادلين ! تعاليا بسرعة وشاهدا القنافذ التي التقطت . انها أربعة : الأم وثلاثة صغار .

نهضت كميلة ومادلين بسرعة وركضتا لرؤية القنافذ التي كانت موضوعة في سلة .

قالت كميلة :

ـ «لكننا لانرى غير كرات شائكة . ليس لها رأس ولا قوائم .

أما مادلين فقد قالت :

ـ اعتقد أنها التفت كالكرة وأن رؤوسها مخفية .

قالت كميلة :

ـ سأخرجها من السلة ونتأكد .

ردت مادلين :

ـ لكنها قد توخزك . كيف ستحملينها ؟

قالت كميلة :

ـ سوف ترين .

ثم أمسكت كميلة بالسلة وقلبتها . فوقعت القنافذ على الأرض . وفي غضون بضع ثوان انحل أحد القنافذ الصغيرة ، وأخرج رأسه ثم قوائمه . تبعه الصغيران الآخران وفعلا مثله ثم راحا يتنقلان . فسرت البنيات اللواتي مكثن جامدات لئلا يخفنها . وأخيراً بدأت الأم أيضا تسترخي ببطء وأطلّت رأسها قليلا . وعندما شاهدت البنيات الثلاث بقيت بضع لحظات مترددة ، وعندما وجدت أن لا واحدة منهن تتحرك تمددت تماماً واطلقت صوتاً نادت به صغارها وراحت تخب خببا قصيرا لتنجو . فصاحت مرغريت :

ـ «القنافذ تهرب . ها هي تركض جميعها باتجاه الحرج» .

فأسرع الحارس حالا وقال :

ـ «ايه ! ايه ! يالمكباتي التي انحلت ! ما كان يجب افلاتها ، يا آنستي . سيصعب علي التقاطها» .

وركض الحارس وراء القنافذ التي كانت تعادله سرعة : كانت قد وصلت الى حدود الحرج والأم تعجل وتدفع بصغارها امامها ، وقد وصلت على مسافة خطوة واحدة من سنديانة هرمة مجوفة كانت ستجد فيها ملجأ مضمونا . وكان الحارس ما يزال على بعد سبع أو ثماني خطوات وراءها وكان عندها متسع من الوقت لتنجو من الخطر المحدق بها اذ سمع دوي طلق ناري وتدحرجت الأم نافقة عند مدخل جوف السنديانة . وعندما شاهدت القنافذ الصغيرة أمها وقد جمدت توقفت هي أيضا .

قفز الحارس الذي أطلق النار على الام والتقط الصغار ورماها في

جعبته .

ركضت كميلة ، ومادلين ومرغريت . فقالت له كميلة بغيظ :

ـ «لماذا قتلت هذه البهيمة المسكينة يا (نيكاز) ؟

قالت مادلين :

ـ الآن سوف تموت صغارها المساكين جوعا .

رد نيكاز :ـ لا ! ياآنستي ! لن تموت من الجوع بل اني سوف أقتلها .

صاحت مرغريت ، ضامة كفا الى كف :

ـ آه ! ياللقنافذ المسكينة ! لاتقتلها يا (نيكاز) أرجوك .

ولكن نيكاز أصر قائلاً :

ـ بلى ! يجب قتلها يا آنسة ! فالقنفذ مؤذ . إنه يأكل الأرانب الصغيرة وفراخ الحجل . فضلا عن ذلك أنها صغيرة جداً ولن تعيش من دون أمها .

وقالت كميلة تتعجل البنتين :

ـ تعالي يا مادلين . تعالي يامرغريت . ولنذهب الى أمي ونطلب منها أن تنقذ هذه الحيوانات التعيسة .

وأسرعت البنات الثلاث الى البهو حيث كانت السيدتان (دي فلورفيل) و (دي روسبورغ) تشتغلان . وقلن معاً بصوت واحد :

ـ «أمي ! امي ! سيدتي ... القنافذ المسكينة ! هذا الشرير (نيكاز) يريد قتلها ! الأم المسكينة قد نفقت !

يجب إنقاذ الصغار . بسرعة . بسرعة !

تساءلت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ من ؟ ماذا ؟ ماذا يقتل ؟ انقاذ من ؟ ولماذا «نيكاز الشرير» ؟

ـ يجب الذهاب بسرعة . إنه (نيكاز) . وهو لايسمع منا . ياللحيوانات المسكينة !

ـ أنتن تتكلمن معا ، يا بناتي العزيزات . ولا نفهم ما تطلبن . تكلمي

وحدك يامادلين فأنت الاقل اضطرابا والاقل لهاثا .

قالت مادلين :

ـ ان نيكاز قد قتل أم القنافذ . ولديها ثلاثة صغار وهو يريد قتلها أيضا . وهو يقول ان القنافذ سيئة وانها تقتل الارانب الصغيرة .

واكملت كميلة قائلة

ـ وأنا أعتقد أنه يكذب . فالقنافذ لا تأكل سوى الحيوانات المضرة .

فردت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ ولم يكذب ، ياكميلة ؟

ـ لأنه يرغب في قتل القنافذ الصغيرة ، يا أمي .

ـ إذن أنت تعتقدين أنه فعلا شرير ؟ ولكي يتلذذ بقتل الحيوانات الصغيرة غير الضارة يبتدع الافتراءات ضدها !

ـ قد أكون مخطئة يا أمي . ولكن . هل تستطيعين إنقاذ هذه القنافذ الصغيرة ؟ إنها ظريفة جدا !

قالت السيدة (دي روسبوغ) ضاحكة :

ـ قنافذ وظريفة ؟ هذا ! أمر نادر . ولكننا نستطيع الذهاب لمعرفة الحقيقة ، وما إذا كان بالامكان ترك هذه الأيتام المسكينة تعيش .

انطلقت السيدتان والبنيات الثلاث باتجاه الحرج حيث ترك الحارس مع القنافذ . فلم يجدن الحارس ولم يكن هنالك قنافذ ، لاحية ولا ميتة . لقد اختفت جميعا .

قالت كميلة :

ـ «آه يا الهي ! هذه القنافذ المسكينة ، أنا متأكدة ان (نيكاز) قتلها »

أجابت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ سوف نتأكد من ذلك . فلنذهب الى منزله .

ركضت الفتيات الثلاث في الطليعة وأسرعن مندفعات الى منزل الحارس .

صاحت الصغيرات الثلاث معا :

ـ أين القنافذ ؟ أين وضعتها يا (نيكاز) .

كان الحارس يتعشي مع امرأته . فنهض ببرودة وأجاب بالبـرودة ذاتها :

ـ «لقد رميتها في المياه ، يا أنستي . انها في بركة البستان» .

كانت السيدتان (دي فلورفيـل) و(دي روسبورغ) قـد وصلتا الى مدخل البيت .

فقالت السيدة (دي فلورفيل)

لقد أخطأت ، يا (نيكاز) بعدم الانتظار . فالصغيرات كن يرغبن في الاحتفاظ بهذه القنافذ .

قال نيكاز :

ـ غير ممكن ، يا سيدتي . كانت نفقت خلال يومين . فهي صغيرة جداً . ومع ذلك انها من أسوأ أجناس القنافذ . ويجب القضاء عليها .

استدارت السيدة (دي فلورفيل) صوب الصغيرات اللـواتي بقين صامتات ومذهولات ، وقالت : لانستطيع ، ياصغيراتي العزيزات ، غير نسيان هذه القنافذ ؟ لقد اعتقد (نيكاز) أنه حسنا يفعل بقتلها . وفي الواقع ، ماذا كنتن فعلتن بها ؟ كيف تطعمنها وتعتنين بها ؟

وجدت الصغيرات أن السيدة (دي فلورفيل) محقة ، لكن تلك القنافذ كانت تثير شفقتهن . فلم يتفوهن بكلمة وعدن الى البيت منهوكات قليلاً . وكن على شفا معاودة الدروس عندما وصلت صوفي ممتطية حماراً برفقة خادمتها .

أرسلت السيدة (فيشيني) تبلغ أنها سوف تجيء الى العشاء وأنها تخلصت من صوفي بارسالها قبلها .

قالت صوفي :

ـ صباح الخير ، ياصديقاتي الطيبات ... نهارك سعيد يامرغـريت ! ماذا يامرغريت ، هل أنت تبتعدين ؟

ردت مرغريت :



ـ لقد تسببت في المرة الماضية بقصاص عزيزتي كميلة . فأنا لا أحبك يا آنسة .

عقبت كميلة قائلة :

ـ اسمعي يامرغريت . لقد استحققت قصاصي بسبب فورة عضبي . وانه لكريه جداً أن يغضب المرء .

قالت مرغريت وهي تعانقها بحنان :

ـ لقد غضبت من أجلي ياعزيزتي كميلة . أنت دائما طيبة جداً ! ولا تغتاظين أبدا .

كانت صوفي قد بدأت تحمر غضبا . لكن تصرف مرغريت بتحبب أوقف شعورها السيء . لقد أحست بالخطأ فاقتربت من كميلة وقالت لها وعيناها دامعتان :

ـ «كميلة ! ياكميلة الطيبة ! إن مرغريت لعلى صواب . فأنا المذنبة ، أنا التي ارتكبت الخطأ الأول عندما كانت مرغريت المسكينة تدافع عن فراولاتك فاجبتها بقساوة . وأنا التي أثرت غضبك العادل عندما دفعت بمرغريت وأوقعتها أرضا . لقد اسأت استعمال قوتي وأسأت الى عواطفك الطيبة والودية . وحسنا فعلت بصفعي . لقد استحققت الصفعة كل الاستحقاق . وأنت أيضا ياصغيرتي مرغريت الطيبة ، سامحيني ، كوني نبيلة مثل كميلة . فأنا أعرف أني سيئة . ثم أضافت وهي تذرف الدموع : لكني تعيسة جداً» !

عند هذه الكلمات قفزت كميلة ومادلين ومرغريت على صوفي ورحن يعانقنها ويضممنها بين أذرعهن .

ثم قالت كل من الثلاث معا :

ـ «ياعزيزتي صوفي لاتبكي . فنحن نحبك كثيرا ، تعالي غالبا لزيارتنا ، ونحن نحاول الترويح عنك» . جففت صوفي دموعها ومسحت عينيها وقالت :

ـشكراً شكراً ألف مرة ، ياصديقاتي العزيزات . سأحاول الاقتداء بكن لكي أكون صالحة مثلكن . أواه ! لو كان لي مثلكن أم طيبة ولطيفة لكنت أفضل كثيراً ! لكني أخاف من زوجة أبي ! فهي لا توجهني كيف أفعل ، انها دائما تضربني .

قالت مرغريت .

ـ «ياصوفي المسكينة ! انا مغتاظة كثيرا لأني كرهتك .

ـ لايا مرغريت . كنت على صواب لأني ، يوم جئت الى هنا ، كنت فعلاً مزعجة .

كميلة ومادلين استأذنتا صوفي لاتمام واجب مدرسي في الحساب والجغرافية ، وقالتا :

ـ«سوف ننتهي بعد نصف ساعة وننضم اليكما في الحديقة .

قالت مرغريت :

ـ أتودين مرافقتي ، ياصوفي ؟ فأنا ليس علي واجب مدرسي لأكتبه .

قالت صوفي :

ـ بكل طيبة خاطر ، سنلعب في الخارج .

قالت مرغريت :

ـ سأخبرك بما حصل هذا الصباح للقنافذ الصغيرة المسكينة ولأمها .

راحتا تمشيان ، ومرغريت تقص على صوفي حادثة الصباح بالتفصيل .

قالت صوفي :

ـ «وأين رميت هذه القنافذ ؟

قالت مرغريت :

ـ في بركة البستان .

ـ لنذهب ونر . سوف نلهو كثيرا .

ـ لكن يجب ألا نقترب كثيراً من المياه . لقد منعتنا أمي من ذلك .

ـ لا ! لا ! سوف نتطلع من بعيد .

وركضتا صوب البركة ، وعندما لم تريا شيئاً اقتربتا قليلا .

قالت صوفي :

ـ «ها هو واحد ! لم ينفق بعد . انه يتخبط . اقتربي ! اقتـربي ! هل ترين ؟

ـ أجل ! اني أراه ! ياللمسكين كم هو يتخبط ! الآخران نفقا .

ـ لو كنا نغطسه في المياه بوساطة قضيب فينفق بسرعة أكبر ؟ انه يتألم ، هذا التعيس .

ـ أنت على صواب . ياللحيوان المسكين ! أنظري إنه قريب منا .

ـ اليك بهذا القضيب الطويل : أضربيه على رأسه فيغوص .

ـ لا ! لا أرغب في الاجهاز على هذا القنفذ المسكين . ثم ان والدتي لاتقبل بأن اقترب من البركة .

ـ لماذا ؟

ـ كي لا انزلق وأقع في المياه .

ـ ياللخاطرة ! ليس هناك اي خطر .

ـ سيان عندي ! فأنا لا أعصي والدتي .

ـ حسنا ! أما أنا فلم يمنعني أحد من شيء . لذلك سأحاول اغراق هذا القنفذ الصغير .

وتقدمت صوفي بحذر صوب حافة البـركة ومـدت ذراعها وضربت القنفذ ضربة قوية بالقضيب الطويل الذي كانت تمسكه بيدها . فاختفى الحيوان المسكين لحظة ثم عام فوق المياه بعد تخبطه . فركضت صوفي الى المكان الذي ظهر فيه وضربته بقضيبها ضربة ثانية . انما كان عليها لكي تدركه ان تمد يدها كثيرا . وفي اللحظة التي هوى بهـا القضيب شدها ثقل جسمها وسقطت في المياه . صرخت يائسة واختفت .

قفزت مرغريت لنجدة صـوفي . ولمحت يدهـا المتعلقة ببـاقة وزّال فأمسكت بها وشدتها صوبها وتمكنت من اخـراج القسم الاعلى من جسم صوفي التعيسة من الميـاه ، ثم مدت لهـا اليد الثـانية لانجـاز

انتشالها .

وفي غضون بضع ثوان ناضلت مرغريت ضد الوزن الثقيل جداً الذي كان يشدها الى البركة . أخيراً خانت قواها شجاعتها وأحست مرغريت المسكينة انها تهوي مع صوفي . لكن الشجاعة الصغيرة لم تفقد صوابها على الرغم من الخطر المحدق بها وتذكرت أنها سمعت من يقول للسيدة (دي فلورفيل) انه عندما نبلغ قعر بركة يجب لبط الأرض بالرجل من أجل الصعود الى سطح المياه . وحالما أحست بالقعر لبطت الارض لبطة قوية فعامت فوراً فوق سطح المياه والتقطت دعامة كانت على مرمى يديها وتمكنت بوساطة هذه الدعامة من الخروج من البركة .

وعندما لم ترَ صوفي أسرعت وهي تقطر ماء صوب البيت وهي تصرخ : «النجدة !» وكان بالقرب من البركة حصادون وحصادات يشتغلون فأسرعوا على صراخها . فصرخت فيهم :

ـ «أنقذوا صوفي ! انقذوا صوفي ! إنها في البركة»

ولدى سماع الصراخ صاحت الحصادات الطيبات :

ـ الآنسة مرغريت سقطت في المياه . النجدة ! ومرغريت تشهق خائبة وتقول :

ـ صوفي تغرق . صوفي تغرق . أسرعوا لنجدتها .

احدى مجففات الحشيش وهي أذكى من غيرها ، أسرعت فوراً الى البركة ، ولمحت فستان صوفي الأبيض ظاهراً قليلا فوق سطح المياه ، فغمست مشبكا طويلا يستخدم في تحميل الحشيش وشبكت به الفستان وجرتها نحو الحافة ثم مدت يدها وأمسكت بقامة البنت الصغيرة وانتشلتها ، لكن بعناء كبير .

وبينما كانت الامرأة الطيبة تنقذ البنية . كانت مرغريت قد نسيت الخطر الذي أحدق بها شخصياً ولم تعد تفكر الا بصوفي فكانت تبكي بدموع حارة راجية عدم الاهتمام بهابل التوجه الى البركة .

كميلة ومادلين اللتان أسرعتا عند سمـاع الضجة ، زادتـا البلبلة بصراخهما وبالبكاء مع مرغريت . السيدتان (دي روسبورغ) و (دي فلورفيل) اللتان سمعتا ضوضاء غير عادية ، وصلتا بسرعـة واطلقتا كلتاهما صرخة رعب لدى رؤية مرغريت مبللة الشعر والثياب .

ـ بنيتي ! بنيتي صرخت السيدة (دي روسبورغ) ! ماذا أصابك ؟ ولم هذا الصراخ ؟

ـ أمي ، يا أمي العزيزة . صوفي تغرق . صوفي وقعت في البركة!

عند سماع هذه الكلمات ، ركضت السيدة (دي فلورفيـل) صوب البركة ! يتبعها الحارس والخـدم . وما هي إلا لحظـة حتى صادفت مجففة الحشيش وهي تحمل صوفي بين ذراعيها وصوفي تبكي بكـاء حاراً .

ـ وعنـدما شـاهدت السيـدة (دي روسبورغ) اضطـراب مـرغـريت وكآبتها ، ولم تكن تعرف ما الذي يحزنهـا هكذا ، وشعـرت بضرورة تهدئتها ، قالت لها بثقة :

ـ «لقد أنقذت صوفي ، ياعزيزتي . انهـا بحالـة جيدة . صـدقيني ! اطمئني واهدئي» .

ـلكن من أنقذها ؟ لم أشاهد أحدا .

ـ أسرع الجميع اليها بينما كنت آتية .

هذا التأكيد هدأ مرغريت . فسمحت بنقلها من دون مقاومة .

وبعد أن نشفت وجففت ، وألبست ثيابها ، سألتها أمها عما حصل . فقصت عليها مرغريت الحادثة كلها ولكن مع التخفيف مما كانت تشعر أنه سيء في اصرار صوفي على اهلاك القنفذ المسكين والاقتراب من البركة على الرغم من التحذير الذي أبلغ اليها . فقالت السيدة (دي روسبورغ) وهي تقبلها مراراً :

ـ «ترين ، يا ابنتي العزيزة ، اني كنت على حق في منعك من الاقتراب من البركة . لقد تصرفت كابنة صغيرة عاقلة ، شجاعة ونبيلة ... لنذهب

ونرما حل بصوفي» .

كانت صوفي قد نقلتها السيدة (دي فلورفيل) مع اليزا الى غرفة كميلة ومادلين اللتين كانتا برفقتهما وكانت ثيابها قد نزعت ونشفت وفرك جسمها ، والبست قميصا لكميلة ، عندما فتح الباب بعنف ، ودخلت السيدة (فيشيني) .

احمرت صوفي مثل كرزة . ثم ان ظهور السيدة (فيشيني) الثائر وغير المنتظر اذهل الجميع :

- «ماذا أسمع يا آنسة ؟ لقد وسخت فستانك الجميل وأتلفته بالسقوط غباء في البركة ! انتظري ، اني اجلب ما يجعلك أكثر اعتناء في المستقبل !» .

وقبل أن يتسنى لأحد أن يعترض ، سحبت من تحت شالها قضيبا صلبا ، وهجمت على صوفي وراحت تضربها ضربات متكررة على الرغم من صراخ الصغيرة المسكينة ، وبكاء كميلة ومادلين وتوسلاتهما ، ورغم لوم السيدة (دي فلورفيل) واليزا الحانقتين على هذه القساوة الزائدة . ولم تتوقف عن الضرب الا عندما انكسر القضيب بين يديها . عندئذ رمت كسر القضيب وخرجت من الغرفة . فتبعتها السيدة (دي فلورفيل) لتعبرلها عن استيائها من هذا العقاب الظالم والبربري .

أجابت السيدة (فيشيني) .

- «صدقيني ، ياسيدتي العزيزة ، هذه هي الوسيلة الوحيدة لتربية الأولاد . فالسوط هو سيد المعلمين . وفيما يخصني فأنا لا أعرف معلما آخر» .

لو أن السيدة (دي فلورفيل) لم تنصت الا لسخطها لكانت طردت من بيتها امرأة بهذه القساوة . لكن صوفي كانت تثير فيها شفقة عميقة . وفكرت أنها اذا اختلفت مع زوجة الأب فسوف تحرم البنت المسكينة من المؤاساة والمساندة . فكظمت غيضها وقصرت حديثها على مناقشة السيدة (فيشيني) مساوىء هذا القمع الشديد والقساوة . لكن كل هذه

المحاورات سقطت أمام قساوة قلب الأم السيئة وذكائها المحدود . ووجدت السيدة (دي فلورفيل) نفسها مجبرة على التصبر وتحمل رفقتها المقوتة .

عندما دخلت السيدة (دي روسبورغ) ومرغريت الى غرفة كميلة ومادلين فوجئتا بهما تبكيان ، وصوفي بالقميص تصرخ وتركض وتقفز لشدة أوجاعها : جسمها مخطط ومحمر بسبب القضيب الذي كان حطامه مبعثراً في الأرض .

وقفت السيدة (دي روسبورغ) ومرغريت جامدتين استغراباً :

ـ كميلة ! مادلين ! لماذا تبكيان ؟ قالتها مرغريت وهي تتهيأ أيضاً للبكاء . ما بها صوفي المسكينة ؟

ولم جسمها مليء بخطوط حمراء ؟

ـ زوجة أبيها الشريرة ضربتها ياعزيزتنا مرغريت . يالصوفي المسكينة ! يالصوفي المسكينة !

أحاطت الصغيرات الثلاث بصوفي وتمكنّ من مؤاساتها بالملاطفة والكلام الودي . في هذا الوقت كانت (اليزا) قد اخبرت السيدة (دي روسبورغ) عن قساوة السيدة (فيشيني) الباردة والتي لم تر في حادث ابنتها سوى فستان توسخ . وقد عاقبتها على ذلك الاهمال بهذا الجلد القاسي . وقد سخطت السيدة (دي روسبورغ) وعادل سخطها سخط السيدة (دي فلورفيل) و(اليزا) . لكنها تحملت أيضاً وجود السيدة (فيشيني) للاسباب ذاتها .

كانت كميلة ومادلين ومرغريت محتاجات الى مجهود كبير كي يبقين مهدبات مع السيدة (فيشيني) الى المائدة . أما صوفي المسكينة فلم تكن تجرؤ على الكلام ولا على رفع عينيها . وبعد العشاء حالا توجهت البنيات للعب خارجا . وعندما نهضت السيدة (فيشيني) للعودة طلبت منها السيدتان إرسال صوفي غالبا الى قصر (فلورفيل) . فقالت وهي ترمق صوفي بنظرة ازدراء ووعيد :

ـ «مادمتما انكما ترغبان في استضافة هذه المخلوقة الشريرة ، أكون مسرورة بالتخلص منها أغلب الأوقات الممكنة . انها سيئة لدرجة انها تفسد علي كل جولاتي للهو مع جيراني . الى اللقاء سيداتي العزيزات» .

ثم أضافت وهي تصفع صوفي صفعة قوية على رأسها :

ـ «اصعدي الى العربة ، أيتها الحمقاء الصغيرة» !

عندما انطلقت العربة لم ترغب كميلة ومادلين في التوجه الى اللعب لانهما لم تكونا قد تعافتا بعد من ذهولهما . فدخلتا البهو حيث تحادثتا مع والدتهما والسيدة (دي روسبورغ) عن صوفي وعن الوسائل التي تسمح بسحبها أطول وقت ممكن من منزل أمها . ومرغريت كانت نائمة منذ مدة طويلة . وانتهت كميلة ومادلين بأن توجهتا للنوم أيضا وهما تفكران بتعاسة صوفي وتحمدان الله الذي وهبهما أما ممتازة .



اجاصات مسروقة

بعد بضعة أيام من مغامرة القنافذ دعت السيدة (دي فلـورفيل) بعض الجيران الى العشاء وأشركت معهم السيدة (فيشيني) وصوفي .

كميلة ومادلين لم تكونا انيقتين قط وكان هندامهما بسيطا ونظيفا . كان كل من شعر كميلة الأشقر والطري ، وشعـر مادلـين الكستنائي الفاتح والناعم مثل الحرير ، مقسمـا الى خصلتين مملستـين جيداً ، ومضفورتين جيداً فوق الأذن بأمشاط صغيرة . وعندما كانت العائلة تستقبل ضيوفاً على العشاء كان يضاف الى ضفائرهما عقدة من مخمل أسود . فستاناهما كانا من قطن رقيق أبيض صاف وكان يكمـل هذا الهندام البسيط بنطلون بثنيات صغيرة ومداس من جلد . ومـرغريت كانت تتزيا مثلهما ، لكن شعرها الأسود ، بدلا من أن يكون مرفوعا ، كان يتدلى بتقاصيب على عنقها الجميل ، الأبيض والسمين . وفي أيام

الحركان عنق كل من الفتيات الثلاث مكشوفا والذراعان عاريتين . وفي ذلك اليوم الذي نتحدث عنه كانت الحرارة خانقة .

قبل العشاء بلحظات وصلت السيدة (فيشيني) وهي متبرجة تبرجا مثيراً للسخرية في الريف . فستانها الحريري الليلكي الفاتح كان مزينا بثلاث كارات فضفاضة مـزينة بمخمـل ومشغول عليهـا بيوت نحـل وتخاريم وصدر فستانها كان كذلك مبرقشا بالف زخرفة تجعله كالقسم الأسفل من الفستان مضحكا أيضا . وكانت التنورة واسعة لدرجة ان صوفي أبعدت الى المقعد الأمامي من العـربة كي تستـرخي السيدة (فيشيني) بمهابة مع فستانها في المقعد الخلفي . كان راس صوفي وحده يظهر من بين أكوام هذه الكارات التي تحجبها . كانت العربة مكشوفة وجمع المدعوين عند مدخل البيت عنـدما وصلت السيـدة (فيشيني) وترجلت طافرة ، سمينة ، حمراء ، وذات بثور . كانت عيناها تلمعان عجرفة . وكانت تعتقد أنها ستكون قبلة الأنظار إعجابا بفستانها الذي يشبه فستان أم الأولاد في مسرح العـرائس ، وبذراعيهـا الغليظتين العاريتين ، وبقبعتها الصغيرة التي تغطي شعرها الأصهب والمريشة بالف ريشة ، وكـل ريشة بلـون ، وبعقد الالمـاس على جبينهـا المليء بالبثور . لقد أحست برضى دفين عندما شاهدت التبرج البسيط للنساء الحاضرات . فالسيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) كانتا ترتديان فستانين أسودين صافيين من التفتاه . وشعر كل منهما مرفوع بشريطة ومجدول الى الخلف . وتصفيفته بسيطة من دون أية زينة أو غطاء . أما الجارات فكان بعضهن يرتدي الموسلين السادة والأخريـات الحريـر الخفيف . ولم يكن لأي منهن كارات للفستان ولا مصاغ ، ولا تصفيفة شعر غير مألوفة . ولم تكن السيدة (فيشيني) مخطئة في التفكير بالوقع الذي سيحدثه تبرجها ، لكنها أخطأت فقط في نوع هذا الوقع : فبدلا من أن يكون اعجاباً كان شفقة ساخرة .

ترجلت السيدة (فيشيني) من عربتها ، عارضة رجلها الغليظة المنتعلة حذاء من الأطلس الليلكي شبيها بفستانها وله شرابات من التخريم وهي تقول : ها أنذا ياسيداتي العزيزات مع صوفي مثل مار روكز وكلبه» .

وصوفي التي كانت في البدء مخفية بفستان زوجة أبيها ظهرت بدورها إنما بزينة مختلفة تماماً . كانت ترتدي فستانا من قطن رقيق مخيط مثل قميص ومربوط بعنقها ببريم أبيض وكانت ماسكة كفا بكف وتمد يديها لتغطي بطنها . فقالت لها السيدة (فيشيني) :

ـ «حيي بانحناءة يا آنسة . انحني أكثر ! ما نفع معلم الرقص الذي دفعت له طوال الشتاء عشر فرنكات لكل درس ليعلمك كيف تحيين وكيف تمشين بأناقة ؟ أية هيئة لهذه الحمقاء مع يديها الممدودتين على بطنها !

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ صباح الخير ياصغيرتي صوفي . اذهبي وعانقي صديقاتك . ثم أضافت لتصرف افكار السيدة (فيشيني) عن بنت زوجها : ما أجمل زينتك ياسيدة ! فنحن لانستحق أناقة كهذه مع زيناتنا البسيطة .

ـ كيف لاياسيدتي العزيزة ! أنتم تستحقون ان أرتدي جيداً لكي أليق بمقامكم . يجب أن أستهلك في الريف فساتيني القديمة !

وحاولت السيدة (فيشيني) ان تتخذ لها مكانا على أريكة بالقرب من السيدة (دي روسبورغ) لكن وساعة فستانها وصلابة تنانيرها الداخلية دفعتا الاريكة في الوقت الذي كانت تهم بالجلوس فوقعت السيدة (فيشيني) الأنيقة أرضاً ...

وانطلقت من الحضور ضحكة عارمة تحيي هذه السقطة التي انقلبت هزأة بسبب انتفاخ كل التنانير التي بقيت منفوشة وجاعلة فوق السيدة (فيشيني) دولابا ضخماً يظهر منه فقط ساقان غليظتان احداهما تهتز بغضب بينما الأخرى جامدة مع كل ضخامتها .

عندما شاهدت السيدة (دي فلورفيل) ضيفتها السيدة (فيشيني)

ممددة على الأرض كبتت توقها الى الضحك واقتربت منها وحاولت مساعدتها على النهوض ، لكن جهدها ظل عاجزاً فتقدم لمساعدتها جاراها السيدان (دي فورتيل) و(دي بلان) . وكان لابد من تعاون الثلاثة لانهاض السيدة (فيشيني) . كانت حمراء ، حانقة ، للضحك الذي أثاره هذا الحادث ، أكثر من السقطة ذاتها ، وكانت تشكو من التواء في ساقها .

وقفت صوفي بحذر جانباً ، بينما كانت زوجة أبيها تتلقى عناية النساء الحاضرات . وعندما عاد الهدوء والنظام طلبت صوفي من كميلة بصوت خفيض الاذن بالابتعاد . فقالت لها كميلة :

- «لماذا تريدين الابتعاد ؟ سنجلس الى العشاء ، فورا» .

ومن دون أن تجيب صوفي أبعدت يديها قليلا عن بطنها فاكتشفت كميلة بقعة كبيرة من القهوة بحليب .

قالت صوفي بصوت خافت جداً :

«أريد أن أغسل هذه .

- من أين جاءتك هذه البقعة في العربة ؟

- ليس في العربة وانما هذا الصباح على الفطور قلبت علي كوب القهوة .

- لماذا لم تبدلي فستانك قبل المجيء الى هنا ؟

- أمي لاتقبل . فمنذ أن وقعت في البركة وهي ترغب في أي تكون فساتيني مثل القمصان ، وان ارتديها ثلاثة أيام متتالية .

- كان على خادمتك ان تغسل هذه البقعة في الأقل وتكوي الفستان .

- أمي تمنعها . ولذلك فهي لاتجرؤ» .

نادت كميلة بالسرمادلين ومرغريت . وخرجت الفتيات الأربع مسرعات الى غرفتهن . أخذت مادلين مياها ومرغريت صابونا فغسلتا وفركتا بنشاط زائد حتى زالت البقعة ، لكن الفستان ظل مبللا ، فتابعت صوفي لصق يديها عليه حتى جف تماماً . ثم عدن الى البهو عندما كان الجميع ينهضون للجلوس الى المائدة . كانت السيدة (فيشيني) تعرج

قليلا ، وهي مغتبطة بالاهتمام الذي اعتقدت انها أثارته ولم تنتبه الى صوفي التي اغتنمت الفرصة لتأكل مقدار أربعة .

بعد العشاء ، خرج الجميع للتنزه وتوجهوا صوب البستان . فدلتهم السيدة (دي فلورفيل) على اجاصة من نوع جديد لها طعم وحجم ملفتان للنظر . وكانت الشجرة التي تحملها فتية وفيها أربع ثمرات فقط . ودهش الجميع من الحجم غير العادي لهذه الاجاصات .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «اني أدعوكم ، سيداتي سادتي ، الى تذوقها بعد ثمانية أيام . عندئذ يكون قد ازداد حجمها أكثر وحان نضوجها» .

قبل الجميع الدعوة ، وتابعوا استعراض الثمار والأزهار .

كانت صوفي في المؤخرة مع كميلة ومادلين ومرغريت . فأغوتها الاجاصات الجميلة . كانت ترغب فعلا في قطفها والتهامها . ولكن ما العمل ؟ فقد يشاهدها الجميع ... فقالت في نفسها : «لو كان بامكاني البقاء وحيدة في المؤخرة ! ولكن كيف لي ان أبعد كميلة ومادلين ومرغريت ؟ كم هن مزعجات . لايتركنني أبدأ وحيدة» !

وفيما هي تبحث عن ذريعة وحيدة خلف صديقاتها ، أحست أن ربطة جوربها سقطت : «حسنا ! هذه ذريعة !»

وتوقفت قرب الاجاصة الغاوية وأخذت باصلاح ربطة ساقها وهي تنظر بطرف عينها اذا كانت صديقاتها يتابعن طريقهن .

«ماذا تفعلين عندك ياصوفي ؟ سألتها كميلة وهي تستدير صوبها .

ـ اني أصلح ربطة ساقي التي انفكت .

ـ هل تريدين أن أساعدك ؟

ـ لا ! لا ! شكراً . أفضل أن أصلحها بنفسي .

ـ اذن سأنتظرك !

صوفي بنفاد صبر

ـ قلت لك أرجوك اذهبي فأنت تزعجينني .

تفاجأت كميلة باغتياظ صوفي ولحقت بمادلين ومرغريت . وما ان ابتعدت حتى مدت صوفي ذراعها وأمسكت اجاصة وقطفتها ثم وضعتها في جيبها . ثم مدت ذراعها مرة ثانية وفي الوقت الذي كانت تقطف الاجاصة الثانية استدارت كميلة فرأتها تسحب يدها بسرعة وتخبىء شيئاً تحت فستانها . لكن كميلة العاقلة ، والمطيعة التي كانت عاجزة عن ارتكاب عمل سيىء كهذا ، لم تشك في ما كانت صوفي قد ارتكبته .

قالت كميلة ضاحكة :

- «إذن ، ماذا تفعلين هناك ياصوفي ؟ ماذا تضعين في جيبك ؟ ولم أنت محمرة الوجه ؟

- أنا لا أفعل شيئاً ياآنسة . واني لا أضع شيئاً في جيبي ، ولست محمرة الوجه أبدا .

قالت كميلة بفكاهة :

- آه ! تقولين انك لست حمراء ! أنت محمرة فعلا . يامادلين ويامرغريت انظرا الى صوفي . هي تقول انها ليست محمرة الوجه .



صوفي باكية :

أنت لاتعرفين ما تقولين . وانت تصرخين بـأعلى مـا تستطيعين ، إني محمرة الوجه لتنكيدي والتسبب بتأنيبي .

أنا لست محمرة الوجه أبدا . هذه شناعة منك .

كميلة مفاجأة تماما :

صوفي ، عزيزتي صوفي ؟ ماذا بك اذن ؟ أنا لم أكن أقصد تنكيدك ولا التسبب في توبيخك . فاذا كنت أزعجتك سامحيني .

وهجمت كميلة الطيبة على صوفي لمعانقتها . فلما لامستها أحست بشيء صلب وضخم يحول بينها وبين صوفي . فخفضت عينيها وشاهدت جيب صـوفي منتفخا ، فمـدت اليـه يـدهـا من دون قصـد ولامست الاجاصتين . نظرت الى شجرة الاجاص وفهمت كل شيء . فقالت لها بلهجة لائمة :

ـ «آه ! ياصوفي ، كم انها سيئة فعلتك» !   فأجابت صوفي بغضب :

ـ اتركيني بحالي ، أيتها الجاسوسة الصغيرة . لم أفعل شيئاً . وليس لك الحق في توبيخي . اتركيني ولا تسمحي لنفسك ان تشي بي .

ـ أنا لا أشي بأحد مطلقاً ياصوفي . سأتركك ، فأنا لا أود أن أبقى قريبة منك ومن جيبك المليء بإجاصات مسروقة .

عندئذ بلغ غضب صوفي ذروته . ورفعت يدها لتضرب كميلة ففكرت ان العـراك سـوف يلفت الأنظـار فتضبط وهـي متلبسـة بسرقـة الاجاصات . فأنزلت ذراعها المرفوعة ، وأدارت ظهرها لكميلة وفرت من أحد مداخل البستان وأسرعت تختبىء وراء كتلة أشجار لتأكل الثمار المسروقة .

جمدت كميلة في مكانها تراقب صوفي هاربة ، فلم تلاحظ المتنزهين وقد عادوا جميعاً ولا النظرة المباغتة التي ترمقها بها والدتها ، والسيدة (دي روسبورغ) والسيدة (فيشيني) . صاحت السيدة (فيشيني) وهي توجه الكلام الى السيدة (دي فلورفيل) : «أسفة سيدتي العزيزة . إن

إجاصتين من إجاصاتك الجميلة قد اختفتا !»

ارتعدت كميلة ونظرت الى شجرة الاجاص ثم الى النسوة . فسألتها السيدة (دي فلورفيل) : «هل تعرفين ما حل بالاجاصتين ياكميلة ؟» وكميلة لم تكن تكذب مطلقاً . فأجابت :

ـ أجل يا أمي . أعرف .

ـ تظهرين كأنك المذنبة . ألست أنت التي قطفتها ؟

ـ آه ! لا يا أمي .

ـ إذن أين هما ؟ من سمح لنفسه بقطفهما ؟»

لم تجب كميلة .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

ـ «أجيبي ، ياصغيرتي كميلة . وبما أنك تعرفين أين هما فيجب أن تخبرينا .

قالت كميلة مرددة :

ـ أنا ، أنا ... لا أظن ياسيدتي ... أنا ... يجب أن لا أقول ...

السيدة (فيشيني) منفجرة بالضحك

ـ ها ! ها ! ها ! أنت مثل صوفي التي تسرق ثماري وتأكلها . وفيما بعد تكذب . ها ! ها ! ها ! هذا الملاك الصغير الذي لايفضل بكثير شيطاني ! ها ! ها ! اجلديها ، ياسيدتي ، تعترف .

فصرخت كميلة محتدة :

ـ لا ، ياسيدتي . أنا لا أفعل مثل صوفي . فأنا لا أسرق ولا أكذب أبداً .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ لكن ، ياكميلة ، اذا كنت تعرفين ماذا حل بهاتين الإجاصتين فلماذا لا ترغبين في اخبارنا» ؟

خفضت كميلة عينيها . واحمرت خجلا واجابت بصوت منخفض : «لا أستطيع»

كانت السيدة (دي روسبورغ) تثق بكميلة ثقة كبيرة فلم تتردد في

تصديق براءتها . وشكت في أن كميلة تتكتم عن اريحية . فأسرت بذلك الى السيدة (دي فلورفيل) التي نظرت مليا الى ابنتها وأحنت رأسها ثم ابتعدت مع السيدتين (دي روسبورغ) و(فيشيني) .كانت هذه الأخيرة مازالت تضحك متهكمة . اما كميلة المسكينة ، فعندما صارت وحدها ، انفجرت بالبكاء . وكانت مازالت تجهش بالبكاء عندما سمعت مادلين وصوفي ومرغريت ينادينها :

ـ «كميلة ! كميلة ! أين أنت ؟ نحن نبحث عنك منذ ربع ساعة»

نشفت كميلة دموعها بسرعة ،لكنها لم تستطع اخفاء احمرار عينيها وتورم وجهها . فسألتها مرغريت بقلق :

ـ «كميلة . عزيزتي كميلة . لماذا تبكين» ؟

ـ «أنا ... لا ... أبكي . فقط .. أنا ... مغتمة» .

ولم تستطع كبت دموعها فعادت الى النحيب . أحاطتها مادلين وكذلك مرغريت وغمرتاها بالقبل وهما تسألانها بالحاح أن تبوح لهما بسر كآبتها .

وما ان تمكنت كميلة من الكلام حتى أخبرتهما أنها اتهمت بأكل الاجاصات الجميلة التي كانت والدتها تحافظ عليها بعناية فائقة .

وحتى ذلك الوقت كانت صوفي ماتزال هادئة الأعصاب ، فاحمرت ، واضطربت ، ثم سألت بصوت متهدج من التأثر :

ـ «ألم تقولي أنك ... كنت تعرفين .. وتعلمين» ...؟

ـ أه ! لا ! لم أقل إني أعرف . لم أقل شيئاً .

ـ كيف ! أتعرفين من أخذ الإجاصات ؟

كميلة هامسة :

ـ أجل .

ـ ولماذا لم تقولي ؟

رفعت كميلة عينيها ونظرت الى صوفي ولم تجب .

راحت صوفي تضطرب أكثر فأكثر . وتعجبت مادلين ومرغريت من

ارتباك كميلة واضطراب صوفي . واخيراً لم تعد صوفي قادرة على كتم توبتها الصادقة وامتنانها لكميلة النبيلة فركعت أمامها على ركبتيها وقالت لها ، وهي تجهش بالبكاء :

ـ «سامحيني ! آه ! اعذريني ياكميلة الطيبة ! لقد كنت شريرة ، جداً لاتحقدي علي .»

كانت مرغريت تنظر الى صوفي بعين محمرة من الغضب . فلم تكن تغفر لها التسبب في حزن عزيزتها كميلة العميق ، فصرخت بها :

ـ «أيتها الشريرة صوفي . لاتأتين الى هنا الا لتتسببي بالشر . لقد تسببت ذات يوم بقصاص عزيزتي كميلة ، والان تدفعينها الى البكاء . اني أكرهك وهذه المرة لسبب وجيه ، اذ بسببك يعتقد الجميع ان كميلة شرهة وسارقة وكذابة» .

ادارت صوفي صوب وجهها المبلل بالدموع وأجابتها بكل عذوبة :

ـ «تذكّرينني ، يامرغريت ، بأنه يتوجب علي أيضاً شيء آخر غير طلب المسامحة من كميلة» . وأضافت وهي تقف : «فمنذ هذه اللحظة سأقول لزوجة أبي ولهؤلاء السيدات اني أنا التي سرقت الإجاصتين ، وأنا التي يجب أن تتلقى القصاص القاسي . وأما انت ، ياكميلة الطيبة والنبيلة ، فلا تستحقين سوى الثناء والمكافأة» .

ـ توقفي ، ياصوفي . صرخت كميلة وهي تمسكها بذراعها . وأنت يامرغريت اخجلي من قساوتك ، وقدري ندامتها» .

فتجاذبت مرغريت مشاعر متناقضة ثم اقتربت من صوفي وعانقتها والدموع تنهمر من عينيها . كانت صوفي مازالت تبكي وتحاول نزع يدها من يد كميلة لتسرع الى البيت وتعترف بكل شيء . لكن كميلة أمسكتها بقوة وقالت لها :

ـ «اسمعيني ، ياصوفي . لقد ارتكبت غلطة بل غلطة كبيرة جداً . لكنك أصلحت هذه الغلطة جزئيا عندما ندمت . فاعترفي بهذه الغلطة الى والدتي والى السيدة (دي روسبورغ) . لكن ، لماذا الاعتراف الى زوجة

ابيك القاسية جداً والتي ستجلدك ، عندما تعرف من غير شفقة ؟
ـ لماذا ؟ كي لاتبقى تظنك مذنبة . ستجلدني . أنا أعرف ذلك . ولكن ، الا أستحق الجلد ؟

في هذه اللحظة خرجت السيدة (دي روسبورغ) من الوأم الذي كانت البنيات يتكئن عليه والذي كان بابه مفتوحا وقالت : «لقد سمعت كل شيء يا أولادي . لقد وصلت الى الوأم في الوقت الذي كنتن تسرعن فيه الى كميلة . وأنا سأهتم بالقضية كلها . سأخبر السيدة (دي فلورفيل) الحقيقة ، وساخفيها عن السيدة (فيشيني) التي سوف سأقول لها فقط ان براءة كميلة اثبتها اعتراف المذنب الذي سأمتنع عن ذكر اسمه . ياصغيرتي كميلة ، لقد كان سلوكك جيداً ، وكريماً وهو يعلو على كل مديح . أما سلوكك انت ، ياصوفي ، فقد كان في البدء سيئاً حقاً لكنه انتهى جميلا ونبيلا . وانت يامرغريت ، لقد كنت قاسية جداً ، فمحبتك لكميلة جعلتك قاسية نحو صوفي . وانت ، يامادلين ، لقد كنت صالحة وعاقلة . والآن فلنسع الى نسيان كل شيء وانهاء النهار بمرح وبهجة . لقد حضرت لكنَّ مفاجأة : سنسحب اوراق يانصيب . فهناك جوائز لكل منكن .

هذا الاعلان بدد كل الغيوم . استعادت الوجوه اشراقها فتعانقت البنيات الأربع ثم أسرعن الى البهو . كان الجميع بانتظارهن لبدء السحب .

ربحت صوفي أثاث مطبخ جميلا وقرطاسية .

وربحت كميلة مكتبا جميلا مع علبة تلوين ومئة رسم لزخرفتها . وكل مايلزم للرسم والتلوين والكتابة . وربحت مادلين اربعين مجلداً من القصص الرائعة وعلبة جميلة لشغل الابرة مع كل مايلزم للشغل . أما مرغريت فكانت حصتها دمية رائعة من شمع وتجهيزاً كاملاً في خزانة جميلة ذات أدراج .

الدمية المبللة

بعد أن لعبت صوفي جيداً ، وتحادثت مع رفيقاتها وأكلت المثلجات ، (الدندرمة) والحلوى انصرفت مع زوجة أبيها . فذهبت كميلة ومادلين ومرغريت الى النوم .

قبلت السيدة (دي فلورفيل) كميلة عدة مرات . فالسيدة (دي روسبورغ) كانت أخبرتها قصة الإجاصتين . وكلتاهما شرحتا للسيدة (فيشيني) براءة كميلة من دون أن تجعلاها تشك في صوفي .

ومرغريت كانت مندهشة بدميتها الجميلة وبجهازها . فقد وجدت في الدرج الأعلى من الخزانة :

- قبعة من قش مستديرة ولها ريشة صغيرة بيضاء وشرائط من مخمل أسود .
- معطف من التفتا (الاستبرق) أزرق وله حواش وردية .

ـ مظلة خضراء مقبضها من عاج ، وستة أزواج من القفازات .
ـ اربعة أزواج أحذية ووشاحان من حرير .
ـ فروة يدين وشملة مبطنة بالفراء .
وفي الدرج الثاني :
ـ ستة قمصان للنهار ـ وستة قمصان للنوم . وستة سراويل .
ـ ست تنانير مطرزة تطريزا مفرضا ومزينة بأنسجة مخرمة .
ـ ستة أزواج جوارب ـ ستة مناديل ـ ست قلانس ليل ـ ست ياقات ـ ست مناشف للحمام ـ ستة شراشف ـ ستة أوجه وسادة ـ ست خرق صغيرة ـ ستة أزواج أكمام ـ مشدان ـ تنورتان من الصوف .
ـ كيس يحتوي على اسفنج ، ومشط كبير ، ومشط ناعم ، وفرشاة للشعر ، وفرشاة للأمشطة .

والدرج الثالث كان يحتوي على جميع الفساتين والمعاطف والأفرشة . فكان فيه :

فستان من صوف مريني ونسج اسكتلندي . فستان وردي من الخز فستان أسود من التفتا (الاستبرق) ـ فستان من قماش ازرق ـ فستان أبيض من حرير موصلي ـ فستان قطني من ننكين ـ فستان من مخمل أسود ـ مبذل ليلكي للبيت من التفتا . قميص من جوخ رمادي ـ قميص من مخمل أسود ـ مشلح قصير من حرير أسود ـ دثار[4] من مخمل أزرق ـ دثار مطرز من حرير موصلي أبيض .

كانت مرغريت قد نادت كميلة ومادلين لمشاهدة كل هذه الأشياء الجميلة . فقضين الوقت ذلك اليوم والأيام التالية في إلباس الدمية ثيابها وتعريتها منها وتنويمها .

وذات عصر نادتهن السيدة (دي فلورفيل) :

«كميلة ، مادلين ، مرغريت . اعتمرن قبعاتكن سنذهب في نزهة .
قالت كميلة :
ـ لنذهب بسرعة مع والدتي ! اتركي يامرغريت دميتك ولنسرع .

وقالت مرغريت :

لا ! سأخذ دميتي معي . اني أريدها دائماً بين ذراعي .

وقالت مادلين :

ـ اذا جررتها معك سوف تتوسخ وتتجعد .

ردت مرغريت :

ـ لكني لن أتركها تتجرجر مادمت أني سأحملها بين ذراعي .

ثم قالت كميلة :

ـ حسنا . حسنا . فلنتركها تفعل ما تشاء ، يامادلين ، سوف ترى لاحقا أن الدمية تزعج في الركض .

تشبثت مرغريت بحمل الدمية وانضمت الفتيات الثلاث بسرعة الى السيدة (دي فلورفيل) فقالت كميلة :

ـ «أين نذهب يا أمي ؟

ـ الى طاحونة الغاب يا أولادي .

قطبت مرغريت وجهها ، لأن الطاحونة كانت تقع عند طرف جادة طويلة والدمية ثقيلة قليلا على ذراعيها الصغيرتين .

وعندما وصلن الى منتصف الطريق وخافت السيدة (دي فلورفيل) أن يكن قد تعبن ، جلست عند جذع شجرة ضخمة وطلبت منهن أن يسترحن بينما هي تقرأ ، وسحبت كتابا من جيبها . جلست مرغريت بالقرب منها لكن كميلة ومادلين اللتين لم تكونا تعبتين ، راحتا تركضان يمينا ويسارا وتقطفان أزهاراً وفراولة .

«كميلة ! كميلة ! صرخت مادلين . تعالي بسرعة . انظري هذه البقعة الكبيرة المليئة بالفراولة .

ركضت كميلة ونادت مرغريت :

«مرغريت . مرغريت . تعالي أيضا بسرعة واقطفي الفراولة . انها ناضجة وممتازة .

أسرعت مرغريت للانضمام الى صديقتيها اللتين كانتا تجمعان

الفـراولة في أوراق كبـيرة من الكستناء . فـراحت هي أيضـا تقطف الفراولة . لكنها وجدت أن دميتها تزعجها . فلا يمكنها قطف الفراولة وحمل الدمية في يدها معا . والفراولة كانت تنعصر كلما زادت في يدها .
فقالت في نفسها بصوت خافت :
«ماذا أفعل يا الهي بهذه الدمية المزعجة ؟ انها تزعجني في الركض ،وفي قطاف الفراولة فكيف الاحتفاظ بها ؟ لو كنت أضعها عند جـذ ع هذه الشجرة حيث توجد طحالب فلسوف تكون بخير» .

أجلست مرغريت الدمية عند جذ ع الشجرة ، وقفزت من فرح لأنها تخلصت منها وراحت تقطف الفراولة بحماس .

بعد ربع ساعة ، رفعت السيدة (دي فلورفيل) عينيها وتطلعت الى السماء التي كانت تتلبد بالغيوم ، فوضعت كتابها في جيبها ، ونهضت ثم نادت البنات :

ـ «أسرعن ياصغيراتي ، أسرعن ولنـرجع الى البيت . هـذه عاصفـة تقترب . ولنحاول العودة قبل أن يبدأ المطر بالهطول» .

أسرعت البنيات الثلاث مع فراولتهن وقدمن منها الى السيدة (دي فلورفيل) .

فقالت السيدة (دي فلورفيل) .

ـ «ليس عندنا متسع من الوقت ، يابناتي ، لنتلذذ بأكـل الفراولـة . إحملنها معكن . وانظرن كم أن السماء اصبحت داكنة . وقد بتنا نسمع الصواعق .

قالت مرغريت :

ـ آه ! يا الهي ! أنا خائفة .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـمم انت خائفة ، يامرغريت ؟

ـمن الصاعقة . أخاف أن تقع علي .

ـ أولا ، عندما تقع الصاعقة فهي تقع غالباً على الأشجار أوعلى المداخن

التي هي مرتفعة أكثر من غيرها وتكون قمة عالية بالنسبة الى الغيوم .ثم أن الصاعقة لاتؤذي أبدا حتى ولو وقعت عليك ، لأنك ترتدين شالاً من حرير وعندك شرائط من حرير في قبعتك .

كيف ؟ هل يبعد الحرير الصاعقة ؟

ـ أجل . لاتلمس الصواعق أبدا الأشخاص الذين يحملون حوائج من حرير . فلي صديق يسكن باريس ، في شارع (فارين) ، عندما كان عائدا ، في الصيف الماضي ، الى منزله حدثت عاصفة فظيعة ، وقعت عليه صاعقة ، فأذابت ساعته ، والسلسلة ، وأزرار صدريته ، والمفاتيح التي كانت في جيبه ، وازرار الذهب في طقمة من دون أن تلحق به شخصيا أي ضرر ، ومن دون أن يطرش ، وذلك لأنه يتمنطق بزنار من حرير يتقي به الرطوبة .

ـ آه ! كم إني مسرورة لمعرفة هذا ؟ فأنا لن أخاف بعد الآن من الصاعقة .

ـ ها هي رياح العاصفة تهب . لنركض بسرعة فخلال عشر دقائق سوف



ينهمر المطر سيولا» .

راحت البنيات الثلاث يركضن ، تتبعهن السيدة (دي فلورفيل) وهي تمشي بسرعة كبيرة ، لكنهن عبثا يعجّلن فالعاصفة كانت تمشي اسرع منهن . بدأت نقاط المطر تتساقط أكثر تقاربا ، والريح تعصف بشدة . كانت البنيات يرفعن تنانيرهن فوق رؤوسهن ويضحكن وهن راكضات . كن يتلهين كثيراً بتنانيرهن المنفوخة . بالريح ، ونقاط من المطر كبيرة تبللهن وهن يتمنين تلقي العاصفة كلها قبل الوصول الى البيت . وما كدن يصلن الى الردهة حتى بدأ البرد والمطر يصفعان وجوههن ويبللانهن . فقالت السيدة (دي فلورفيل) :

«اذهبن بسرعة وبدلن أحذيتكن والجوارب والتنانير يابناتي» .

وصعدت هي نفسها الى غرفتها لتنزع ثيابها المبللة .

كان من المستحيل الخروج في أثناء بقية العشية . استمر هطول المطر بغزارة . لعبت الصغيرات لعبة الاستخفاء في البيت . ولعبت معهن السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) حتى الساعة الثامنة . توجهت مرغريت الى النوم . كميلة ومادلين تعبتا من اللعب ، وتناولت كل منهما كتابا وراحتا تقرآن بكل انتباه . كانت كميلة تقرأ (روبنسون السويسري) ومادلين حكايات (غريم) عندما وصلت مرغريت مسرعة وبقميص النوم ، حافية الرجلين تشهق وتصرخ .

رمت كميلة ومادلين كتابيهما وقفزتا الى مرغريت مرعوبتين . كذلك نهضت السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) فورا وسألتا مرغريت عن سبب صراخها .

لم تكن مرغريت تتمكن من الاجابة . فالدموع تخنقها . تفحصت السيدة (دي روسبورغ) ذراعيها ، وساقيها ، وجسمها وعندما تأكدت أن البنية لم تكن مجروحة ، انشغل بالها أكثر لكآبتها . وأخيراً تمكنت مرغريت من التلفظ :

- «دميتي ... دميتي» ...

ـ ماذا جرى لها ؟ سألتها السيدة (دي روسبوغ) . تكلمي ، يامرغريت ... أرجوك .

ـ دميتي ... دميتي الجميلة ... بقيت ... في ... الغابة ... عند جذع شجرة ... دميتي ..

دميتي المسكينة !

وعادت مرغريت تجهش بالبكاء بقوة .

فصرخت السيدة (دي روسبورغ) :

ـ «دميتك الجديدة في الغابة ! كيف وصلت الى هناك» ؟

ـ لقد حملتها معي في أثناء النزهة وأجلستها تحت سنديانة ضخمة ، لأنها كانت تضايقني في قطف الفراولة . وعندما هبت العاصفة هربنا وخفت من الصاعقة ونسيتها تحت الشجرة .

ـ قد تكون السنديانة قد حمتها من المطر . ولكن لماذا حملتها معك ! لقد قلت لك دائما الا تأخذي معك دمية عندما نذهب في نزهة طويلة .

ـ لقد نصحتني كميلة ومادلين بتركها ، ولكني لم أوافق .

ـ أنظري ياعزيزتي مرغريت ، كيف ان الله تعالى يعاقب العناد وعدم الصواب . لقد سمح بأن تنسي دميتك المسكينة ، وسوف تقلقين حتى صباح الغد لمعرفة ما اذا كانت مبللة أو تالفة ، أو ربما مزقتها الحيوانات التي تعيش في الغابة ، أو سرقها أحد المارة .

ـ «أرجوك ، يا أمي العزيزة» ، قالتها مرغريت وهي تجمع كفا الى كف ضارعة : أرسلي الخادم ليبحث عن دميتي في الغابة . سأشرح له تماما أين هي فيجدها حالا .

ـ كيف ! أتريدين أن يذهب خادم مسكين في هذا المطر الشديد الى غابة مظلمة فيتعرض للمرض أو لافتراس أحد الذئاب ؟ أنا لا أجد في هذا الطلب قلبك الطيب .

ـ لكن دميتي ماذا سيحل بدميتي المسكينة ؟ ياالهي ! ياالهي ! سوف تتبلل ، وتتوسخ وتضيع !

ـ ابنتي العزيزة ! أنا متأثرة جداً لما حصل معك ، حتى ولو كان بسبب غلطتك . لكننا لانستطيع الآن سوى الانتظار بصبر حتى صباح الغد . فاذا سمح الطقس سنذهب للبحث عن دميتك التعيسة .

خفضت مرغريت رأسها وتوجهت الى غرفتها وهي تبكي وتقول انها لن تنام في الليل . لم تكن ترغب في النوم ، لكن خادمتها وضعتها عنوة في سريرها . وبعد أن شهقت بضع دقائق غفت ولم تستيقظ الا في صباح الغد .

كان الطقس رائعاً . قفزت مرغريت من فراشها لترتدي ثيابها بسرعة وتركض للبحث عن دميتها .

عندما اغتسلت وسرح شعرها وألبست ثيابها وتناولت فطورها أسرعت للانضمام الى صديقتيها ووالدتها اللواتي كن حاضرات منذ وقت بعيد وينتظرنها للانطلاق .

فصرخت الفتيات معاً :

ـ «لننطلق . لننطلق بسرعة ، يا أمنا العزيزة ، ها نحن جاهزات .

ـ لنذهب ولنحث الخطى للوصول الى الشجرة حيث قضت الدمية المسكينة ليلة سيئة جداً .

وانطلقن في الطريق . كانت الأمّان تمشيان بسرعة تامة ، والبنيات يركضن بدل المشي لأنهن كن متلهفات للوصول . ولا واحدة منهن كانت تتكلم ، وكانت قلوبهن تزداد خفقانا كلما اقتربن أكثر من الشجرة . قالت مرغريت :

ـ«إني أرى السنديانة الضخمة التي يجب ان تكون الدمية عند جذعها» .

بعد بضع دقائق وصلن قرب الشجرة . فلم يجدن الدمية . ولاشيء يدل على أنها كانت هناك .

تطلعت مرغريت بصديقتيها وهي منذهلة . أما كميلة ومادلين فكانتا خائبتين .

سألت السيدة (دي روسبورغ) :
ـ ولكن ، هل أنت متأكدة تماما من أنك تركتها هنا ؟
ـ طبعا ! يا أمي ! طبعا . ثم قالت مادلين :
ـ «مع الأسف ! هذا هو الدليل» والتقطت من كومة العشب (بابوجا) صغيرا من الأطلس الأزرق .

أخذت مرغريت (البابوج) ، نظرت اليه ، ثم انفجرت بالبكاء . لم يتفوه احد بكلمة . أخذت الأمّان طريق العودة الى البيت ولحقتهما البنيات حزينات .

راحت كل واحدة تتساءل :
ـ «ماذا حل بهذه الدمية ؟ كيف اختفت ؟ كان يمكن للمطر أن يبللها ويوسخها ولكنه لا يستطيع اخفاءها ! والذئاب لا تأكل الدمى . فلم يود بها ذئب» .

وبينما هن يفكرن ويتألمن وصلن الى البيت . اتجهت مرغريت الى غرفتها ، أخذت كل اغراض دميتها المفقودة ، طوتها بنظافة وترتيب واعادتها الى ادراج الخزانة ، كما كانت وجدتها مصفوفةفيها . ثم أغلقت الأدراج ، سحبت المفتاح وحملته الى كميلة ، قائلة :

«خذي ياكميلة ، هذا هو مفتاح خزانتي الصغيرة . أرجوك ضعيه في مكتبك . وبما أن دميتي المسكينة قد فقدت فأنا أرغب في الاحتفاظ بأغراضها . عندما أجمع مالا كافيا ، سوف أشترى واحدة مشابهة لها تماما ، لتناسبها الفساتين والقبعات» .

كميلة لم تجب بل قبلت مرغريت ، وأخذت المفتاح وخبأته في أحد ادراج مكتبها وهي تقول :
ـ «يالمرغريت المسكينة» !

ومادلين لم تقل شيئا . كانت تتألم لحزن مرغريت ولا تعرف كيف تؤاسيها . وفجأة تألق وجهها ، فنهضت وأسرعت الى كيس اشغالها ، سحبت منه محفظة نقود وعادت مسرعة قرب مرغريت وقالت :

ـ «خذي ، ياعزيزتي مرغريت . هذا يمكّنك من شراء دمية . لقد جمعت خمسة وثلاثين فرنكا لأشترى كتبا ليست بي حاجة اليها . وأنا مسرورة لأني لم اشترها بعد ، وهكذا سيكون لك دمية تشبه تماما دميتك المفقودة . فقالت لها مرغريت وقد احمر وجهها فرحا :

ـ «شكراً ، ياعزيزتي مادلين الطيبة ! أواه ! شكراً . سأطلب من أمي أن تشتريها لي» .

وانطلقت الى السيدة (دي روسبورغ) التي وعدتها بتكليف أول شخص ذاهب الى باريس بأن يشتري لها دمية .



جانيت السراقة

لقد امتدحت مادلين مديحا استحقته ، لتضحيتها الكريمة . وكانت قد انقضت ثلاثة أيام على اختفاء الدمية ، ومـرغريت تنتظـر بفارغ الصبر أن يزور باريس أحد الأشخاص ليجلب لها الدمية التي وعدت بها . وبانتظار ذلك كانت تلهو بدمية مادلين .

كان الطقس حاراً والبنيات جالسات في البستان تحت أشجار وارفة الظلال : مادلين تقرأ وكميلة تضفر اكليلا من أزهار الربيع للدمية التي كانت مرغريت تمشطها قبل أن تضع لها الاكليل على رأسها . فمرت بالقرب منها (سوزان) ، بنت الخباز حاملة رغيفين الى المطبخ ، وتوقفت أمام مرغريت ، فتأملت الدمية بامعان وقالت :

ـ «دميتك في الاقل جميلة يا آنسة !

ـ الم تشاهدي أبدا دمى في مثل جمالها ، ياسوزان ؟

ـ عفوا ، آنستي . لقد شاهدت مساء أمس واحدة أجمل من دميتك .

ـ أجمل من هذه ؟ وأين ياسوزان ؟

ـ أه ! طبعا بالقرب من هنا . إنها تلبس فستانا جميلا من حرير ليلكي . وهي لجانيت .

ـ جانيت ! ابنة الطحان ! ومن أعطاها هذه الدمية الجميلة ؟

ـ أه ! لاأعرف يا أنستي . حصلت عليها منذ ثلاثة أيام» .

تبادلت كميلة ومادلين ومرغريت النظرات بدهشة . وبدأن جميعا يشككن في أن تكون دمية جانيت الجميلة هي ذاتها دمية مرغريت .

قالت كميلة :

ـ «وتلك الدمية . هل لها بابوج ؟

قالت سوزان ، ضاحكة :

ـ أه ! بابوج ، لا يا أنستي . تنتعل في رجل واحدة فردة حذاء أزرق جميل ، والرجل الثانية حافية . ولها أيضا قبعة صغيرة من قش مع ريشة بيضاء .

مرغريت قافزة عن كرسيها

ـ إنها دميتي ، دميتي المسكينة التي تركتها تحت سنديانة منذ ثلاثة أيام عندما هبت عاصفة هوجاء ثم لم أجدها منذ ذلك الحين .

قالت سوزان :

ـ فعلا لقد قالت لي جانيت إنها تلقت هذه الدمية هدية وأوصتني الا أتحدث عنها كي لايغار منها أحد .

قالت كميلة هامسة ، لمرغريت :

ـ اتركي سوزان تذهب ولنسرع الى أمي ونخبرها عما قالته لنا» .

نهضت كميلة ومادلين ومرغريت وأسرعن الى البهو حيث كانت السيدة (دي فلورفيل) تكتب ، بينما السيدة (دي روسبورغ) تضرب على البيانو .

كميلة ومادلين ، بتسرع كبير :

ـ «سيدتي ، سيدتي . أتسمحين لنا بالذهاب الى الطاحونة ؟ دمية

مرغريت مع جانيت . ويجب أن نسترجعها .
قالت السيدة (دي روسبورغ) :

يااللجنون ! أنتن تفقدن العقل . كيف يمكن لدمية مرغريت أن تكون قد وصلت الى بيت جانيت ؟

قالت مادلين :

-ولكن سوزان ياسيدتي ، شاهدتها هناك ! وقالت لها جانيت أنها تلقتها هدية وأوصتها بألا تخبر أحدا .

قالت السيدة (دي فلورفيل)

يا ابنتي العزيزة . قد تكون الدمية التي اعطيت لجانيت دمية لاتساوي خمسة وعشرين فلسا وترتدي ثوبا من الورق وسوزان تجدها رائعة لأنها لم ترقط في حياتها أجمل منها .

قالت مرغريت :

- لاياسيدتي . انها بكل تأكيد دميتي . فهي ترتدي فستانا ليلكيا من التفتا ، وفردة حذاء واحدة من أطلس أزرق ، وقبعة من قش لها ريشة بيضاء .

قالت السيدة (دي روسبرغ) :

- إسمعي ، ياصغيرتي مرغريت . اذهبي واطلبي من سوزان أن تأتي الي . سأستجوبها بنفسي واذا اقتنعت أن جانيت تحتفظ بدميتك ، نذهب فورا الى الطاحونة .

وانطلقت مرغريت كالسهم وعادت بعد دقيقتين تجر وراءها سوزان الصغيرة ، خجلة جدا لوجودها في بهو بهذا الجمال أمام هؤلاء السيدات .

قالت السيدة (دي روسبورغ):

- لاتخافي ، ياصغيرتي سوزان . أريد فقط أن أستوضحك بعض التفاصيل حول دمية جانيت الجميلة . هل صحيح أنها تملك دمية رائعة وتلبس ثيابا جميلة ؟

ـ من هذه الناحية ، أجل سيدتي .. انها جميلة جداً .
ـ كيف هو ثوبها ؟
ـ من حرير ليلكي ، ياسيدتي .
ـ وقبعتها ؟
ـ من قش ، سيدتي . وهي مدورة مع ريشة بيضاء وربطات للعقد من مخمل أسود .
ـ هل أخبرتك من أعطاها هذه الدمية ؟
ـ من هذه الجهة ، لا ياسيدتي . لم تقبل أن تسمي أحداً ، لأنها كما تقول منعت من الافصاح عمن أعطاها الدمية .
ـ هل تملك هذه الدمية منذ مدة طويلة ؟
ـ منذ ثلاثة أيام . ياسيدتي . تقول انها جلبتها من المدينة يوم العاصفة .
ـ شكراً ، ياصغيرتي سوزان . يمكنك الانصراف . خذي هذه الملبسات وتسلي بها في الطريق» . ووضعت لها في كفها قبضة كبيرة من الملبس . فاحمر وجه سوزان بهجة ثم حيت بانحناءة وانصرفت .

قالت السيدة (دي فلورفيل) للسيدة (دي روسبورغ) :
ـ صديقتي العزيزة . أنا متأكدة ان دمية مرغريت مع جانيت . فلنذهب اليها جميعاً . اعتمرن قبعاتكن ياصغيراتي ، ولنسرع الخطى الى الطاحونة .

لم تنتظر البنيات تكرار الدعوة ، ففي غضون ثلاث دقائق كن حاضرات للانطلاق . وانطلقن جميعاً . وبدل الوجوم والصمت اللذين جعلا النزهة ذاتها تعيسة منذ ثلاثة أيام ، كانت البنيات هائجات ومتحركات ويسرعن الخطو ، ويتحدثن معاً في الوقت عينه . وكن مسرعات لدرجة أنهن وصلن في أقل من نصف ساعة . كادت البنيات الثلاث يقفزن الى الطاحونة وينادين جانيت ليسألنها عن الدمية ، لكن السيدة (دي روسبورغ) أوقفتهن ، وقالت لهن :

ـ «لاتتبسن بأية كلمة ، يا بناتي ولا تعبّرن عن أي نفاد صبر ابقين قريباً مني ، ولا تتكلمن الا عندما تشاهدن الدمية .

وجدت الصغيرات صعوبة في كتم عواطفهن . كانت عيونهن تقدح شرراً ، ومناخيرهن منفوخة ، وأفواههن تنفتح للكلام ، وسيقانهن تكاد لاتحملهن . لكن الامّين جعلتاهن في الخلف وهكذا دخلن الطاحونة .

جاءت امرأة الطحان ففتحت الباب وحيت بكثير من الاحترام والتبجيل ، وقدمت لهن الكراسي للجلوس قائلة :

ـ «اجلسن ، سيداتي ، آنساتي . فهذه كراسي واطئة» .

فجلست السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) والبنيات .. كانت الصغيرات الثلاث يتحركن فوق كراسيهن . فأومأت اليهن السيدة (دي روسبورغ) أن لايعبرن عن نفاد صبر .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «حسنا ، أيتها الأم (ليونارد) ، كيف الأحوال ؟

ردت امرأة الطحان :

ـ هذا تشريف منك ياسيدتي . الأحوال جيدة والحمدلله .

ـ وابنتك جانيت ، أين هي ؟

ـ آه ! أنا لا أعرف أبداً أين تذهب ، ياسيدتي . يمكن أن تكون في الطاحونة .

ـ بنياتي يرغبن في رؤيتها . ناديها اذن ...

الأم (اليونارد) وهي متجهة صوب الباب :

ـ جانيت ! جانيت ! (بعد انتظار لحظة) . جانيت ، تعالي بسرعة ! أين أنت مختبئة ؟ انها لاتأتي !

يجب الاقرار بأنها لاتجرؤ .

ـ لماذا لاتجرؤ ؟

ـ آه ! عندما تشاهد سيدات محترمات ، تتأثر قليلا . وتضطرب من السرور الذي يحدثنه فيها .

ـ وعلى الرغم من ذلك أرغب في التكلم معها . فاذا كانت فتاة عاقلة وطيبة فاني قد جلبت لها شالا حريريا جميلاً ووزرةً لأيام الاحاد .

تحركت الأم (ليونارد) فنادت ابنتها وركضت من البيت الى الطاحونة وجلبت جانيت التي كانت مختبئة . كانت تجرها بذراعيها وجانيت تقاوم بقوة .

الام (ليونارد)

ـ ألن تتوقفي عن المقاومة ، أيتها الشريرة وقليلة الأدب ؟

جانيت ، صارخة

ـ أريد الانصراف . أتركيني . أنا خائفة .

ـ مم تخافين ، يا فاقدة الحس ؟ فهؤلاء السيدات لايرغبن في أكلك ؟

توقفت جانيت عن المقاومة . فافلتت الأم (ليونارد) ذراعها . فهربت جانيت واختبأت في غرفتها . ثار غضب الام (ليونارد) وخافت أن تفقد الشال والوزرة . فنادت جانيت :

«أيتها الابنة الشريرة . ايتها الصغيرة الغريبة الأطوار . سأجيء والتقطك وأعصر لك كليتيك عصراً سوف ترين .»

أوقفتها السيدة (دي فلورفيل) وقالت لها : لاتذهبي ، أيتها الأم (ليونارد) . اتركيني أكلمها . سوف أجدها . اتبعيني فأنا أعرف البيت جيداً .

ودخلت السيدة (دي فلورفيل) الى غرفة جانيت تتبعها الأم (ليونارد) . وجدتاها مختبئة وراء كرسي . فسحبتها السيدة (دي فلورفيل) من مخبئها من غير أن تقول لها كلمة . ثم جلست على الكرسي وأمسكتها بيديها الاثنتين وقالت لها :

ـ «لماذا تختبئين ياجانيت ؟ في المرات السابقة كنت تركضين الي عندما أجيء الى الطاحونة» .

فلم تجب جانيت وبقيت حانية رأسها .

ـ «جانيت ، أين وجدت الدمية الجميلة التي شوهدت عندك ذلك النهار ؟

جانيت بانفعال :

ـ سوزان كذابة . لم تشاهد عندي دمية أبدا . لم أقل لها شيئا ، ولم أحدثها عن شيء . انها اختلقت لك أكاذيب .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ كيف تعرفين أن سوزان هي التي أخبرتني ؟

جانيت منفعلة :

ـ لأنها تسيء الي دائما ، لقد أخبرتك حماقات .

ـ لكني ، أسألك مرة ثانية ، لماذا تتهمين سوزان ، مادمت أني لم اسمها لك ؟

ـ لايجب تصديق سوزان ولا الأخريات . لم أقل مطلقا إني حصلت على دمية . ليس عندي دمية أبدا . انها كلها أكاذيب .

ـ كلما تحدثت تيقنت أنك تكذبين . تخافين أن أسترجع الدمية التي وجدتها في الغابة يوم العاصفة .

ـ أنا لا أخاف شيئا . لم أجد شيئا تحت السنديانة ودمية مرغريت ليست عندي مطلقا .

ـ من أين تعرفين أني أحدثك عن دمية مرغريت التي كانت تحت السنديانة ؟

وعندما رأت جانيت أنها تفضح نفسها اكثر فأكثر أخذت تصرخ وتقاوم . تركتها السيدة (دي فلورفيل) تذهب وبدأت تبحث عن الدمية . فتحت الخزانة والصندوق فلم تجد فيها شيئا . وأخيرا ، انتبهت الى ان جانيت كانت مختبئة قرب السرير كما لو أنها تمنع البحث في تلك الجهة . فانحنت ولمحت الدمية عند أقصى الغرفة تحت السرير . فاستدارت صوب الام (ليونارد) وأمرتها بلهجة صارمة أن تجلب الدمية . أطاعت الام (ليونارد) وهي ترتجف من الخوف وسلمت الدمية الى السيدة (دي فلورفيل) .

فسألتها السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «هل كنت تعرفين أن هذه الدمية مع ابنتك ؟»
فأجابت الام (ليونارد) :
ـ من هذه الناحية ، لا ياسيدتي العزيزة والطيبة . لو كنت عرفت لكنت أمرتها أن تحملها الى القصر لأنها تعرف أن هذه الدمية تخص الآنسة مرغريت . لقد وجدناها رائعة عندما جاءت بها الآنسة مرغريت في المرة الاخيرة . (ثم استدارت نحو جانيت) . آه ! أيتها المخلوقة الشريرة والسراقة الصغيرة السافلة ، سترين كيف سأصلحك . وألقنك درساً يحرمك أن تسرقي أو تكذبي في المستقبل . كم هذا يهزني هزاً . لقد لاحظت أنك كنت تكذبين على السيدة من حين فتحت فمك المليء بالأكاذيب . سأجلدك عما قريب انتظري لن تفلتي من العقاب .

راحت جانيت تبكي ، وتصرخ ، وتستعطف ، وتحتج عبثا أنها لن تفعلها ثانية أبدا . فلم يرق قلب الام (ليونارد) وكانت تبعدها من وقت الى آخر بصفعة أو بلكمة . خافت السيدة (دي فلورفيل) أن يكون قصاصها قاسياً جداً فراحت تهدىء الأم (ليونارد) ونجحت في أخذ وعدٍ منها بألا تجلد جانيت ، وأن تكتفي بحبسها في غرفتها خلال ماتبقى من النهار . كانت البنيات منذهلات من هذا المشهد . فأكاذيب جانيت المكررة ، واضطرابها أمام الدمية المكتشفة وغضب الأم (ليونارد) وتهديداتها كلها أمور جعلتهن يرتعشن تأثرا . أعادت السيدة (دي فلورفيل) الدمية الى مرغريت من دون أن تتفوه بكلمة ثم ودعت الأم (ليونارد) وخرجت مع السيدة (دي روسبورغ) تتبعهن البنيات الثلاث . وبعد بضع لحظات من انطلاقهن وصلت الى أسماعهن صرخة حادة أوقفتهن جميعا . ثم تلتها صرخات أخرى أقوى وأكثر حدة أيضا : كانت جانيت تتلقى ضربات سوط الأم (ليونارد) . لقد جلدتها طويلا ، اذ ظلت البنيات حتى مسافة بعيدة يسمعن صيحات السراقة الصغيرة وتضرعاتها . هذه النهاية المأساوية لقصة الدمية المفقودة تركت البنيات طيلة النهار تحت تأثير حزن عميق ورهبة حقيقية .



زيارة الى صوفي

«ياصاديقاتي العزيزات. تعالو الى العشا عندي غدن . أمي تطلب هاذا من امكن . نتعش عند الساعة خمسة . لنلعب قبل ونزهب نتنزه بعد . أنا اشارط أني ارتكبة اغلاط في الكتابة . لاتسخرو مني أرجوكم» .

«صديقتكن صوفي»

تلقت كميلة هذه البطاقة بعد قصة الدمية ببضعة أيام ، وعندما رأت هذه الاغلاط الاملائية الواهية ، لم تتمالك نفسها عن الضحك . وبما أنها كانت طيبة جداً ، فلم تطلع عليها مادلين ولا مرغريت بل قصدت أمها وقالت لها :

«أمي ، كتبت الي صوفي تقول ان السيدة (فيشيني) تدعونا جميعا الى العشاء عندها في الغد .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ ياه ! ياه ! ياللازعاج ! هل أنت مسرورة بهذه الدعوة ، ياكميلة ؟

ـ كثيرا ، يا أمي . فأنا أحب هذه المسكينة صوفي التعيسة جداً .

ـ هذا كرم منك ، ياعزيزتي كميلة . قد تسببت لك بالعقاب والتوبيـخ مرتين .

ـ أواه ! يا أمي . لقد لامت نفسها كثيراً فيما بعد !

السيدة (دي فلورفيل) معانقة كميلة

ـ حسنا ، حسنا جداً ، ياصغيرتي كميلة الطيبة . أجيبيها اذن اننـا سنذهب غداً من دون شك . شكرت كميلة أمها واسرعت تعلم مادلين ومرغريت . ثم كتبت هذا الى صوفي :

«عزيزتي صوفي

«والدتي والسيدة (دي روسبورغ) ستلبيان غدا دعوة زوجة أبيك الى العشاء . وستصطحباننـا معهما : مـادلين ، مـرغريت وأنـا . نحن مسرورات جداً . لن نرتدي فساتين أنيقة لنتمكن من اللعب بحرية . الى اللقاء ، ياعزيزتي صوفي . أقبلك» .

«كميلة دي فلورفيل»

بقيت البنيات طيلة النهار منشغلات بزيارة الغد . مرغريت كانت ترغب في ارتداء فستان من الحرير الموصلي الابيض . ومادلين وكميلة كانتا ترغبان في ارتداء فساتين بسيطة من كتان . وكانت مرغريت ترغب في حمل دميتها الجميلة معها ، فقالت لها مادلين :

ـ «احترسي يامرغريت . تذكري السنديانة الضخمة وجانيت .

ـ ولكن غداً لن تهب عاصفة ، ولن يكون هناك غابة ولا جانيت .

ـ طبعا لا ، ولكن يمكنك نسيانها في مكان ما ، أو تركها تقع وتتكسر .

ـ انه لمزعج أن أترك دميتي المسكينة دائماً في البيت . انها تضجر هذه المسكينة . فهي لاتخرج أبداً !

ولا ترى أحداً أبداً !

أخذت كميلة ومادلين تضحكان . وبعد لحظة تردد ضحكت معهما مرغريت ، واعترفت أن ترك الدمية في البيت أفضل .

وفي صباح الغد ، قامت البنيات باعمالهن كالعادة . وعند الساعة الثانية بعد الظهر توجهن لارتداء ثيابهن ، وفي الثانية والنصف ركب الجميع عربة مكشوفة : ركبت السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) في المقعد الخلفي ، والبنيات الثلاث في المقعد الأمامي . كان الطقس رائعا . وبما أن قصر السيدة (فيشيني) كان على مسافة فرسخ فقط ، فقد دامت الرحلة أقل من عشرين دقيقة . كانت السيدة (فيشيني) الضخمة تنتظرهن عند المدخل وكانت صوفي واقفة خلفها لاتجرؤ على الظهور خوفا من الصفعات .

صرخت السيدة (فيشيني) :

نهاركما سعيد ، سيدتيّ العزيزتين . ونهاركن سعيد يا آنساتي العزيزات . كم هو لطيف وصولكن باكرا ! سيكون لدى البنات متسع من الوقت للعب ولدينا نحن الامهات وقت للتحادث . أطلب منكن فضلا سيدتيّ العزيزتين وهو يختص بهذه التافهة صوفي . سأهديكما إياها لبضعة أسابيع اذا كنتما تتقبلانها وتبقيانها عندكما خلال مدة غيابي في سفرة ضرورية .

فوجئت السيدة (دي فلورفيل) ولم تجب . وانتظرت من السيدة (فيشيني) أن توضح لها الازعاج في هذه الهدية . ثم دخلت السيدات البهو ، وبقي الصغار في الردهة .

فسألت مرغريت :

«ماذا قالت زوجة أبيك ، ياصوفي ؟ أتريد أن تعطيك الى أمي ؟ الى أين تريد الذهاب من دونك ؟»

فأجابت صوفي وهي تتنهد :

ـ لا أعلم شيئا . أعرف فقط انها منذ يومين تضربني باستمرار وترغب في

تركي وحيدة هنا ، مدة قيامها بسفرة الى ايطاليا .
فسألتها كميلة :
ـ وهل تكونين منزعجة لذلك ؟
ـ آه ! من أجل هذا ، لا . وخاصة اذا كنت سأسكن عندكن . سأكون سعيدة جداً معكن ! لا أضرب أبدا ، ولا أوبخ ظلما . لن أكون وحيدة ومتروكة طيلة أيام بكاملها لا أتعلم شيئا ، ولا أعرف ماذا أفعل ، وأتضجر . يصدف معي غالبا أن أبكي طيلة ساعات متواصلة من دون أن يهتم بي أحد ، ومن دون أن يحاول أحد أن يؤاسيني .
ودمعت عينا صوفي . فأحاطتها الصغيرات الثلاث وقبلنها وتمكن من مؤاساتها . وبعد عشر دقائق كن يركضن في الحديقة ويلعبن لعبة الاستخفاء . كانت صوفي تضحك وتلهو بقدر ما تلهو الأخريات .
وبعد ساعتين من الركض واللعب تعبن من الحرارة ودخلن البيت .
قالت صوفي :
ـ ياالهي ! كم أنا عطشى !
قالت مادلين :
ـ لماذا لا تشربين ؟
ردت صوفي :
ـ لأن زوجة أبي تمنعني من ذلك .
تساءلت مرغريت :
ـ كيف ! لا تستطيعين حتى شرب كوب من المياه ؟
قالت صوفي :
ـ لاشيء البتة حتى موعد العشاء . وعند العشاء كوب واحد فقط .
قالت مرغريت :
ـ مسكينة صوفي . لكن هذا فظيع .
في هذا الوقت علا صوت السيدة (فيشيني) الرهيب وهي تصرخ :
ـ «صوفي ! صوفي ! تعالي الى هنا ، يا آنسة . حالا .

أسرعت صوفي شاحبة الوجه وهي ترتجف لدخول البهو حيث كانت السيدة (فيشيني) . وخافت كميلة ومادلين ومرغريت على صوفي المسكينة . بقين في البهو الصغير ، يرتجفن أيضاً وينصتن بآذان صاغية . صاحت السيدة (فيشيني) بغضب :

ـ «قربي ايتها السراقة الصغيرة . لماذا شربت النبيذ ؟

صوفي مرتجفة

ـ أي نبيذ يا أمي ؟ أنا لم أشربْ نبيذاً .

السيدة (فيشيني) وهي تدفعها بجفاء :

ـ أي نبيذ ياكاذبة ؟ نبيذ الدورق الذي في غرفة ملابسي .

ـ أؤكد لك ياأمي اني لم أشرب نبيذك . ولم أدخل غرفتك .

ـ ها ! أنت لم تدخلي غرفتي ! ولم تدخلي من الشباك ! فما هي اذن هذه الآثار التي تركتها قدماك على الرمل أمام شباك غرفتي !

ـ اؤكد لك يا امي ...

لم تمهلها السيدة (فيشيني) لتنهي كلامها : قفزت عليها وامسكتها من أذنها وجرتها الى الغرفة المجاورة . وعلى الرغم من احتجاجات صوفي وبكائها راحت تجلدها وتضربها حتى كلت يداها . وخرجت من الغرفة وهي محمرة من الغضب . وكانت صوفي التعيسة تتبعها وهي تجهش بالبكاء . وعندما استعدت السيدة (فيشيني) لتترك البهو والذهاب لملاقاة صديقتيها استدارت صوب صوفي وصفعتها صفعة اخيرة أوقعتها أرضا . عندئذ عادت للجلوس على الأريكة وهي منهوكة القوى حانقة . وكان السخط يمنع تينك السيدتين من الكلام . كانتا تخشيان ان عبرتا عما تكابدان أن يزداد غضب هذه المرأة الشريرة وتتراجع عن فكرة ترك صوفي في قصر (فلورفيل) في اثناء سفرها الوشيك. وصمتت النسوة الثلاث، راحت السيدة (فيشيني) تتروح بالمروحة، والسيدتان (دي فلورفيل)و (دي روسبورغ) تشتغلان في تطريزهما من دون ان تنبسا بكلمة.

قالت السيدة (فيشيني):

- ان ما حصل الان، ياسيدتي، يدفعني اكثر من السابق للافتراق عن صوفي. انما اخشى ان لا تكونا راغبتين في ان تستقبلا في بيتكما فتاة كثيرة الشر ولا تطاق.

قالت السيدة (دي فلورفيل) ببرود:

- انا لا اخاف، ياسيدتي من شر صوفي. انا متأكدة اني سأجعلها تطيعني من غير عناء.

قالت السيدة (فيشيني):

- اذن انت موافقة على تخليصي منها؟ احذرك من ان غيابي سيطول. فلن اعود قبل شهرين او ثلاثة.

ردت السيدة (دي فلورفيل) دائما ببرود:

- لاتشغلي بالك في الوقت الذي سيستغرقه غيابك، ياسيدتي، فأنا مسرورة بأن اقدم لك هذه الخدمة.

- ياالهي! كم انت طيبة، ياسيدتي العزيزة! وكم انا شاكرة! وهكذا استطيع ان ابدأ بتحضير استعدادات السفر.

- متى تشائين، سيدتي.

- كيف! هل استطيع السفر بعد ثلاثة ايام؟

- غداً ان شئت.

- ياللسعادة! كم انت محبة! هكذا استطيع ان ارسل اليك صوفي بعد غد.

- حسنا، سيدتي. سأنتظرها.

- اياك سيدتي العزيزة ان تدلليها. ادبيها من غير شفقة. انت ترين كيف تجب معاملتها.

في هذا الوقت ذهبت صوفي لتنضم الى صديقاتها اللواتي كن شاحبات من الخوف والقلق. لقد سمعن كل شيء. وظنن ان صوفي المتألمة من العطش قد شربت فعلا نبيذ غرفة الملابس وانها لم تجرؤ على

الاعتراف بذلك خوفا من الضرب. فقالت كميلة وهي تشد على يد صوفي التي تبكي:

- ياعزيزتي صوفي المسكينة. كم اشفق عليك! وكم انا متألمة لانك لم تعترفي لزوجة ابيك بأنك شربت هذا النبيذ لانك كنت تموتين عطشا! لو اعترفت لما كانت ضربتك اقسى مما فعلت بل لعل العكس كان الصحيح.

اجابت صوفي وهي تنشهق:

- لم اشرب هذا النبيذ. اؤكد لك اني لم أشربه.

فسألتها مادلين:

- واذن ما آثار الاقدام هذه على الرمل والتي تحدثت عنها زوجة ابيك؟ الست انت التي قفزت من الشباك؟

- كلا! كلا! لست انا. وانا لا اكذب عليك. اني اؤكد لك اني لم اهرب من الشباك ولم المس هذا النبيذ.

وبعد بعض المناقشات التي لم توضح من يكون الفاعل الحقيقي، اصلحت البنيات بقدر ما يستطعن من هندام صوفي المسكينة. فكميلة ربطت لها فستانها ومادلين سرحت شعرها، ومرغريت غسلت لها يديها والوجه. على الرغم من ذلك بقيت عيناها مورمتين. وتوجهن بعدئذ الى الحديقة لمشاهدة الازهار وقطف باقات منها، والقيام بزيارة الى زوجة البستاني.



زيارة الى البستان

صوفي كانت ماتزال مغتمة، ومشيتها متضايقة بسبب الضربات التي تلقتها. فتركت صديقاتها يتمتعن بالازهار ويقطفن منها باقات، وذهبت تستريح عند امرأة البستاني.

حيتها الام (لوشيه):

ـ نهارك سعيد، آنستي. شاهدتك تعرجين وانت آتية، ويبدو عليك الانزعاج. فهل انت مريضة مثل (بالمير) التي اصيبت بالتواء في رجلها، وهي لا تستطيع المشي ابدا؟

ـ كلا! ايتها الام (لوشيه)، انا لست مريضة.

ـ آه! حسناً، هذا يعني ان امك قد ارتكبت حماقة اخرى من حماقاتها. انها تصفع بقساوة عندما تصفعك. لانها لا تتطلع، فقد تصيب الرأس او العنق او الذراعين. كل شيء مسموح لها.

صوفي لم تجب. فقد كانت تبكي.

قالت الام (لوشيه):

- اسمعي، ياآنستي، لايجوز البكاء هكذا. ولا يجوز ان تكوني خجلة. هذا يؤلم، ترين. نحن نعرف ان حياتك ليست مفروشة بالورود. كنت اقول الى ابنتي (بالمير) منذ لحظة: آه! لوكنت اؤدبك كما تؤدب السيدة (فيشيني) الانسة صوفي، لما كنت عاصية هكذا. ولو كنت رأيت منذ قليل، كيف عادت الى البيت: فستانها ملطخ، ويدها ووجهها مغطيان بالرمل! وذلك لانها سقطت سقطة قوية!

قالت صوفي:

- كيف سقطت؟

- آه! صدقيني انا لااعرف شيئاً! وهي مع ذلك لاترغب في اخباري. فمن غير شك كانت تلعب في القصر، لانه ليس عندنا رمل هنا مطلقاً. ثم ان فستانها ملطخ لطخات حمر. كالنبيذ. وليس عندنا سوى عصير التفاح. ونحن لا نعرف النبيذ في بيتنا.

ردت صوفي متعجبة :

- نبيذ . من أين حصلت على النبيذ ؟

- آه ! صدقيني أنا لا أعرف شيئا ! وهي لاتريد اخباري .

- هل شربت النبيذ من غرفة ملابس زوجة أبي ؟

- آه ! قد يكون ذلك صحيحا . انها تذهب غالبا الى هناك لتوصل أعشابا تستخدمها والدتك في حماماتها . وقد تكون شربت جرعة وهي لاتجرؤ على البوح بذلك . آه ! لوكنت اتأكد من الأمر لاجلدها بحزم ، تماما كما تجلدك أمك .

- لقد جلدتني زوجة أبي لأنها ظنت أني شربت نبيذها . مع أني لم أشربه .

تغيرت سحنة الأم (لوشيه) ، وبدا انها ، اغتاظت . فصرخت : هل من الممكن ، أيتها الآنسة المسكينة ، ان تكون (بالمير) قد ارتكبت هذا

الفعل الشنيع وأنت عوقبت بدلاً منها ؟ آه ! لكن ... لن يحملها هـذا العمل الى الجنة ، طبعا ... (بالمير) تعالي اذن الى هنا لأكلمك ...

كانت بالمير ، في الغرفة المجاورة فاجابت :

ـ لا أستطيع ، يا أمي . فرجلي تؤلمني كثيراً .

ـ إذن ، سأجيء أنا اليك ، والآنسة صوفي أيضا .

ودخلتا كلتاهما غرفة (بالمير) التي كانت ممددة على فراشها ، ورجلها حافية ومورمة .

سألت الأم (لوشيه) ابنتها :

ـ قولي ، أيتها الخبيثة ، أين لويت ساقك هكذا ؟

احمر وجه (بالمير) ولم تجب .

قالت الأم (لوشيه) :

سأقول لك ، أنا . دخلت الى غرفة ملابس السيدة (فيشيني) من أجل أعشاب الحمام . شاهدت القنينة ، أحببت أن تذوقيها ، فنقطت على فستانك وأنت تشربين ، فهربت من الشباك ، فوقعت ولم تجسري على اخباري لأنك تعلمين جيداً أني سأجعلك تتذوقين ضربـات عصاي . أليس كذلك ؟ ...

بالمير ، باكية :

أجل ، يا أمي ، هذا صحيح . هذا ما حصل فعلا . لكن الله تعالى عاقبني ، فأنا أتألم كثيرا من ساقي ومن ذراعي .

ـ وهل تعلمين أن هذه الانسة المسكينة قد جلدتها السيدة (فيشيني) ، وأنها معكرة المزاج وتعرج بسببك ؟ وهل تظنين أني سأترك هذا يمر من غير أن أقول كلمة ومن غير أن أريك بعضا من ضرباتي المتتالية ؟

قالت صوفي ، مذعورة :

ـ أواه ! أيتها الأم (لوشيه) الطيبة ! أرجـوك ، إذا كنت تكنين بعض المحبة لي فلا تعاقبيها . انظـري كم هي تتألم من رجلهـا ، ياللنبيـذ الملعون !

لقد تسبب بكثير من الشر عندنا . انسي ما حصل أيتها الأم (لوشيه) الطيبة وسامحي بالمير ،كما أنا أسامحها .

بالمير ضامة كفيها :

- أواه ! يا آنستي ، كم أنت طيبة ! وكم أنا متأسفة لأنك ضربت بسببي ! لو كنت أعلم ذلك لما كنت لمست نبيذ الشؤم هذا أبدا . أواه ! سامحيني يا آنستي ! فسوف يعاملك الله تعالى بالمثل .

اقتربت صوفي من سرير بالمير فأمسكت يديها وعانقتها . فمسحت الأم (لوشيه) دمعة تدحرجت على خدها وقالت :

- «أترين يا (بالمير) ، ما هي عاقبة تعمد الأذى ؟ فهذه الآنسة صوفي أمامك وكأن جيشاً من القطط قد هشم جسدها . وانت سبب كل ذلك . ثم ، هل تضمر لك حقداً في قلبها ؟ أبداً ، بل فوق ذلك هي تطلب مسامحتك . فيجب أن توقدي لها شمعة لشكرها . فلولاها لكنت عاقبتك كأفضل ما يكون العقاب . لكن مراعاة لهذه الآنسة الطيبة فاني أسامحك . صلي الى الله تعالى كي يسامحك هو أيضا . لقد ارتكبت حماقة كاملة . أليس كذلك ؟ فلا تكرريها .

كانت بالمير تبكي شفقة وندامة . وصوفي كانت سعيدة لأنها وفرت على (بالمير) الآلام المبرحة التي كانت ماتزال تحس بها شخصيا . وكانت الأم (لوشيه) معترفة بالجميل لأنها لم تضطر الى ضرب (بالمير) التي كانت تحبها بحنان ، ولا تعاقبها أبدا من دون أن يحز ذلك في قلبها . لذلك شكرت صوفي من أعماق قلبها . وفي وسط هذا المشهد دخلت كميلة ومادلين ومرغريت . فأخبرتهن الأم (لوشيه) ما حصل ، وكم كانت صوفي كريمة مع (بالمير) . فعانقت الصديقات الثلاث صوفي واستحسن ما قامت به . فسألتها كميلة :

- «ياعزيزتي صوفي الطيبة . ألا تشعرين بالسعادة لأنك وفرت عن (بالمير) العقاب الذي كانت تستحقه ، وقاومت رغبة الانتقام لما تحملته من آلام ظالمة بسبب الخطأ الذي ارتكبته ؟

ـ بلى ، ياعزيزتي كميلة . فأنا سعيدة لأني حصلت على مسامحتها . ولكني لم أكن أية رغبة في الانتقام . فأنا أعلم كم أن العقاب الذي كان يتهددها رهيب . وكنت أيضا أخاف عليها كما أخاف على نفسي .

عانقت كميلة ومادلين أيضا وكذلك صوفي . ثم ودعت الصغيرات الأربع (بالمير) والأم (لوشيه) وعدن الى البيت ، اذ كان الجرس قد أعلن موعد العشاء



سفر

كانت صوفي خائفة من دخول البهو . فرجت صديقاتها الدخول قبلها حتى لاتلمحها زوجة أبيها . ولكنها عبثا اختبأت وراء كميلة ومادلين ومرغريت فلم تختف عن عين السيدة (فيشيني) التي صرخت :

ـ كيف تتجاسرين على العودة الى البهو ؟ أتعتقدين أني أسمح لسارقة وكذابة مثلك الجلوس الى المائدة للعشاء ؟

أجابت مادلين بجرأة :

ـ سيدتي ، ان صوفي بريئة . ونحن نعرف الآن من شرب نبيذك . لقد قالت صوفي الحقيقة عندما أكدت لك أنها ليست الفاعلة .

ـ ها ! ها ! صغيرتي العزيزة . لقد لفقت لكن الأكاذيب . فأنا أعرفها ، وسوف أجعلها تتناول العشاء في غرفتها .

تابعت مرغريت الاجابة بغضب :

ـ سيدتي ، أنت الشريرة . وصوفي طيبة جداً . ان (بالمـير) هي التي شربت النبيذ وقد طلبت صوفي أن تسامحها والدتها التي كانت تـريد جلدها . وأنت جلدت صوفي المسكينة من دون أن تنصتي اليها . وانا أحب صوفي ولا أحبك .

السيدة (فيشيني) ضاحكة بعناء

ـ أحسنت ياجميلة ! فأنت مهذبة جداً ، ومحبة جداً في الواقع ! وقصة (بالمير) هذه من اختراعاتك .

قالت كميلة :

ـ ان مرغريت تقول الحقيقة ، ياسيدتي . لقد حملت بالمير أعشابا الى غرفة ملابسك، وشربت نبيذك ، ثم قفزت من الشباك ولوت رجلها . لقد اعترفت بكل شيء لوالدتها التي كانت ترغب في جلدها ولكنها سامحتها بناء لتضرعات صوفي . وأنت ترين ، ياسيدتي ، أن صوفي بريئة وأنها صالحة جداً وأننا جميعا نكن لها كثيرا من المحبة .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

ـترين كذلك، ياسيدة (فيشيني) أنك عاقبت صوفي ظلما وأنه يتوجب لها تعويضاً منك . لقد كنت تقولين منذ قليل أنك ترغبين في السفر عاجلا وان صوفي تضايقك في تحضير طرودك . فهل تسمحين باصطحابها معنا هذا المساء ؟ هكذا يكون لك ملء الحرية لاعداد تحضيرات السفر .

خجلت السيدة (فيشيني) من اثبات ظلامتها لصوفي أمام الملأ ، فلم تجرؤ على رفض طلب السيدة (دى روسبورغ) ، فنادت ابنة زوجهـا وقالت لها بوجه عابس :

ـ اذن ستذهبين هذا المساء ، يا آنسة . سأطلب تحضير لوازمك . (لم تستطع صوفي كبت فرحتها) . اعتقد أنك مغتبطة لتركي . وبمـا انه لاشعور عندك ولا عرفان بالجميل ، فاني أعفيك من الكتابة الي . ولن أتعب نفسي كذلك في اعلامك بأخباري التي لاتكترثين لها بقدر ما أكترث

لاخبارك . (بعد أن استدارت نحو السيدتين) لنذهب الى العشاء ، سيدتيّ العزيزتين . فلدى عودتي سوف أدعوكما مع جميع الجيران لأقرأ انطباعاتي عن السفرة . سيكون ذلك مسليا .

واتجهت السيدتان تتبعهما البنيات للجلوس الى المائدة . استغلت صوفي ، كالعادة اغفال زوجة أبيها لتأكل من كل شيء . وذلك العشاء الفاخر وتأكدها من اصطحاب السيدة (دي فلورفيل) لها ذلك المساء ، قد مَحَوَا من بالها تأثير واقعة الصباح .

بعد العشاء ، ذهبت الصغيرات مع صوفي الى البهو الصغير حيث كانت ألعابها وحوائجها الصغيرة . وجمعن رزمة من لعب وجهازها الذي كان تعيسا للغاية . والباقي لم يكن يستحق الحمل .

اما السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) اللتان كانتا تنتظران بفارغ الصبر لحظة وداع السيدة (فيشيني) ، فطلبتا عربتهما .

قالت السيدة (فيشيني) :

ـ «كيف ! الآن ياسيدتيّ العزيزتين ؟ مازالت الساعة الثامنة .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ آسفة جدا سيدتي لتركك باكرا ، لكني أرغب في العودة قبل هبوط الليل . قالت السيدة (فيشيني) :

ـ ولماذا قبل هبوط الليل ؟ فالطريق جميلة جدا ، والقمر بدر .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

ـ مازالت مرغريت صغيرة جدا على السهر ، وأخشى أن تتعب .

قالت السيدة (فيشيني) :

ـ آه ! سيدتي . في آخر سهرة نقضيها معا يمكنكما جعل مرغريت تسهر قليلا .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

ـ نحن متأسفات جدا ، سيدتي ، لكننا نتمسك كثيراً بعدم ترك

البنيات يسهرن .

حضر خادم يعلم بوصول العربة . اعتمرت الصغيرات قبعاتهن . خفت صوفي الى قبعتها واتجهت صوب الباب خوفا من أن تنسى . ودعت السيدة (فيشيني) السيدتين والبنات . ونادت صوفي بلهجة جافة :

- تعالي ودعيني ، يا آنسة . أيتها الخبيثة من دون قلب . تبدين مغتبطة بالذهاب . أنا متأكدة أن هؤلاء الآنسات لايودعن أمهاتهن من غير بكاء .

فقالت مرغريت بحماسة :

- من المؤكد أمي ما كانت لتسافر وتتركني ، وكذلك السيدة (دي فلورفيل) من غير كميلة ومادلين . نحن نحب امهاتنا لأنهن أمهات ممتازات . فلو كن شريرات لما كنا نحبهن .

ارتجفت صوفي . أما كميلة ومادلين فتبسمتا . وأما السيدتان (دي فلورفيل) و (دي روسبورغ) فقد عضتا على شفتيهما كي لاتضحكان . واحمرت السيدة (فيشيني) من الغضب ، وقدحت عيناها شرراً .

وكانت توشك أن تصفع مرغريت ، لكنها تمالكت نفسها ونادت صوفي مرة ثانية ، فقبلتها في جبينها قبلة جافة وقالت لها وهي تدفعها :

- أرى ، يا آنسة ، أنك تقولين عني لصديقاتك أشياء حسنة ! احترسي جيداً . سأعود ذات يوم ! فالى اللقاء .

همت صوفي بتقبيل يد السيدة (فيشيني) ، فضربتها هذه بقفا كفها وهي تسحبها بغضب . فتفادت البنية الضربة وصعدت بسرعة الى العربة .

ودعت السيدتان (دي فلورفيل) و (دي روسبورغ) السيدة (فيشيني) لآخر مرة ، وجلستا في مؤخرة العربة وأجلستا كميلة على

مقعد القيادة ، وصوفي ومرغريت في مقدمة العربة ، ثم انطلقت الجياد . وماكادت صوفي تتنفس بحرية حتى سمعت : «توقفوا ! توقفوا !» كادت صوفي المسكينة يغمى عليها . خشيت أن تكون زوجة ابيها قد غيرت رأيها واستدعتها ثانية . أوقف الحوذي الاحصنة : وصل خادم الى باب العربة وهو يلهث تعباً ، وقال :

- «سيدتي ... تقول ... للآنسة صوفي ... أنها نسيت ... حوائجها ... وأنها لن تحصل عليها الا غدا صباحا ... الا اذا كانت آنستي تفضل العودة ... للبيت في المنزل .

عادت صوفي الى الحياة . ولفرحتها مدت يدها الى الخادم وقالت له :

- «شكراً ، شكراً يا أنطوان . أنا متكدرة لانك تلهث من الركض بسرعة . أشكر عني زوجة أبي وقل لها بأني لا أرغب في ازعاجها . واني أفضل الاستغناء عن حوائجي وسأنتظر وصولها غدا لدى السيدة (دي فلورفيل) .

الى اللقاء يا أنطوان .

لاحظت السيدة (دي فلورفيل) ، هلع صوفي فأمرت الحوذي بالانطلاق وبسرعة . وبعد ربع ساعة توقفت العربة أمام مدخل قصر آل (دي فلورفيل) ، وقفزت صوفي السعيدة الى الأرض خفيفة كالريشة وهي تشكر ربها والسيدة (دي فلورفيل) على الوقت الجيد الذي ستمضيه بالقرب من صديقاتها .

أوعزت السيدة (دي فلورفيل) الى الخادمتين للاعتناء بصوفي . واتخذ قرار بأن تنام مع مرغريت في الغرفة ذاتها ، حيث غفت بسلام حتى صباح الغد .



صوفي تأكل الكشمش وها هي النتيجة

كان قد مضى على صوفي خمسة عشر يوما في قصر (فلورفيل) . وكانت تشعر أنها سعيدة جداً ، وان كل عيوبها وعاداتها السيئة شبه محذرة . ففي الصباح ، عندما تستيقظ من النوم ، كانت تقفز من سريرها فتغتسل وترتدي ثيابها ، وتتلو صلاتها مع صديقاتها . ثم يتناولن الفطور معا . ولم تعد صوفي محتاجة الى سرقة الخبز لاشباع نهمها . كانت تعطى منه قدر ما تشاء . في الأيام الأولى لم تكن تصدق سعادتها . وكانت تأكل بقدر ما تستطيع أن تبلع . وبعد ثلاثة أيام ، عندما تيقنت تماما أنها كلما جاعت يقدم لها الطعام وأنه لاداعي لملء معدتها صباحا عن كل النهار ، أصبحت أكثر اعتدالا في الأكل وصارت تكتفي مثل صديقاتها بقطعة خبز مع الزبدة وكوب من الشاي أو الشوكولاته . وفي الأيام الأولى ، كانت على الغداء

والعشاء تسرع في الأكل خوفا من اخراجها عن المائدة قبل أن تكون قد شبعت . فسخرت منها صديقاتها . ووعدتها السيدة (دي فلورفيل) بالا تطردها أبداً عن المائدة ، وبأن تتركها دائما تنهي طعامها بهدوء . فخجلت صوفي ووعدت بأن تأكل في المستقبل بنهم اقل .

قالت مادلين :

ـ «عزيزتي صوفي ، يظهر عليك دائما أنك خائفة . تهربين وتختبئين لأشياء بريئة جداً» .

ـ ذاك اني أتصور دائما سماع صوت زوجة أبي . وانسى باستمرار اني معكن أنتن الطيبات جداً ، وأني سعيدة وسعيدة جداً !

قالت صوفي هذه الكلمات وعيناها مغرورقتان بالدموع ، وقبلت يد السيدة (دي فلورفيل) التي قبلتها هي بدورها وبكل حنو . صوفي متأثرة

ـ أواه ! ياسيدتي ، كم أنت طيبة ! اني أطلب كل يوم من الله تعالى أن يبقيني دائما معكن .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ ليس هذا ما يجب طلبه من الله تعالى . يابنيتي المسكينة . يجب أن تطلبي اليه أن يجعلك عاقلة جداً ، ومطيعة تماما ، وصالحة حتى يرق قلب زوجة ابيك فتستطيعين العيش معها بسعادة .

لم تجب صوفي بشيء . كان يظهر عليها أنها وجدت نصيحة السيدة (دي فلورفيل) صعبة التطبيق . ومرغريت بدت مندهلة كأن السيدة (دي فلورفيل) قالت شيئا يتعذر تنفيذه . ولاحظت ذلك السيدة (دي روسبورغ) . فقالت وهي تبتسم :

ـ «ما بك يامرغريت ؟ لِمَ تتطلعين الى السيدة (دي فلورفيل) وأنت مندهشة ؟

ـ يا امي ... لأني لا أحب ان ... انا غاضبة من أجل ... لا أعرف

كيف أعبر عن ذلك ... لأني لا أريد ان أطلب من الله تعالى أن تعود السيدة (فيشيني) لتجلد مجددا هذه المسكينة صوفي .

ـ لم تقل السيدة (دي فلورفيل) انه يجب أن تطلبي هذا من الله تعالى : قالت ان على صوفي أن تطلب جعلها صالحة جدا ، حتى تحبها زوجة ابيها وتجعلها سعيدة .

ـ ولكن السيدة (فيشيني) ، يا أمي ، شريرة جداً ، ولا يمكن ان تكون صالحة . انها تكره صوفي كثيرا ، ولن تجعلها سعيدة . واذا رجعت ستسترجع صوفي لتجعلها تعيسة .

ـ ياصغيرتي العزيزة ، إن الله تعالى قادر على كل شيء : فهو يستطيع تغيير قلب السيدة (فيشيني) . وصوفي التي يجب ان تطيع الله وتحترم زوجة ابيها ، يجب أن تطلب منه كي تصير صالحة كفاية لتحنن قلب زوجة أبيها ، وتجعلها تحبها .

ـ أود من كل قلبي أن تصير السيدة (فيشيني) صالحة ، لكني أرغب أكثر أن تبقى حيث هي وتترك لنا صوفي نهائيا .

ـ ان ما تقولينه الآن ينم عن طيبة قلبك ، يامرغريت . ولكن ، لو فكرت لوجدت أن صوفي تكون أكثر سعادة اذا أحبتها زوجة أبيها وعاشت معها لاعند الغرباء الذين ، ولاشك يحبون كثيرا صوفي ، لكنهم غير ملزمين بشيء لها ، وليس لها الحق في أن تطالبهم بشيء .

قالت صوفي :

ـ هذا صحيح ، يامرغريت . لو تحبني يوما زوجة أبي مثلما تحبك أمك ، فسأكون سعيدة مثلك ولن أظل قلقة لما سأصير اليه بعد بضعة أشهر .

مرغريت متنهدة :

ـ وعلى الرغم من ذلك ، سأخاف كثيرا عندما تعود السيدة (فيشيني) .

قالت صوفي بصوت منخفض :

ـ وأنا أيضا ...

نهض الجميع عن المائدة . بقيت الأمّان في البهو لتشتغلا ، وتلهت البنيات في قلب أرض حديقتهن بالمر . كميلة ومادلين كلفتا مرغريت وصوفي بالبحث عن بعض شتلات الكشمش والعليق وقلعها وجلبها لكي تزرع في الحديقة .

ـ «الى أين نذهب ؟» قالت مرغريت .

ردت صوفي :

ـ لقد شاهدت هناك في البعيد ، قرب الحرج ، كشمشات وعليقات رائعة .

ـ أليس من الأفضل لنا أن نطلب مساعدة البستاني ؟

ـ اني ماأزال راغبة في رؤية تلك التي أخبرتكن عنها . فاذا لم نستطع اقتلاعها نطلب من الوالد (لوفروا) مساعدتنا .

وانطلقتا ركضا ، ووصلتا في غضون بضع دقائق قرب الجنبات التي رأتها صوفي . وكم كانت فرحتهما كبيرة عندما شاهدتاها مغطاة بالثمار ! هجمت صوفي عليها وراحت تأكل منها بنهم كبير ، وخاصة الكشمش . أما مرغريت فذاقتها وتوقفت .

فقالت لها صوفي :

ـ «كلي . ياغبية . اغتنمي الفرصة .

ـ أية فرصة ؟ اني آكل منها كل يوم على المائدة ،

صوفي ملتهمة بشراهة :

تكون أفضل عندما نقطفها بأنفسنا . ثم اننا نأكل قدر ما نشاء . يا الله ما أطيبها !

كانت مرغريت تراقبها تأكل وهي مندهشة . فهي لم ترقط في حياتها من يأكل بهذا النهم وهذه السرعة . وأخيرا لما لم تعد صوفي قادرة على البلع أطلقت زفرة ارتياح ومسحت فمها ببعض الأوراق .

قالت مرغريت :

ـ «لِمَ تمسحين فمك بأوراق ؟
ـ لكي لا تشاهد بقع الكشمش على منديلي .
ـ ولم لا ؟ فالمناديل مصنوعة من أجل البقع .
ـ اذا عرف أحد أني اكلت كشمشا فسأعاقب .
ـ ياللخاطرة ! لن يقول لك أحد شيئا . فنحن نأكل مانريد .
صوفي مندهشة
ـ تأكلن ماتردن ؟ ولاتمرضن من كثرة الأكل ؟
ـ أبدا . فنحن لا نأكل كثيراً أبداً ، لأننا نعرف أن الشراهة عيب كريه .

وصوفي التي أحست كم كانت شرهة ، احمرت خجلا ، وحاولت تحويل انتباه مرغريت فاقترحت عليها اقتلاع بعض جذور الكشمش لحملها الى صديقتيهما . وكادتا تبدآن المهمة اذ سمعتا نداء :
«صوفي ، مرغريت ، أين انتما ؟»
ردت صوفي ومرغريت :
ـ نحن هنا ، نحن هنا . اننا نقتلع الشتلات .
أسرعت كميلة ومادلين .
قالت كميلة
ـ «ماذا تفعلان اذن منذ ما يقارب الساعة ؟ كنا دائما بانتظاركما . وها ان الساعة المخصصة لنزهتنا قد انقضت الآن : فيجب أن نذهب للعمل .
قالت مادلين :
ـ لكن ، بم تلهيتما ؟ فليس هناك شتلة واحدة مقلوعة !
مرغريت ضاحكة :
ـ ذاك أن صوفي كانت تروح عن نفسها وتأ ...
صوفي ، بحدة
ـ اسكتي أيتها النمامة ، ستسببين لي التوبيخ .

قالت مرغريت :

- لكني أؤكد لك أنك لن توبخي . فوالدتي ليست مثل والدتك .

قالت كميلة :

- ماذا ؟ ماذا حصل ؟ قولي يامرغريت . وأنت ، ياصوفي ، أتركيها تتكلم .

قالت مرغريت :

- الحقيقة أننا هنا منذ ما يقارب الساعة . وبدلا من اقتلاع الشتلات قضت صوفي الوقت وهي تأكل كبوش العليق والكشمش ، وأنا أراقبها مندهشة . فكم كانت تأكل بسرعة ! لم أرقط في حياتي من يأكل هذا المقدار في غضون هذه الفترة الوجيزة من الوقت . وكان ذلك يسليني كثيراً .

قالت مادلين :

- لماذا أفرطت في الأكل ياصوفي ؟ ستمرضين .

صوفي ، منزعجة

- آه ! كلا ، لن أمرض . وكنت جائعة جداً .

- جائعة ؟ كيف ؟ لقد كنا خارجات لتونا عن المائدة !

- لم أكن جائعة الى اللحم ، لا ، بل الى الكشمش .

- ها ! ها ! جائعة للكشمش ! .. ولكن كم أنت شاحبة ! أنا متأكدة أن بطنك يؤلمك .

صوفي ، غاضبة قليلاً

- أبداً ، يا آنسة . بطني لا يؤلمني . فما زلت جائعة جداً وأستطيع أن آكل أيضا سلة ملأى بالكشمش .

قالت مادلين :

- أنا أنصحك أن تجربي . لكن ، ياصغيرتي صوفي . لاتغضبي وارجعي معنا» .

كانت صوفي تشعر بانزعاج قليل ، ولم تجب . وتبعت صديقاتها

الى البيت . في أثناء الطريق لم تتفوه بكلمة . اعتقدت كميلة ومادلين ومرغريت أنها حردة . فكن يتحادثن من غير أن يوجهن اليها الكلام . وهكذا وصلن الى غرفة العمل حيث كانت اما هن بانتظارهن لاعطائهن دروسا . فقالت السيدة (دي روسبورغ) :

«لقد وصلتن متأخرات ، ياصغيراتي» .

قالت مرغريت :

ـ لأننا ذهبنا حتى الحرج الصغير للحصول على شتلات الكشمش . وهو بعيد قليلا ، يا امي .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ هيا ، الآن ، ياصغاري ، الى العمل . لتستعيد كل واحدة كتبها ودفاترها .

جلست كميلة ومادلين ومرغريت بحماسة الى مكاتبهن . وتقدمت صوفي متمهلة من دون أن تتفوه بكلمة . لفت بطء حركاتها انتباه السيدة (دي فلورفيل) التي تطلعت اليها وقالت :

ـ «كم أنت شاحبة ، ياصوفي ! يظهر عليك الألم ! فما بك ؟»

احمرت صوفي قليلا من الخجل . وتطلعت اليها الصغيرات الثلاث . فصرخت مرغريت :

ـ «انه الكشمش !»

تساءلت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ أي كشمش ؟ ماذا تقصدين ، يامرغريت ؟

صوفي مستعيدة بعض النشاط

ـ لاشيء . ياسيدتي . فمرغريت لاتعرف ماتقول . ليس بي شيء . فأنا بصحة جيدة . فقط ... أحس قليلا ... بوجع في بطني ... غير مهم ...

لكن ، في هذا الوقت ذاته ، أحست صوفي بانزعاج . ولم تعد معدتها تستطيع الاحتفاظ بالثمار التي اثقلتها بها ، فتقيأتها على

الارضية الخشبية .

أخذت السيدة (دي فلورفيل) يد صوفي باستياء ولم تقل شيئا ، وأوصلتها الى غرفتها . وهناك جردت صوفي من ثيابها . ووضعت في السرير ، وقدم لها فنجان ساخن من الزيزفون . فخجلت كثيراً ولم تتجاسر على قول شيء . وعندما نامت في فراشها سألتها السيدة (دي فلورفيل) عن حالها .

قالت صوفي :

ـ افضل بكثير ، ياسيدتي . فأنا أشكرك وأرجوك أن تسامحيني . انت طيبة جداً لأنك لم تضربيني .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ عزيزتي صوفي . لقد كنت شرهة ، وتكفل الله تعالى بمعاقبتك اقـمح بعسر الهضم الذي أصبت به ، والذي سوف يبقيك طريحة الفراش حتى موعد العشاء . وهذا الضرر سوف يحرمك النزهة التي سنقوم بها بعد ساعة من الآن الى بيت السيدة (دي فرتل) لأكل الكرز . اما بشأن الجلد فيمكنك الاطمئنان من هذه الناحية . فأنا لا اضرب ابدا . وأنا متأكدة تماما أنك ، من غير أن تجلدي ، لن تكرري ملء معدتك كبنت شرهة . أنا لا أمنع أكل الثمار والحلوى الأخرى . ولكن يجب أن نأكل منها بتعقل اذا كنا لانريد أن تضرّبنا .

لم تجب صوفي بشيء . كانت خجلة ، وتقر بصدق ما تقوله السيدة (دي فلورفيل) . أما الخادمة التي بقيت بجانبها فقد ألزمتها بالهدوء . لكن وجع بطنها الباقي منعها من النوم . فكان عندها متسع من الوقت لتفكر في مخاطر الشراهة ، ووعدت نفسها بألاتكرر ذلك ابدا .



غرفة الندامة

بعد ساعة ، عادت كميلة ومادلين ومرغـريت يستعلمن عن أخبار صوفي . كن يعتمرن قبعات ، ويرتدين فساتين نظيفة .

سألت صوفي :

ـ «لماذا ترتدين ثيابكن ؟

قالت كميلة :

ـ للذهاب الى العصرونية عند السيدة (دي فرتل) . أنت تعلمين أننـا سنقطف كرزا عندها .

وقالت مادلين :

ـ انه لمؤسف ، ياصوفي ، أن لا تستطيعي المجيء معنا . فمعك كنا لهونا أكثر .

وقالت مرغريت :

ـ في السنة الماضية ، كان الأمر مسليا جداً! تسلقنا أشجار الكرز ، وقطفنا ملء السلال كرزا لصنع المربى . وأكلنا قدرما شئنا ، انما لم نصب بتخمة . كما فعلت أنت هذا الصباح مع كشمشك .

فقالت مادلين :

ـكفى حديثا عن الكشمش ، يامرغريت ، ترين أنها خجلة ومغتمة .

ردت صوفي :

ـ أجل ! أنا مغتمة فعلا لأني كنت شرهة جداً . وفي المرة القادمة ، من المؤكد اني لن آكل منه إلا قليلا مادمت أني أستطيع ان آكل منه في الغد وفي الأيام التالية . وأنا لست معتادة على أكل الأشياء الطيبة . وعندما كنت أحصل عليها كنت آكل قدرما تسع معدتي . أما الآن فلن افعل ذلك ابدا . انه لمزعج جداً أن يؤلمك بطنك ثم انه مخجل .

قالت مرغريت :

ـ صحيح ، ان أمي تقول لي دائما اننا اذا أصبنا بتخمة فاننا نشبه الخنانيص[1] . (الخنوص : صغير الخنزير)

لم تعجب هذه المقارنة صوفي التي بدأت تغتاظ وتتململ في فراشها .

فقالت مادلين بصوت خافت لمرغريت أن تسكت ، وأطاعتها مرغريت . فقبلت البنيّات الثلاث صوفي وذهبن لانتظار أميهن عند المدخل . وبعد بضع دقائق سمعت صوفي العربة تقلع .

مضت ساعتان وهي تتضجر . وأخيراً سمحت لها الخادمة أن تنهض من فراشها . وبعد قليل عادت صديقاتها مسرورات . كن قطفن كرزا وأكلن ، وحملن معهن سلة ملأى .

في صباح الغد قالت كميلة لصوفي :

ـ «هل تعلمين ، ياصوفي ، اننا سنصنع مربى الكرز هذا المساء . لقد أطلعتنا السيدة (دي فرتل) كيف تصنعه . ستساعديننا . وعدتنا أمي بأن يكون هذا المربى لنا مادامت الكرزات لنا . وأنه باستطاعتنا أن نفعل بها ما نشاء .

فقالت صوفي :

ـ «حسنا ! ما أطيب المربى الذي سنصنعه !

ـ يجب أن نعطي منه الى المرأة (جان) الفقيرة والمريضة ، والتي عندها ستة أولاد .

ـ اسمعي . انه أطيب من أن يعطى لامرأة فقيرة !

ـ لماذا هو عزيز على الأم (جان) وليس عزيزا علينا ، ان ما تقولينه ، ياصوفي ، ليس حسنا .

ـ آه ! تريدين أن تقنعيني مثلا بأن المرأة (جان) معتادة أن تقتات بالمربي .

ـ لأنها فعلاً لم تأكل منه أبدا ، سنعطيها قليلا مما سنحصل عليه .

ـ لماذا لا تأكل خبزا ، وخضرا وزبدة ؟لن أتعب نفسي في صنع المربي من أجل شحاذة .

ـ ومن يطلب منك أن تصنعي أيتها المتعجرفة ؟ هل نحن نحتاج الى مساعدتك ؟ الا ترين أنه من أجل أن نتسلى اقترحت عليك كميلة أن تساعدينا ؟

ـ أولا ، يا آنسة ، هناك قسم من الكرز لي في هذه السلة ، ويحق لي أخذه .

ـ ليس لك الحق في شيء ولم تعطي شيئا . ولكن بما أنني لا أرغب في أن أكون شرهة وبخيلة مثلك ، خذي ، خذي .

هنا الصورة صفحة ١٢٨ في الاصل

وأخذت مرغريت وهي تقول هذه الكلمات ، قبضة كبيرة من الكرز ورمتها على رأس صوفي التي كانت غاضبة قليلا ، فلما أصابتها الكرزات ثار غضبها . فقفزت على مرغريت ولكمتها بقبضة اليد على كتفها . فارتمت كميلة ومادلين عليهما ووقفتا حائلا بين الاثنتين لتمنعا مرغريت من متابعة القتال الذي بدأ . مادلين أمسكت صوفي بصعوبة بينما ثبتت كميلة مرغريت وخجلتها لاحتدادها .

سكن غضب مرغريت فورا وتأسفت لأنها جاوبت صوفي بحدة كبيرة . أما هذه الأخيرة فقاومت مادلين وأرادت الانتقام حتما من مرغريت التي قذفتها بالكرز على وجهها . وراحت تصرخ :

ـ «اتركيني ـ اتركيني لأرد لها ضربات بقدر ما تلقيت من كرز على رأسي . افلتيني او اضربك أنت أيضا» .

وكان صراخ صوفي مضافا الى أصوات كميلة ومادلين اللتين كانتا تحثانها عبثا على الهدوء قد لفت انتباه السيدتين (دي روسبورغ) و (دي فلورفيل) . فأطلتا واذا بصوفي تتخلص من كميلة ومادلين بركلة رجل وقبضة يد وتقفز على مرغريت التي كانت واقفة كالصنم من دون حراك . فأوقف حضور السيدتين فورا ذراع صوفي المرفوعة . وجمدت مرتعبة خوفا من العقاب وهي محمرة من الغضب .

تقدمت منها السيدة (دى فلورفيل) بصمت . أمسكتها بذراعها وقادتها الى غرفة لم تكن صوفي قد عرفتها بعد وهي تسمى (غرفة الندامة) . وأجلستها على كرسي الى طاولة وقدمت لها ورقة وريشة وحبرا وقالت لها :

ـ «سوف تمضين نهارك في هذه الغرفة ، يا آنسة . وسوف ...

قالت صوفي :

ـ لست أنا ، ياسيدتي ، بل مرغريت ...

قالت السيدة (ديفلورفيل) بقساوة

ـ اسكتي !... سوف تنسخين عشر مرات صلاة (أبانا الذي في السماوات) . وعندما تهدئين سأعود لأجعلك تطلبين من الله تعالى الغفران عن غضبك . سأرسل عشاءك الى هنا ، وسوف تذهبين الى النوم من دون رؤية صديقاتك .

قالت صوفي ، بحدة :

ـ أقول لك ، سيدتي . انها مرغريت ...

قالت السيدة (دي فلورفيل) بقوة :

ـ أصمتي ، وأكتبي .

وخرجت السيدة (دي فلورفيل) من الغرفة وقفلت الباب بالمفتاح وذهبت الى البنيات لتستعلم عن سبب غضب صوفي . فوجدت كميلة ومادلين وحدهما منذهلتين . فأخبرتاها بما حصل لدى العودة من عند السيدة (دي فرتل) . وقالتا لها ان السيدة (دي روسبورغ) غضبت كثيرا من مرغريت رغم ندامتها ، وحكمت عليها بالعشاء في غرفتها وعدم الرجوع الى البهو طيلة السهرة .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ هذا محزن جداً ، يا ابنتيَّ العزيزتين ، لكن السيدة (دي روسبورغ) أصابت تماما في معاقبة مرغريت .

قالت كميلة .

ـ على الرغم من ذلك يا أمي ، كانت مرغريت على صواب عندما رغبت في اعطاء بعض المربى الى الأم (جان) الفقيرة . وكان خطأ صوفي الكبير أن تظهر متكبرة وشريرة .

ـ هذا صحيح ياكميلة . ولكن لم يكن جائزا ان تثور مرغريت . وليس بالغضب كانت تستطيع أن تفعل لها خيرا . كان عليها أن تبين لها بكل هدوء أن عليها اغاثة الفقراء والعمل من أجلهم .

ـ ولكن صوفي ، يا أمي ، لم تكن ترغب في الاصغاء اليها .

ـ صوفي حادة الطبع ، وسيئة التربية . وليست معتادة على ممارسة المحبة ، لكن قلبها طيب . وقد كان بامكانكن جميعا اعطاءها امثولة بالمثل الصالح فقد كانت فهمتها وأصبحت أفضل . أما الآن فهي غاضبة .

ـ أواه ، يا أمي ، اسمحي لي بأن أذهب اليها وأكلمها . أنا متأكدة أنها تبكي ، ومتأسفة ونادمة من كل قلبها .

ـ لا ، يامادلين ، أريد أن تبقى وحيدة حتى المساء . انها ماتزال غاضبة جدا لتنصت اليك . سأذهب لمحادثتها بعد ساعة .



وذهبت السيدة (دي فلورفيل) مع كميلة ومادلين للانضمام الى السيدة (دي روسبورغ) . كانت الصغيرات حزينات . وكن يفكرن وهن يلعبن بالدمى كم يكون المرء سعيداً عندما يكون عاقلا .

في هذا الوقت كانت صوفي التي بقيت وحيدة في غرفة الندامة تبكي وانما ليس ندما بل غضبا . تفحصت الغرفة لترى اذا كان بالامكان الهرب : النافذة كانت عالية جداً ، حتى انها لو وضعت الكرسي على الطاولة لما كان بامكانها بلوغها . والباب الذي كانت ترتمي عليه بعنف كان صلبا على التحطيم . ففتشت عن شيء تكسره أو تمزقه : فكانت الجدران عارية ومطلية باللون الرمادي . ولم يكن في الغرفة من أثاث سوى كرسي عادي من قش ، وطاولة عادية من خشب أبيض . وكانت المحبرة جوزة مثقوبة في الطاولة ومملوءة حبرا . ولم يبق الا الريشة والورقة والكتاب الذي كان مفروضا عليها أن تنقل عنه . أمسكت صوفي الريشة ورمتها على الأرض وكسرتها تحت قدميها . ومزقت الورقة الى ألف قطعة ، ثم هجمت على الكتاب واقتلعت منه كل الصفحات وجعدتها ثم مزقتها قطعاً .

حاولت تحطيم الكرسي لكنها لم تقدر عليه ووقعت في الأرض لاهثة ومبللة بالعرق . ولما لم يعد عندها شيء تحطمه أو تمزقه ، التزمت الهدوء مجبرة . ثم راح غضبها يهدأ رويداً رويداً . ولما عادت الى رشدها ارتعبت مما فعلت وراحت تفكر :

ـ «ماذا ستقول السيدة (دي فلورفيل)؟ اي عقاب ستنزل بي؟ سوف تعاقبني حتما... وستجلدني. لكن طالما جلدتني زوجة ابي حتى اعتدت على الجلد. فلانس ذلك ولاحاول النوم...

اغمضت صوفي عينيها ، لكن النعاس كان مفارقاً لها. فقلقت ، كانت ترتجف لاقل ضجة، وكانت تتوهم دائماً انها تسمع الباب يفتح، وبعد ساعة سمعت صرير المفتاح في القفل. ولم تخطيء هذه المرة: فتح الباب ودخلت السيدة (دي فلورفيل). فنهضت صوفي ووقفت أمامها مشدوهة

حائرة ونظرت السيدة (دى فلورفيل) الى الأوراق وقالت لصوفي بنبرة هادئة :

ـ «التقطي كل هذا يا انسة» .

فلم تتحرك صوفي . فكررت السيدة (دي فلورفيل) :

أقول لك : «اجمعي هذه الأوراق يا أنسة» .

بقيت صوفي جامدة . فأضافت السيدة (دي فلورفيل) ودائما بهدوء :

ـ اذا كنت لاتريدين فأنت مخطئة : وغلطتك تتفاقم وعقابك يزداد .

وناتدت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «اليزا تعالي لحظة الى هنا » .

دخلت (اليزا) ووقفت مذهولة أمام تلك الفوضى . فقالت لها السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «عزيزتي (اليزا) اجمعي كل هذه النفايات . ان الانسة صوفي قد مزقت كتاب الدين والأوراق ... ثم اعملي معروفا ائتيني ، فيما بعد ، بكتاب دين آخر وأوراقا وريشة .»

وفيما كانت (اليزا) تكنس الأوراق ، جلست السيدة (دي فلورفيل) على الكرسي وتطلعت الى صوفي التي كانت ترتجف أمام هدوئها وتتمنى لو أنها فقدت كل شيء ولم تمزق الكتاب والورقة وتحطم الريشة . وعندما جلبت (اليزا) الأغراض المطلوبة ، نهضت السيدة (دي فلورفيل) ، نادت صوفي بهدوء وأجلستها على الكرسي وقالت لها :

«سوف تنسخين عشر مرات صلاة (لأبينا) يا آنسة ، كما طلبت منك سابقا . ولن تحصلي على العشاء الا على الحساء والخبز والمياه . وستدفعين ثمن الأغراض التي مزقتها من المال الذي تتلقينه أسبوعيا كنفقة جيب للهو . وبدلاً من أن تعودي الى صديقاتك سوف تمضين نهاراتك هنا ، ماعدا ساعتي النزهة التي ستقومين بها مع (اليزا) التي أمرتها بألا تتكلم معك . سأرسل لك وجبات طعامك الى هنا . ولن تطلقي

من هذا الحبس الا عندما يدخل الندم الحقيقي الى قلبك ، وعندما تكونين قد طلبت الغفران من الله تعالى على قساوتك نحو الفقراء ، وعلى شراهتك وأنانيتك ، وعلى سخطك تجاه مرغريت ، وعلى مزاجك الغضوب ، وعلى أذيتك التي دفعتك الى تمزيق كل ما كان يمكنك تكسيره أو تمزيقه ، وعلى روح التمرد عندك الذي حثك على مقاومة أوامري . كنت أرجو أن أجدك متهيئة تماما لمساعدتك على الندامة ومصالحتك مع الله تعالى ومعي ، لكني ، بحسب ما أرى ، سأنتظر حتى الغد . وداعا يا آنسة . صلي الى الله تعالى كي لايجعلك تموتين هذه الليلة قبل أن تكوني قد اعترفت بذنبك وندمت .

وتوجهت السيدة (دي فلورفيل) نحو الباب . كانت قد ادارت المفتاح في القفل اذ هجمت نحوها صوفي وتعلقت بثوبها ارتمت راكعة على ركبتيها ، وأمسكتها بيدها وغطتهما بالقبل والدموع ومن خلال نحيبها أسمعتها هاتين الكلمتين الوحيدتين اللتين تمكنت من التلفظ بهما : سامحيني ! سامحيني» .

وبما أن صوفي كانت ما تزال راكعة فقد بقيت السيدة (دي فلورفيل) واقفة في مكانها . ثم انحنت نحوها وأخذتها بين ذراعيها وقالت لها بلطافة : يا ابنتي العزيزة . ان الندم يكفر عن كثير من الخطايا . ولقد كنت مذنبة جداً ، أولاً تجاه الله تعالى وبالتالي تجاهي وان الندم الصادق الذي تكابدينه بسبب هذه الذنوب يستحق ، ولا شك ، الغفران ، ولكنه لايعتقك من القصاص . لن تعودي الى صديقاتك مساء غد ، والباقي كله يتم كما قلت لك .

قالت صوفي ، بحماسة :

ـ اواه ، ياسيدتي العزيزة . سيكون القصاص عذبا لانه سيكون كفارة عن ذنوبي . ان طيبتك تتملك اعماقي ، ومسامحتك هي كل ما اطلب . اواه ، ياسيدتي ، لقد كنت شريرة جداً ! وكريهة جداً ! فهل يمكنك مسامحتي ؟

قالت السيدة (دي فلورفيل) وهي تعانقها :

ـ من كل قلبي ياابنتي العزيزة. وثقي اني لااضمر اية ضغينة ضدك، اطلبي الغفران من الله تعالى كما طلبت المسامحة مني شخصياً. سارسلك الى العشاء، وستكتبين فيما بعد ماطلبت منك كتابته، وتقضين سهرتك بقراءة كتاب سارسله لك لاحقاً.

ثم عانقت السيدة (دي فلورفيل) مرة ثانية صوفي التي راحت تقبل يديها وتتمسك بها لاتستطيع تركها. واخيراً تخلصت منها السيدة (دي فلورفيل) وخرجت من غير ان تحتاط هذه المرة باقفال الباب بالمفتاح. وهذا الدليل على الثقة اثر في صوفي وضاعفت تأسفها لكونها تصرفت بكثير من السوء. فقالت في نفسها:

كيف سمحت لنفسي ان استسلم لمثل هذا الغضب؟ كيف استطعت ان اكون شريرة مع صديقات بهذه الطيبة كاللواتي اعيش هنا معهن؟ كيف تمكنت من ان اكون فظة لهذه الدرجة تجاه شخصية كثيرة اللطافة والرقة مثل السيدة (دي فلورفيل)! كم كانت طيبة معي! فحالما اظهرت ندامتي، استعادت صوتها الهادىء ووجهها المتسامح. وتلاشت قساوتها كلها كما بسحر ساحر. فهل يسامحني الله تعالى بهذه البساطة أيضا؟ أواه! أجل، مادام أنه منبع الخير، وهو يرى كم أنا حزينة لأني تصرفت تصرفا سيئا جداً!

أنهت هذه الكلمات وركعت على ركبتيها وصلت من أعماق قلبها لكي يغفر الله لها ذنوبها، ولكي يعطيها القوة لئلا تقع بمثلها في المستقبل. وما ان أنهت صلاتها حتى دخلت (اليزا) حاملة لها صحن حساء وقطعة كبيرة من الخبز وابريق ماء.

قالت اليزا:

ـ خذي، يا آنسة، هذه وجبة سجين حقيقية. لكن اذا كنت جائعة، فستجدينها على الرغم من ذلك طيبة.

قالت صوفي:

ـ مع الأسف يا (اليزا) الطيبة، أنا لا استحق هذا الطعام. انه أفضل

بكثير مما تستحقه فتاة شريرة مثلي .

ـ ها ها ! لقد تغيرت لهجتك عما كانت سابقا . وأنا جد مرتاحة لذلك ، يا آنسة ، لو رأيت كيف كانت سحنتك كان لك مظهر! انما مظهر !... حقيقة يشبه شيطانا صغيرا .

قالت صوفي :

ـ ذاك أني كنت شيطانا فعلاً . لكني آسفة على ذلك ، أؤكد لك ، وأتمنى الا أكرر ذلك ثانية .

جلست صوفي الى الطاولة واحتست حساءها . وكانت جائعة ، فقضت بعد الحساء على قطعة الخبز ، وشربت كأسين من المياه . كانت اليزا ترمقها بشفقة . فقالت لها :

رغم ذلك ، ترين ، يا آنستي ، كم نكون تعساء عندما نكون أشرارا . صغيراتنا اللواتي هن دائما عاقلات لا يعاقبن أبدا إلا لأخطاء عرضية . لذلك تجدينهن دائما بشوشات ومسرورات .

ـ أجل ! اني أرى ذلك جيداً : لكنه فريد ! عندما كنت ارتكب خطأ وكانت زوجة أبي تعاقبني ، كنت أشعر بعد العقاب أني اكثر شرا . كنت أكره زوجة ابي ، في حين أنا بالعكس أحب أكثر من قبل السيدة (دي فلورفيل) التي عاقبتني ، وأنا راغبة في أن أتحسن .

ـ ذاك لأن زوجة أبيك كانت تعاقبك بغضب وأحيانا لنزوة ، في حين السيدة (دي فلورفيل) تعاقبك لأنه يتوجب عليها ذلك ، ومن أجل خيرك . تشعرين بهذا رغماً عنك .

ـ أجل ! هذا هو تماماً ما أشعر به يا اليزا . وأنت تقولين الحق .

كانت صوفي قد أنهت طعامها . فحملت (اليزا) الباقي وجلست صوفي الى العمل . مكثت طويلا في كتابة عقوبتها ، لأنها كانت جادة في أن يكون خطها جيداً . وعندما انتهت راحت تقرأ . وسرعان مابدأ النهار يميل الى الغروب . فألقت صوفي كتابها وراحت تفكر في هموم الأسر في ساعة كاملة قبل أن تعود اليزا لتأخذها الى النوم . كانت مرغريت نائمة

نوما عميقا . فاقتربت صوفي من سريرها وقبلتها بهدوء كما لو أنها تطلب مسامحتها على غضبها . ثم تلت صلاتها ، وتمددت في فراشها ومالبثت أن غفت .



الغد

انقضى النهار التالي بحزن وافر . فمرغريت كانت ماتزال خجلة من غضبها عشية أمس وتلوم نفسها لأنها سببت عقاباً لصوفي . وكميلة ومادلين تتألمان لحزن مرغريت وغياب صديقتهن صوفي التي أمضت نهارها في غرفة الندامة . فلم يأت أحد لرؤيتها الا (اليزا) التي جلبت لها فطورها .

قالت صوفي :

ـ كيف حال صديقاتي ، ياليزا ؟

ردت اليزا :

ـ انهن بخير . لكنهن لسن مسرورات .

ـ هل تكلمن عني ؟ أيجدنني فعلا شريرة ؟ أو مازلن يحببني ؟

ـ أعتقد تماما أنهن يتكلمن عنك ! فهن لايفعلن شيئا آخر . انهن يقلن : مسكينة صوفي ! كم تكون تعيسة ! مسكينة صوفي ! كم تكون ضجرة ! وكم سيبدو لها النهار طويلا !

صوفي ، متأثرة

ـ انهن طيبات جداً ! ومرغريت أما زالت ساخطة علي ؟

ـ ساخطة ! أجل فهي متأسفة لأنها كانت شريرة . وهي تقول إنك ما ثرت الا بسبب غلطتها . وانها هي التي كان يجب أن تعاقب مكانك ، وانك عندما ستخرجين من السجن ، ستطلب هي منك ان تسامحيها .

وسترجوك أن تنسي أذاها .

ـ ياللصغيرة مرغريت المسكينة ! فأنا التي ارتكبت كل الأخطاء . ولكن يا (اليزا) هل يعرفن كم كنت شريرة هنا ، في الغرفة ، وأني مزقت كل شيء ورفضت أن أطيع السيدة (دي فلورفيل) ؟

ـ أجل ، انهن يعرفن ذلك ، فقد أخبرتهن ما حصل . لكنهن يعرفن ايضا كم ندمت على فعلتك ، وكيف تصرفت لتشهدي على ندامتك وتكفرى عن ذنبك . ولسن حاقدات عليك وهن يحببنك كما من قبل .

شكرت صوفي اليزا وأكبت على العمل .

جاءت السيدة (دي فلورفيل) حاملة لها واجبات لتنفيذها . شرحتها لها وقدمت لها أيضا كتبا مسلية وشغل التطريز الذي يخصها . وعندما وجدتها عاقلة جداً ، ووديعة جدا ، ونادمة فعلا سمحت لها أن تمر قبل النوم لمعانقة صديقاتها في البهو وتلاوة الصلاة معهن فتعهدت لها صوفي أن يكون سلوكها جيداً لتستحق هذه المكافأة وشكرت لها كرمها بحرارة . فعانقتها السيدة (دي فلورفيل) وقالت لها وهي تفارقها إنها ستعود قبل النزهة لتتفحص واجباتها وتعطيها غيرها لفترة ما بعد الظهر .

اشتغلت صوفي كثيراً وباتقان ، فلم تضجر . وفوجئت عندما وصلت (اليزا) حاملة لها الغداء ، فقالت لها :

ـ «الآن . هل حلت ساعة الغداء ؟

ـ حتما ، حتى ان موعد الغداء قد مر . ألست جائعة اذن ؟

ـ بلى ، أنا جائعة . وقد تعجبت من ذلك لأني لم أكن أظن أن الـوقت متأخر . ماذا عندي للغداء ؟

ـ بيضة طازجة ، ها هي ، وقطعة حبز مطلية بالزبدة ، وضلع خروف ، وفخذ دجاجة ، وبطاطا مقلية . ولكن من غير فاكهة أو حلوى مثلا . فقد قالت لي السيدة (دي فلورفيل) أن السجينات لا يأكلن فاكهة أو حلوى وبما أنك فهيمة تماما فلن تستغربي .

احمرت صوفي فرحا لهذا الاطراء الصغير الذي لم تكن تنتظر انها استحقته . فقالت :

ـ «شكراً لك ياعزيزتي (اليزا) . وأشكرى عني السيدة (دي فلورفيل) التي رغبت فعلا ان تفكر فيَّ ايجابيا . انها صالحة جداً ، فلانستطيع بقربها الا أن نكون صالحين . واتمنى كذلك أن أصير في وقت قليل عاقلة ومحبوبة بقدر ما هن صديقاتي عاقلات ومحبوبات .

تأثرت (اليزا) من هذا التواضع فقبلت صوفي وقالت لها :

«كوني مطمئنة ، يا آنستي . لقد بدأت الآن أن تكوني صـالحة . وسوف ترين كيف تصيرين عندما تعود زوجة أبيك ، فلن تعرفك أبدا ؟

وفكرة عودة زوجة الأب هذه لم تفرح كثيراً صوفي . وحاولت ألا تفكر في ذلك ، وأتمت غداءها . فقالت لهـا (اليزا) انهـا ستأخـذ الصينية وسوف تعود لاحقا لمرافقتها في نزهة :

«سأجعلك تمشين مدة ساعة ، يا أنسة . ثم تعودين للشغل . وبعد العشاء أيضا سوف آخذك في نزهة مدة ساعة كاملة» .

وهكذا انقضى النهار مع صوفي من غير أن تضجر كثـيراً . وكانت كميلة ومادلين ومرغريت ينتظرن (اليزا) كل مرة عند خروجها من غرفة الندامة ليسألنها عما تفعل صوفي وعما تقول صوفي .

قالت كميلة :

- «هل هي حزينة جداً :

وقالت مادلين :

- هل تتضجر كثيراً ؟

وقالت مرغريت

- هل هي غاضبة علي ؟ هل تقول شيئاً ؟

وكانت (اليزا) تطمئنهن وتقول لهن أن صوفي تنفذ عقابها بهدوء كامل وخضوع تام . وعندما ستخرج من هذه الغرفة ستكون ولا شك قد صلحت ، ولن تتسبب فيما بعد لنفسها بالقصاص أبدا .

في المساء ، عادت السيدة (دى فلورفيل) نفسها لتأخذ صوفي الى البهو حيث كانت كميلة ومادلين ومرغريت ينتظرنها بتلهف :

- «هذه صوفي . أعيدها اليكن ، يا بنياتي العزيزات . ولكنها ليست صوفي من أمس الاول الغضوب ، والكذابة ، والشرهة والشريرة بل صوفي اللطيفة ، العاقلة ، والراشدة . كنا في الماضي نشتكي منها ، فلنحبها الآن :

انها تستحق محبتنا» .

ارتمت صوفي بين أحضان صديقاتها . وكانت تبكي من الفرح وهي تعانقهن . وتبادلت مع مرغريت التماس المسامحة . وتسامحتا من أعماق قلبيهما . وعندما حان وقت الصلاة أضافت السيدة (دي فلورفيل) الى ماكن يقمن به عادة ، صلاة شكرلله تعالى الذي فتح قلب المذنبات على الندامة وجعلهن يجنين خيرا وفيرا من شر كبير .

بعد هذه الصلاة التي تليت من أعماق القلب ، تبادلت البنيات القبلات بحنان وذهبن الى النوم .



أبو الحناء

بعد شهر ، كانت كميلة ومادلين جالستين على مقعد في الحديقة ، وهما تحوكان سلالا من أسل جمعته صوفي ومرغريت من قناة . فصرت صوفي وهي راكضة :

ـ «مادلين ! مادلين ! اني أحمل اليك عصفورا صغيرا وجميلا جداً . وأنا أعطيك اياه . انه لك» .

فرمت كميلة الأسل من يديها وقفزت لملاقاة صوفي وهي تقول :

ـ «ماذا ؟ أي عصفور ؟

قالت صوفي :

ـ انه ابو الحناء ، رأته مرغريت ، وأنا قبضت عليه . أنظري كم هو ظريف .

قالت كميلة :

ـ انه رائع . ياللصغير المسكين ! يظهر أنه خائف ! وأمه ؟ إنها متأسفة ولاشك .

قالت مرغريت :

ـ ابدا ! فهي التي رمته خارج العش . سمعت صوتا ناعما في دغل . فتطلعت ورأيت هذا العصفور المسكين يتخابط مع أمه التي كانت تحاول رمية خارج العش . نقرته بمنقارها وقذفت به الى الأرض . فسقط الصغير المسكين طائشا . كنت أخاف لمسه ، فأخذته صوفي وقالت انه سيكون لك ، يا مادلين .

قالت مادلين :

ـ آه ! شكراً ياصوفي ! لنحمله بسرعة الى البيت ونقدم له طعاما . أنظرى ياكميلة كم أن عصفورى الصغير ظريف ! ما أجمل صدره الصغير الأحمر .

قالت كميلة :

ـ انه رائع . لنضعه في سلة بانتظار الحصول على القفص .

تركت البنيات الأربع أسلهن وأسرعن الى البيت ليعرضن أبا الحناء ويطلبن سلة .

قالت اليزا :

ـ «كلا ، يجب أن نضع له طحلبا وقليلاً من الصوف فوقه : هكذا يكون له عش صغير دافىء .

قالت مرغريت :

ـ لو ان مادلين تضعه معها في فراشها فسيدفأ أكثر .

قالت مادلين :

ولكنني قد أسحقه وأنا نائمة . لا ، لا من الأفضل أن نفعل كما تقول (اليزا) . وسترين كيف أنظم عشه جيداً .

قالت صوفي :

أواه ! يا مادلين ، أتركيني أصنعه بنفسي . فأنا أعرف تماما كيف

اصنع أعشاش العصافير . فغالبا ماكانت (بالمير) تصنع منها للفراخ التي كانت تلتقطها .

قالت مادلين :

انا موافقة . ماذا ستصنعين ؟

قالت صوفي :

ـ لاتنظري الي . سترينه عندما ينتهي . يا (اليزا) أنا احتاج الى قطن وقطعة قماش صغيرة .

قالت اليزا :

ـ لم تحتاجين الى القماش ؟ هل ستلبسينه قميصاً ؟

ضحكت البنيات جميعا ، وأجابت صوفي :

ـ لا ، يا اليزا . ليس لصنع ثياب له . سترين . أعطني فقط ما أطلبه منك .

أعطتها (اليزا) قبضة من القطن وقطعة من القماش . فاخذت صوفي أبا الحناء وجلست في زاوية مدة عشر دقائق رتبت في غضونها القطن والقماش وأبا الحناء ، ثم استدارت نحوهن يبدو عليها الظفر وصرخت :

ـ «لقد انتهيت» .

قفزت نحوها البنيات اللواتي كنّ ينتظرن بفارغ الصبر وبحثن عبثا عن العصفور .

قالت مادلين :

ـ إذن ؟ أين أبو الحناء وعشه ؟

ـ إنهما هنا

ـ إين ؟

ـ في السلة .

ـ لا أرى غير كرة من القطن .

ـ هذا هو فعلاً .

ـ ولكن أين العصفور ؟
ـ انّه دافىء داخل القطن .
أطلقت البنيات الثلاث صرخة . وامتدت الايدي جميعها معا الى السلة لسحب العصفور المسكين الذي كاد يختنق ولاشك . ركضت (اليزا) وفكت القطن بسرعة ، وكذلك القماش وسحبت أبا الحناء الذي بدا ميتا . عيناه كانتا مطبقتين ، ومنقاره مفتوحا وجناحاه مسبولين : لم يكن يتحرك . فصرخت اليزا والبنيات الثلاث معا :
ـ «ياللعصفور المسكين !
واضافت مرغريت :
ـ كم انت بلهاء ياصوفي !
فاحتارت صوفي وارتبكت ، وقالت وهي تتلعثم :
ـ «لم أكن أعرف ... لم أكن أعتقد ...
قالت مرغريت :
ـ ولكن لماذا تريدين دائما أن تفعلي اذا كنت لاتعرفين ؟
قالت اليزا :
ـ صه ! بدون غضب يامرغريت . أنت ترين أن صوفي منزعجة مثلك مما صنعت . فلنحاول أن ننعش العصفور المسكين . قد يكون ما يزال حيا .
قالت مادلين ، بأسى :
ـ اتعتقدين أنّه يستطيع العودة الى الحياة ؟
ـ لنحاول على كل حال . اذهبي ياصوفي واجلبي لي قليلا من النبيذ .
أسرعت صوفي لانجاز المهمة . وفي أثناء غيابها فتحت (اليزا) منقار العصفور الصغير ونفخت فيه بهدوء . وعندما جلبت صوفي النبيذ ووضعت في منقاره نقطتين حرك العصفور جناحيه حركة خفيفة . فصرخت البنيات الأربع معا :
ـ «لقد تحرك ! لقد تحرك ! لقد تحرك ! وفعلا ، في غضون خمس دقائق عاد أبو الحناء الى الحياة . تحرك ، بسط جناحيه وطواهما ، وعاد

نشيطا كما كان من قبل أن يُقمّط .

قالت مرغريت بأسلوب ساخر :

ـ هل ان (بالمير) هي التي علمتك هذه الطريقة للاعتناء بالعصافير ؟

قالت صوفي :

ـ أجل ، انها (بالمير) . فهي تغلفها جميعها هكذا .

مرغريت ، بالأسلوب ذاته :

ـ هل ربّت كثيرا منها ؟

قالت صوفي :

ـ أواه ! لا ! كانت جميعها تنفق . وماكنا نعرف السبب .

قالت اليزا :

ـ كيف ؟ أما كنتما تعرفان أن العصافير المقمطة بالقماش والقطن تنفق لافتقارها الى الهواء ؟

ـ لا . كنت أظن أنّ العصافير ليست بهاحاجة الى التنفس .

ـ ها ! ها ! ها ! هذه فكرة جيدّة ! كلّ العصافير تتنفّس ، يا أنسة ، وهي تحتاج الى الهواء ، وتختنق من دونه .

صوفي ، مرتبكة :

ـ ما كنت أعرف .

ـ اذن ، أتركي لي هذا العصفور ، يامادلين ولاتهتمي لأمره . سأهتم به وأربّيه لك .

وفي الواقع ، رعت (اليزا) تربية أبي الحنّاء . وكانت مادلين تشاطرها الاعتناء به . فكانت تعاونها في تغيير صوف العش وتنظيف القفص ، وصنع عج بيض له وتقديم الخبز والحليب . فتعلق العصفور بها . وسمته (ميمي) . وعندما تناديه كان يجيء ويحط غالبا على ذراعها بينما هي تدرس . ثم لازمها ولم يعد يفارقها . كان باب قفصه يترك غالبا مفتوحا فيدخل اليه للأكل والنوم ، وبقية الوقت كان يطير في الغرف . وعندما كانت النافذة تفتح كان يطير ويحط على الأشجار القريبة لكنه ما

كان أبدا يبتعد كثيرا . وعندما كانت مادلين تناديه : ميمي ! ميمي ! كان يعود بخفق الجناح ليحط على راسها أو على كتفها وينقرها كما لو انه يقبلها . وغالبا ما كان ميمي يوقظ مادلين من نومها عند السحر : يحط على كتفها ، ويمد عنقه وينقر لها أذنيها او شفتيها . فكانت تقول له : «اذهب ياميمي . دعني أنم .

فكان ميمي يعود الى قفصه ويمكث فيه بضع لحظات وعندما تغفو سيدته يعود ليحط على كتفها ويصفر في أذنها أجمل تغاريده . فتقول له مادلين مجدداً : «أسكت ياميمي . انّك تزعجني . فكان ميمي يسكت ويدير رأسه الصغير يمينا أو يسارا ثمّ يغيّر محلّه ، يقفز قفزة صغيرة ويحط على أنف مادلين المسكينة .

وعندما توقظها براثن (ميمي) الصغيرة الحادة كانت تقول له وهي تصفعه صفعة خفيفة :

«أيها العفريت الصغير ، سوف أغلق عليك القفص غدا اذا كنت ستزعجني أيضا» . لكنّ (ميمي) كان يعاود الكرّة ومادلين لاتقفل عليه .

ذات يوم شاهدت السيّدة (دي فلورفيل) مادلين ناعسة ، فقالت لها :

ـ «مابك يامادلين ؟ تبدين متعبة هذا المساء .

ـ أجل ، يا أمي . انّي راغبة في النوم . عيناي مغمضتان على الرغم مني .

قالت مرغريت :

ـ انّي أراهن انّه بسبب (ميمي) .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

ـ كيف يستطيع (ميمي) أن ينعس مادلين ؟ انت تتكلمين دائما يامرغريت من غير أن تفكري .

ـ عفوا يا أمي . سترين اني فكرت جيّدا . عندما ننعس يعني أنّنا نحتاج الى النوم .

ـ آه ! هذا صحيح ، وانّي أرى أنّك تفكرين في الأقل مثل (ميمي) .

(فضحك الجميع) .

قالت مرغريت :

ـ انتظري قليلا ، يا أمّاه ، قبل ان تسخرى منّي . انّي اتابع : عندما نكون نعسانين فذلك يعني أنّنا نحتاج الى النوم (ضحك الجميع ضحكة اقوى . ومن غير أن تضطرب مرغريت تابعت تحليلها) . عندما نكون بحاجة الى النوم فذاك يعني أننا لم ننم كفاية . وعندما لاننام كفاية فذاك يعني أن شيئا أو أحداً منعنا من النوم . فهذا الواحد هو ميمي الذي يوقظ مادلين كل صباح عند طلوع الفجر ، إمّا بنقر خديها وامّا بالتغريد في اذنها ، و إمّا بالتنزه على وجهها . لذلك ان مادلين ناعسة والمسؤول هو (ميمي) .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ أحسنت يامرغريت ! هذا تحليل جيّد . لكن كيف يستطيع (ميمي) ان يرتكب كلّ هذه الاساءات ؟

قالت مرغريت :

ـ سيدتي ! ان مادلين لاتريد أن يكون ميمي محبوسا في قفصه . فهي تدلله . انّها طيبة كثيراً معه ، وهي التي تتحمل النتائج .

قالت السيدّة (دي فلورفيل) :

ـ وهذا ما يحصل غالبا ، ياصغيرتي مرغريت ، عندما ندلل الناس . لكن ، جدّيا ، ياعزيزتي مادلين ، لايجوز ترك ميمي يتعود على هذه العادات السيّئة . انت شاحبة منذ بضعة أيّام . وان طال هذا تمرضين . أنصحك أن تذهبي الى النوم وأن تغلقي باب القفص على ميمي هذا المساء . وستفتحينه له عندما تنهضين من النوم .

قالت مادلين :

أجل ، يا أمّي . سأذهب الى النوم لأني أشعر فعلاً أني تعبة ، وسأحبس (ميمي) . انّما اخاف ان يصرخ في صباح الغد مثل اليائس .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :
حسنا ! أتركيه يصرخ . فسرعان ما يتعوّد .

قبّلت مادلين أمّها وصديقاتها والسيدة (دي روسبورغ) وذهبت الى النوم . واهتمت باغلاق باب القفص واحكمت اغلاقه ، ثمّ غفت فورا .

في صباح الغد ، عندما انبلج الضوء . رغب ميمي في الذهاب لتعذيب سيدته كالعادة . فاستغرب لوجود بابه مغلقا واغتاظ . فحاول طويلا فتحه بمنقاره لكنه لم يفلح . فثار ، وراح يضرب الباب برأسه فتألمّ . عندئذ بدأ بمجموعة صرخات صغيرة غاضبة ، ممزوجة بنقرات قوية من منقاره في بذور القنب والدخنة فراحت تتطاير في قفصه وخلال القضبان . ثمّ رمى الماء في كل الجهات . استفاقت مادلين لحظة على هذه الضجة التي تعبرّ عن غضب ميمي ثمّ سرعان ما عادت الى الرقاد وغفت حتى جاءت خادمتها توقظها . عندئذ أسرعت لتفتح لميمي الذي وثب خارج القفص بتبرّم ونقر بمنقاره خدّ مادلين نقرتين كما لو أنّه ينتقم لاحتباسه . فصرخت مادلين :

ـ «آه ! ايّها الشرير الصغير ! أنت غاضب . تعال الى هنا ياميمي ! تعال حالا» .

لم يطع ميمي . كان جاثماً على قضيب الشباك حيث كان يبدو غاضبا .

ـ «ميمي . أطع ياميمي . تعال حالا الى هنا» .

وكجواب من ميمي ، استدار ، وسحل في يد مادلين التي كانت ممدودة اليه .

ـ أيّها الصغير الوسخ ! أيّها الصغير الكريه ! أيّها الصغير الشرير ! انتظر ، انتظر . سأقبض عليك . ياأليزا ، أرجوك تعالي ساعديني للقبض على ميمي ومعاقبته» .

واليزا التي كانت تشاهد ما حصل وتضحك من غضب ميمي ، أخذت مكنسة ولحقت بميمي حتى لجأ لاهثا الى قفصه . وما ان دخل حتى أغلقت مادلين الباب فبقي ميمي سجينا وهو عابس وغاضب .

ومكث هكذا ساعتين في السجن حتى جاءت صوفي ومرغريت وكميلة اللواتي اخبرتهنّ اليزا عن رداءة (ميمي) فطلبن مسامحته . وجاءت البنيات الأربع بشكل موكب لفتح القفص . فأنف ميمي من التحرك .
فقالت له كميلة :
ـ «حسنًا ، ياميمي ، كن صالحا ولا تغضب . تعال قل لنا صباح الخير كعادتك كل صباح» .
كان السيّد (ميمي) مازال معكر المزاج ولم يتحرك .
فصاحت مرغريت :
ـ «ياالله ! كم هو سيء»
قالت صوفي :
ـ مع الأسف ! انه يفعل كما كنت أفعل أنا سابقا . لقد اغتاظ في سجنه كما اغتظت أنا في سجني ، وحاول تحطيم كل شيء كما مزّقت أنا الكتاب والورقة والريشة . واتمنى أن يندم مثلي . ميمي ! ميمي ! تعال أطلب المسامحة .
قالت كميلة :
ـ الا يريد المجيء ؟ حسنا . فلنتركه . عندما يوقف غضبه ، نبحث في مسامحته .

وفتحت البنيْات النوافذ . وعندما لمح ميمي الأشجـار والسماء لم يتأخرلحظة ، فوثب فرحا من القفص وطار فحط على أعلى شجرة تنوب في البستان . أمّا البنيات فذهبن في نزهة تاركات ميمي في سعادة الحرية ومرارة الندامة .

عندما رجعن بعد ساعة كان ميمي يقفز وما يزال يطير من شجرة الى شجرة . نادته مادلين : «ميمي ، ياصغـيري ميمي . يجب أن تعود . تعال كل الحبز . فأجاب ميمي وهو يهز رأسه الصغير هزّة سـاخرة : كويك !
ـ اسمع ياميمي ، أطع وأدخل حالا .

فكان جوابه أيضا :

ـ كويك ! وطار الى الحرج .

فقالت صوفي :

ـ «انه شرّير وحاقد ! ويستحق بالحقيقة عقابا» .

قالت مادلين :

ـ سيحصل على عقابه . عندما يعود ، سأسجنه في قفصه وسيبقى فيه حتى يطلب الاعتذار . فقالت صوفي :

ـ كيف تريدين ان يعتذر عصفور مسكين ؟

قالت مادلين :

ـ عندما أضع يدي في قفصه ، أريد أن يجيء ويحطّ عليها بلطف وينقرها بمنقاره ، لكن ليس بنقرات حادّة كما فعل هذا الصباح .

قالت كميلة :

ـ أجل يامادلين . أنت محقّة . يجب معاملته بقسوة . لقد دلّلته كثيرا .

وانصرفت البنيات الى العمل ، واستعدن ألعابهن ، وحضرن وجبات الطعام من دون أن يظهر ميمي مجدّدا . وعند نهاية النهار بدأن يقلقن من طول غيابه . فذهبن عدة مرات للبحث عنه في البستان وفي الحرج ، ونادينه ، لكنّ ميمي لم يجب ولم يظهر .

قالت مادلين :

ـ «أخشى أن يكون قد حلّ مكروه بهذا المسكين ، ميمي» .

وتساءلت مرغريت :

ـ أيكون ضاع ولم يعد يعرف طريقه ؟

قالت كميلة :

ـ آه ! لا . هذا غير معقول . فالعصافير لاتضيع . انّها ترى جيّدا وبعيدا جدّا فتلمح دائما بيتها .

قالت صوفي :

ـ لعلّه مازال غاضبا ؟

ردت مادلين :

ـ اذا كان غاضباً فهذا يعني أنّ طبعه سيء ، وأكون مرتاحة اذا أمضى الليل خارجا حتى يرى الفارق بين قفص جيد ودافىء فيه حبوب ومياه ، وحرج رطب من دون طعام ولاشراب .

قالت صوفي :

ـ ياليمي المسكين ! كم هو مخطىء أن يكون شرّيرا .

هبط الليل ، فذهبت الصغيرات الى النوم من غير أن يظهر (ميمي) ثانية . تحدّثن عنه غالبا في السهرة ووعدن أنفسهن بالذهاب للبحث عنه في صباح الغد .

قالت مادلين :

ـ «سـوف يؤدّي هذا العمـل الى منعه اطـلاقا من الخـروج للتنزه في المستقبل» .

في صباح الغد عندما استعدّت البنيات للخروج ، رافقتهما السيّدة (دي روسبورغ) للبحث عن (ميمي) . فاجتزن الحرج وهن ينادين : ميمي ! ميمي ! لكنهن عدن من بحثهن غير المفيد حزينـات وقلقات . وفجأة قفزت مرغريت التي كانت تسير في الطليعة قفزة واطلقت صرخة . فسألتها البنيّات الثلاث معا :

ـ «ما هذا» ؟

ـ أنظرن ! أنظرن ! قالت مرغـريت ذلك بصـوت مرتعب وهي تشـير باصبعها الى كومة من الريش وبجانبها رأس ميمي المنكود الحظ وهو معروف تماماً .

ـ ميمي ! ميمي التعيس ! صرخت البنيات ! يا لميمي المسكـين ! لقد افترسه عقاب أو باشق !»

انحنت السيدة (دي روسبورغ) لتتفحص أكثر الريش والرأس : لقد كانت فعلا بقايا ميمي الذي انتهى نهـاية مؤلـة ضحيّة مـزاجه الشكس .

لم تنبس البنيات بكلمة ، ومادلين راحت تبكي . ثم جمعن ما تبقى من ميمي لدفنه واقامة ضريح له . وعندما عدن الى البيت حصلت لهنّ السيدة (دي روسبورغ) بسهولة على عطلة لدفن ميمي . فحفرن حفرة في حديقتهن وانزلن فيها بقايا (ميمي) وهي مغلفة بـالخرق والشرائط وموضوعة في علبة صغيرة . ووضعن أزهارا تحت العلبة وفوقها . ثم ملأن الحفرة بالتراب ، وشيدن بعدئذ بمساعدة أحد البنائين بضع قرميدات تشكل معبداً صغيراً . وعلقن فوقه خشبة صغيرة كتبت عليها كميلة ، التي كانت تملك أجمل خط ، مايلي :

«هنا يرقد ميمي الذي بنعومته ولطفه أسعد سيدته حتى يوم هلاكه ضحية لحظة سوء طبع . وكانت نهايته أليمة : لقد افترسه عقاب وان بقاياه التي وجدتها سيدته الحزينة جدا ترقد هنا .

فلورفيل في ٢٠ آب ١٨٥٦

وهكذا انتهى ميمي عن عمر بلغ ثلاثة أشهر .



التنوير

مضى على صوفي سنة في قصر (فلورفيل) من دون أن تتلقى أي خبر من زوجة أبيها . وبدلاً من أن يقلقها هذا السكوت أبقاها هادئة وناعمة البال . فتسيان زوجة أبيها لها أفضل حالة كانت ترغب فيها . كانت تعيش سعيدة عند صديقاتها . وكل نهار تقضيه مع هذه البنيات النموذجيات كان يرقيها وينمي فيها كل العواطف الحسنة التي كتبتها قساوة زوجة أبيها المفرطة بل أتلفتها تقريبا . كانت السيدة (دي فلورفيل) وصديقتها السيّدة (دي روسبورغ) طيبتين جداً ، وحنونتين على الصغار لكن من غير تدليل . وكانتا دائما منشغلتين بسعادة بناتهما وانشراحهن . ولم تهملا توجيههن نحو الكمال . وكانتا عرفتا كيف تجعلانهن سعيدات وفي الوقت ذاته صالحات ومستعدات دائما للتضحية في سبيل راحة الآخرين . وكان مثل الأمّين نموذجا لبناتهن .

وكانت صوفي تستفيد منه مثل الأخريات .

ذات يوم دخلت السيدة (دى فلورفيل) على صوفي وهي حاملة رسالة وقالت لها :

- «يا ابنتي العزيزة ، هذه رسالة من زوجة أبيك» .

قفزت صوفي عن كرسيها ، واحمرت وشحب لونها ثم هبطت على مقعدها وغطت وجهها بيديها وحبست دموعها بجهد .

أما السيدة (دي فلورفيل) التي قطعت جملتها لدى حركة صوفي فشعرت بقلق هذه الأخيرة ، قالت لها :

- «عزيزتي صوفي المسكينة ، تعتقدين ولا شك أن زوجة أبيك ستعود وتسترجعك . اطمئني فهي بالعكس تكتب لي لتخبرني ان غيابها سيطول نهائيا . انها في نابولي حيث تزوجت مجددا من كونت من آل (بلاغوفسكي) وان أحد شروط الزواج عدم اقامتك معها . ولذلك ، فان زوجة أبيك تطلب منّي أن أضعك في مدرسة داخلية . (احمر وجه صوفي أكثر ونظرت الى السيدة (دي فلورفيل) نظرة تضرع وهلع) . وتابعت السيدة دي فلورفيل وهي تبتسم : الّا اذا كنت انا أفضل الاحتفاظ بالقرب مني بفتاة مشاغبة جدا . فماذا تقولين ، ياصغيرتي صوفي ؟ أترغبين في الذهاب الى مدرسة داخليّة أم تفضّلين البقاء معنا ، فتكونين ابنة لي واختا لصديقاتك ؟»

فارتمت صوفي بين ذراعي السيّدة (دي فلورفيل) وراحت تقبّلها بحنو وتقول لها :

- «سيدتي العزيزة ! عزيزتي أبقيني بالقرب منك ، ولا تقطعي عني جودك العطوف . اسمحي لي أن أحبك كوالدة ، وأن أطيعك واحترمك كما لوكنت إبنتك الحقيقية ، وان ابذل جهدي كي أستحق حنانك ومحبة صديقاتي .

السيدة (دي فلورفيل) وهي تضمها الى صدرها .

لقد اتفقنا اذن ياصغيرتي العزيزة . ستبقين عندي . وستكونين

ابنتي مثل كميلة ومادلين ومرغريت . كنت متأكدة أنك تفضلّيننا على افضل والطف مدرسة داخلية في باريس .

قالت صوفي :

- سيّدتي العزيزة ، انا أشكر لك سبرفكرتي تماما . لكنّني أخش أن احمّلك نفقة باهظة ...

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

- اطمئني من هذا القبيل ، يا ابنتي العزيزة . فان والدك قد ترك لك ثروة طائلة تكفي لمصروف يزيد عشرة أضعاف على مصروفك .

وبعد أن عانقت صوفي السيّدة (دي فلورفيل) مجـدّدا ، خفّت الى صديقاتها لاعلامهنّ بهذه الأخبار المهمة . فعمّ الفرح الجميع . ورحن يرقصن رقصة دائرية صاخبة جدّاً ، ويطلقن صرخات حـادة أقلقت اليزا فأسرعت اليهن .

قالت اليزا :

- «ما هذا ؟ ماذا جرى بحقّ السماء ؟ ماذا ! هل هذه رقصة ! وهذه صيحـات فرح ! حسنـا ! في المرّة القـادمة لن أكـون غبيّة كـالان : ستصرخن عبثا وأبقى مستريحة حيث أنا ! هل رأيتم في حياتكم بنيّات يصرخن ويتدافعن هكذا مثل الشياطين الصغيرة ؟

قالت مرغريت وهي تقفز دائما :

- لو كنت تعلمين ياعزيزتي (اليزا) ! لو كنت تعلمين أيّة سعادة ! تعالي وارقصي معنا . ياللسعادة!

ياللسعادة !

قالت اليزا :

- ماذا حصل اذن ؟ لماذا ، ولمن يجب أن أنطّ مثل العفريت ؟ وأخيرا ألا تخبرنني ؟

قالت مرغريت :

- ستبقى صوفي معنا دائما ! فالسيّدة (فيشيني) تزوجت مجدداً ! ها !

ها ! لقد تزّوجت من كونت من آل (بـلاغوفسكي) . وهمـا لايريـدان صوفي ... ياللسعادة ! ياللسعادة ! ...

وعادت حلقة الرقص ، والقفز والصراخ من جديد الى الأوج . واشتركت معهن (اليزا) وارتفع الصخب الى درجة جعل كل أفراد البيت يجيئون بالتتابع لاستطلاع سبب هذا الصخب الذي لامثيل له .

وعاد الجميع مسرورين من الخبر الجديد ، اذ انهم جميعا كـانوا يحبون صوفي ويأسفون ان يكون لها زوجة أب سيئة بهذه الدرجة .

ثُم تعبت البنيّات من الرقص ، واستلقين جميعهنّ على الكراسي ، وكذلك استلقت مثلهنّ (اليزا) وقالت :

ـ «يابنيّاتي . انتنّ تعرفن أنّ في الأعياد الكبيرة تقام الإنارات : فلنفعل إنارة هذا المساء على شرف صوفي .

قالت كميلة :

ـ وكيف ؟ انّه يلزمنا مصابيح !

قالت اليزا :

ـ حسناً ! سوف نصنع .

قالت مادلين :

ـ ممّ سنصنعها ؟ وكيف ؟

قالت اليزا :

ـ من قشور الجوز والبندق والشمع الأصفر والفتيل .

قالت مرغريت :

ـ أحسنت يااليزا ! كم أنت فطنة ! تعالي اقبلك .

وارتمت مرغريت على (اليزا) لتعانقها ففعلت مثلها كميلة ومادلين وصوفي حتى أنّ (اليزا) المحاطة ضاق نفسها وارادت أن تتجنب بوادر الامتنان هذه فحاولت الهرب ، فتعلّقت بها الصغيرات الاربع ولحقن بها ، ولم تستطع الافلات منهنّ الأبعد اشواط من الركض . فدخلت غرفتها واقفلت على نفسها ولم يعد ممكنا الدخول عليها لأن الباب كان

مقفلا بإحكام .

قالت مرغريت !

ـ اليزا ! اليزا ! افتحي لنا أرجوك !

قالت كميلة :

ـ اليزا ! يا اليزا الطيّبة لن تقبلك الاّ مئة وخمسين مرّة فقط .

قالت مادلين :

ـ اليزا ! اليزا الممتازة . افتحي . نريد ان نكلّمك.

قالت صوفي :

ـ اليزا ! اليزا ! حلقة رقص واحدة بعد ، وكفى .

قالت اليزا :

ـ حسنا ، حسنا ، كسّرن انوفكن على بابي بينما انا أكّسر أشياء أخرى .

وفعلا سمعن صوتاً غريباً من دون صدى ولا يتوقف : كراك ، كراك . فقالت صوفي بصوت خافت :

ـ «ماذا تفعل في الداخل ؟ يظنّ الواحد أنّها تشوي كستناء فتتفجّر .

قالت مرغريت :

ـ انتظرى ، انتظري . سأنظر من خلال ثقب قفل الباب ... لا أرى شيئا . انّها واقفة ، تدير لنا ظهرها وتبدو منهمكة جدّا ، لكنّي لا أشاهد ماذا تفعل .

قالت كميلة :

ـ عندي فكرة . لنخرج بهدوء ثم ندور من الخارج لننظر من خلال نافذة غرفتها التي هي غير عالية جدّا . وبما انّها لاتتوقع ذلك فلن تجد متسعا من الوقت للاختباء .

قالت صوفي :

ـ هذه فكرة جيدة ، ولكن من غير ضجّة . فلنذهب على أصابع أرجلنا ومن غير ايّة كلمة .

وفعلاً ، انسحبن بهدوء تام ، فخرجن ودُرْن حول البيت على أصابع

أرجلهنّ ووصلن هكذا تحت نافذة اليزا . ورغم أن هذه النافذة تقع في الطابق الارضي فقد كانت ماتزال عاليـة جدّا بـالنسبة الى البنيّـات . وباشارة من كميلة وثبن على العرائش التي تزيّن الجدران ، وفي غضون ثانية واحدة كانت رؤوسهن الأربعة بمستوى النافذة . أطلقت (اليزا) صرخة ورمت بسرعة وزرتها على الصوان أمامها الذي كانت تعمل فوقه . ولكنّها تأخرّت ، فرأت الصغيرات كلّ شيء . وصرخن معا :

- «جوز ! جوز ! اليزا تكسر جوزا من أجل الانارة هذا المساء» .

- واذن ، بما أنّكن اكتشفتن ماذا أفعل ، فهيا لمساعدتي في تحضـير المصابيح .

قفزت البنّيات الى الأرض ودرن حول البيت ركضا وليس على أصابع الأرجل هذه المرة ، واندفعن الى غرفة اليزا التي كان بابها مفتوحا . وجدن مايقارب مئة قشرة جوزرة قد أصبحت جاهزة لملئها بالشمع أو بالشحم . سحبت كلّ واحدة من الصغيرات سكينها وأكببن على العمل بحماسة ونشاط حتى انّهن حضّرن في اقل من ساعة مئتي فانوس .

قالت اليزا :

- «حسنا . لنذهب الآن ونجلب قِدْراً من الشحم ، وعلبة فتيل ومقلاة بعنق وموقد .»

ركضن مع (اليزا) الى المطبخ وغرفـة الانتظار ليطلبن الأغـراض اللازمة لانـارتهنّ . وبعد العـودة أخذت كميلـة ملعقـة من الشحم ووضعتها في المقلاة . وكوّمت مادلين الفحم في الموقد . فأشعلت (اليزا) النار ونفخت فيها . أمّا صوفي ومـرغريت فـرتبتا قشـور الجوز عـلى الطاولة . عندما ذاب الشحم ملأت به (اليزا) القشور وحين كان مايزال ساخنا وسـائلا ، وضعت البنيّـات فتيلة سراج في كـلّ من الفوانيس الصغيرة .

هذه العمليّة استغرقت ساعة كاملة . انتظرن حتى برد الشحم جيّدا وجمد ، فوضعن جميع الفوانيس في سلّتين .

ـ «ها انّ عملنا قد انتهى .ولم يبق الاّ أن نضع جميع هذه الفوانيس فوق قناطر العَقد ، وعلى المداخن ، وعلى الطاولات وسنشعلها بعد العشاء عندما يهبط الليل » .

كانت السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبور غ) تشتغلان في البهو عندما دخلت اليزا والبنات مع السلّتين .

قالت السيدة (دي روسبور غ) :

ـ «ماذا تحملن هنا يابنياتي ؟»

قالت كميلة :

ـ فوانيس ، يا سيّدتي ، لنحتفل هذا المساء بالتنوير لزواج السيّدة (فيشيني) وترك صوفي لنا .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ لكنّ الفوانيس الصغيرة جميلة جدّا . أين حصلتن عليها ؟

قالت مادلين :

ـ لقد صنعناها ، يا أمّاه ، أعطتنا (اليزا) الفكرة وساعدتنا في صنعها .

وجدت السيّدتان (دي فلورفيل) و (دي روسبور غ) الفكرة جيّدة جدّاً . فساعدتا البنات على وضع الفوانيس . وكان موعد العشاء قد حل ، فصحبت (اليزا) البنيات لغسلهن وترتيبهنّ . بدا لهنّ العشاء طويلا جدّا . كنّ مستعجلات لمشاهدة مفعول إنارتهن . بعد العشاء انتظرن قليلا حتى هبط الليل . قمن بنزهة قصيرة مع أميهن حتى حلّ الظلام . فصاحت مرغريت أخيرا أنها ترى نجمة ، ممّا يثبت جيّدا أنّ الدنيا قد أظلمت لبدء التنوير . دخل الجميع هرولة ، وأخذت الأمان كالبنيات تشعلان الفوانيس .

عندما اشتعلت كلّ الفوانيس ، جلست البنيّات في وسط البهو ليحكمن على منظرها . كانت حبال النور جميعها تؤلف مشهدا رائعا . وكانت الصغيرات مسحورات . يصفقن بالأيدي ويقفزن . عرضت الأمان عليهن شوطا في لعبة الاستخفاء ، فقبلن العرض بصيحات من

الفرح . اليزا ، والسيدة (دي فلورفيل) والسيّدة (دي روسبورغ) لعبن معهنّ . كنّ يختبئن في جميع الغرف ، ويركضن في الماشي ، وعلى السلالم ، وكنّ يغششن في اللعب قليلا ويضحكن كثيراً . وكنّ سعيدات .

بعد ساعتين من الركض والضحك ، كان يجب انهاء هذا النهار الجميل . وقبل أن تتوجه الصغيرات الى النوم حصلن على عشاء من الحلوى (الكاتو) والكريما والفواكه . دعيت (اليزا) لتناول العشاء مع البنيات . وبما أنّها كانت متواضعة ، فقد مانعت قليلا . لكنّ البنيات اللواتي كن يلمحن في عينيها أن جميع هذه الأشياء الطيبة تثير شهيتها ، أحطن بها ، وجررنها نحو الطاولة ، وأجلسنها ، وقدّمن لها من كلّ شيء كمية جعلتها تصرّح أنّها لاتستطيع أن تأكلها كلّها . عندئذ صنعت البنيّات كومة من الحلوى والفواكه غلّفنها بورقة كبيرة وأرغمنها على حملها الى غرفتها . فشكرتهنّ (اليزا) وقبّلتهن وذعبت لتحضّر لهنّ أسرّتهن .

وصوفي ، من جهتها ، شكرت كميلة ومادلين ومرغريت على صداقتهنّ ، وانسحبت ، وقلبها طافح بالامتنان والسعادة .



المرأة الفقيرة

ذات يوم قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «يابنياتي العزيزات ، لنذهب في نزهة طويلة . ان الطقس رائع ، وليس حاراً . سنمر عبر الغابة التي توصل الى الطاحونة .

قالت مرغريت :

ـ وهذه المرّة لن أجلب حتما دميتي الجميلة .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

ـ اظنّ أنّك خيرا تفعلين .

قالت كميلة ، مبتسمة :

ـ وبما يخصّ الطاحونة ، فهل تعرفين ، يا أمّي ، ماذا بجانيت ؟

ـ لقد جاء معلّم المدرسة يحدثني عنها منذ أيّام قليلة . وهو مستاء جدّاً منهـا . فهي لاتشتغل ، ولا تنصت اليـه . وهي تحاول جـرّ البنيـات

الأخريات الى العمل السيء . والأسوأ من ذلك أنّها تسرق كلّ ما تقع عليه يدها : مناديل رفيقاتها الصغيرات ، زادهنّ ، ريشهن ، الأوراق .

قالت مادلين :

ـ لكن كيف عرفوا ان جانيت هي السارقة ؟ قد تكون البنيّات يفقـدن بأنفسهنّ حوائجهنّ .

ـ لقد فاجأوها ثلاث مرات حتى الآن وهي تسرق أو تحمل تحت تنورتها الأغراض التي تكون سرقتها ! ومنذ ذلك الحين ومعلّمة المدرسة تفتّشها كلّ مساء قبل أن تسمح لها بالانصراف .

قالت مرغريت :

ـ وأمّها التي جلدتها كثيراً في السنة الماضية عندما سرقت الدمية ، ألم تعد تعاقبها ؟

ـ لقد جلدتها أمّها بقساوة من أجل الدمية لأن تلـك السرقة أفقـدتها الهدايا التي كنت سأقدمّها لها . لكن يبدو أنها تربّيها تـربية سيئـة للغاية ، وأنّها تعطيها المثل السيء .

صوفي :

ـ هل انّ أمّها تسرق ايضا ؟

ـ انّها تسرق بطريقة تخالف طريقة ابنتها . فعندما نرسل اليها حبوبا لطحنها ، تخبيء قسما منها . وتذهب في الليل مع زوجها لسرقة الحطب من الغابة التي أملكها . وهي تسرق أسماكا من بركي وتذهب لبيعها في السوق . و(جانيت) تشاهد كل ذلك وتفعل مثل والديها . وهذا شرّكبير : فالله تعالى سوف يعاقبهم ذات يوم ولن يشفق عليهم أحد .

كانت النزهة مبهجة جدّاً . سلكن طريقا يمرّ عبر الغابة . شاهدت البنيات من بعيد جانيت التي ما ان لمحتهن حتى هربت للاختبـاء في الطاحونة .

قالت مرغريت :

ـ انظري ، ياصوفي ، أترين رأس جانيت التي تجتاز كوة مخزن الغلة ؟

قالت صوفي :

ـ آه ، انها تخبيء رأسها ! ها هي تطل في الطرف الآخر للمخزن .

قالت كميلة :

ـ احترسن . جانيت تقذفنا بالحجارة !

وفعلا ، كانت تلك الفتاة الشريرة تحاول اصابة البنيات بالحجارة الحادّة التي تقذفها بكلّ قوتها . استاءت السيّدة (دي فلورفيل) جدّا ، وتعهّدت بأنّها حالما نعود الى القصر سترسل وراء والد جانيت لتشكو اليه ابنته الشرّيرة .

وتابعن النزهة ، ثمّ جلسن في ظلّ سنديانات عتيقة مليئة بالبلوط . وبينما كانت البنيات يتلهّين في جمع البلوط وملء جيوبهن ، سمعن صوتا منخفضا . فتوقّفن وانصتن : فوصلت الى أسماعهن بكل وضوح أنّات وشهقات نحيب .

فقالت كميلة :

«لنذهب ونر من الذي يبكي ؟»

ووثبت البنيات الأربع الى الغابة ، الى حيث كنّ يسمعن النواح . وما ان خطون بضع خطوات حتى شاهدن فتاة صغيرة في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها ، ترتدي أسمالا بالية وهي تقتعد الأرض . كانت تخبىء رأسها بيديها ، وشهقاتها ترفع صدرها ، وهي مأخوذة بحزنها فلم تلاحظ البنيات اللواتي وصلن اليها .

قالت مادلين :

ـ «ياللصغيرة المسكينة . كم تبكي» !

رفعت الفتاة صغيرة رأسها وارتعبت لدى رؤية البنيّات الأربع المحيطات بها . نهضت وهمّت بالهرب .

قالت كميلة :

ـ «لاتهربي ، ياصغيرتي . ولاتخافي . لن نسيء اليك .

وسألتها مادلين :

ـ لماذا تبكين أيتها الصغيرة المسكينة ؟

وانّ الصوت المليء لطافة وشفقة الذي كلمت به كميلة ومادلين الفتاة الصغيرة حرّك عواطفها فعاودت النحيب أقوى من ذي قبل .

تأثرت مرغريت وصوفي ، فدمعت عيونهما ، واقتربتا من الفتاة المسكينة ، ولاطفتاها وشجّعتاها ، ونجحتا أخيراً بمساعدة كميلة ومادلين في وقف دموعها والحصول منها على بعض الكلمات .

قالت الفتاة الصغيرة :

ـ «آنساتي الصغيرات الطيّبات . نحن في هذه البلاد منذ شهر . مرضت أمّي لدى وصولنا ولم تعد تستطيع العمل . وقد بعت كلّ ماكان معنا للحصول على الخبز . ولم يعد معي شيء . وعلى الرغم من ذلك كنت آمل أن يشتروا في الطاحونة فستاني الحقير الذي يغطّي أسمالي ، ولكنّهم لم يرغبوا فيه ، وطردوني . حتى انّ فتاة صغيرة قذفتني بالحجارة .

قالت مرغريت :

ـ أنا متأكدة أنها جانيت الشريرة .

قالت الفتاة الصغيرة :

ـ أجل ، هذا صحيح . نادتها أمهّا بهذا الاسم وطلبت منها أن تتوقف ، لكنّها أمسكت بذراعي وشدّت عليه حتى سال الدم . لم اكن أبه له لو انّي حصلت على بعض المال لأجلب خبزا لوالدتي المسكينة . انّها ضعيفة جدا وهي لم تأكل شيئا منذ أمس !

قالت صوفي :

ـ لم تأكل شيئا !... لكن ، انت أيضا ، ياصغيرتي المسكينة ، لم تأكلي شيئاً !

ـ أوّاه ! أنا ، يا آنستي ، لست مريضة . استطيع أن أتحمّل الجوع . على كلّ حال ، فقد جمعت وانا ذاهبة الى الطاحونة بعض البلوطات وأكلتها .

قالت كميلة :

ـ بلّوط ! ياللبنت المسكينة ! انتظرينا لحظة ، ياصغيرتي . معنا سلّة خبز وخوخ ، سوف نجلب لك شيئا منها .

ـ أجل ، أجل ! صرخت بصوت واحد مادلين ومرغريت وصوفي . لنعطها عصرونيتنا ولنطلب لها مالا من أميّنا .

اسرعت البنيّات لملاقـاة أمّيهنّ . فوصلن لاهثـات . وبينما كـانت كمنيلة ومادلين تقصّان ما قالت لهما البنت الصغيرة ، أسرعت صوفي ومرغريت تحملان لها السلّـة التي تحتوي عـلى الزاد . وسرعـان ما شاهدن السيّدتين (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) تصلان الى الفتاة . ولم تكن البّنت الصغيرة قد لمست الخبز أو الفواكه .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ «كلي ، يا ابنتي الصغيرة . ستقولين فيما بعد أين تسكنين ومن أنت» .

قالت الفتاة الصغيرة ، وهي تحيي بانحناءة احترام :

ـ أشكرك جدّا ، ياسيدتي ، أنت طيبة جدا . أفضّل الاحتفاظ بالخبز والفاكهة لأمي . وسأحملهما اليها حالا .

ـ وأنت . ياصغيرتي ، ألا تأكلين منها شيئا ؟

ـ أوّاه ! ياسيّدتي ، شكرا جزيـلا . انا ليست بي حـاجة فـأنا لست مريضة . وأنا قويّة .

قالت الفتاة الصغيرة ، الشاحبة ، والهزيلة والتي تكاد لاتقوى على الوقوف على رجليها هذه الكلمات ، وحاولت حمل السلّة ، فهوت تحت ثقلها ، فتمسكت بالأغصـان المتداخلـة وخجلت . ثمّ كرّرت بصـوت ضعيف وخافت :

ـ «أنا قوية ، يا أنستي ، لا ينشغل بالكنّ علي .

قالت السيدّة (دي روسبورغ) وهي تهمّ بالانطلاق :

ـ أعطني هذه السلّة ، يا ابنتي المسكينة . سأحملها حتى بيتك . أين تسكنين ؟

ـ هنا ، قريبا ، يا سيدتي . عند طرف الحرج .

ـ ما اسم والدتك ؟
ـتسمّى الأم (الفرقاطة) ، لكنّ اسمها الحقيقي هو (فرانسوازليكونت)
ـ ولم يسموّنها الأم (الفرقاطة) ، يا ابنتي ؟
ـ لأنها زوجة بحّار
قالت السيدة (دي روسبورغ) باهتمام :
ـ وأين أبوك ؟ أليس معكما ؟
ـ مع الأسف ! لا ، ياسيدتي . ولهذا السبب نحن تعيستان الى هذا الحدّ . ذهب والدي منذ بضع سنوات ، ويقال انّ سفينته قد هلكت . ولم نعد نسمع شيئا عنها . فحزنت أميّ لهذا الحادث كثيرا حتى مرضت . فبعنا كلّ ما كنا نملك لشراء الخبز ولم يعد لدينا الآن شيء نبيعه . فماذا سيحل بأمي المسكينة ؟ وكيف أفعل لانقاذها ؟

وعاودت الفتاة الصغيرة النحيب .

تأثّرت السيدة (دي روسبورغ) كثيرا واهتزّت لهذا النبأ . فسألتها ، بصوت متهدّج :
ـ «على أيّة سفينة كان سافر والدك ، وما كان اسم القبطان» ؟
ـ كانت السفينة الفرقاطة (لاسبيل) ، وقبطانها (دي روسبورغ)

صرخت السيدّة (دي روسبورغ) وضمّت الفتاة الصغيرة المذعورة بين ذراعيها ، وكرّرت قائلة :
ـ «زوجي !.. سفينته !.. ياللفتاة المسكينة . أنت ايضا بقيت يتيمة مثل عزيزتي مرغريت ! امّك المسكينة تبكي مثلي زوجا مفقودا ، لكنّه قد يكون حيّا . آه ! لاتقلقي على والدتك ولا على مستقبلك . بسرعة قوديني الى والدتك لكي أراها وأعزّيها !

واسرعت الخطى وهي تمسك بيد لوسي الصغيرة (هذا كان اسمها) وكانت السيدّة (دي فلورفيل) والبنيّات يتبعن بصمت . لم تفهم (لوسي) جيدا صرخة السيّدة (دي روسبورغ) ولا تعهداتها ، لكنها كانت تشعر انّ السعادة حلّت عليها ، وانّ والدتها سوف تنقذ . كانت تسرع بقدر ما

يسمح لها ضعفها . وفي غضون بضع لحظات وصلن الى مسكن قديم وحقير .

كان المسكن كوخ حطّاب مهجوراً ومتهدّماً سطحه مثقوب من جميع الجهات . وليس له نوافذ . وبابه واطىء حتى أنّ السيدة (دي روسبورغ) اضطرت للانحناء كي تستطيع الدخول . ولم يسمح الظلام فيه في اللحظات الأولى رؤية امرأة في طرف الكوخ شبه مغطّاة بالأسمال البالية ومستلقية على كومة من الطحلب هي فراش الأم والفتاة . ولم يكن في الكوخ أية قطعة فرش أو ماعون أو أثاث . ولم يكن معلّقاً في الحائط أيّ ثوب . لدى رؤية هذا البؤس الشديد . حبست السيدّة (دي روسبورغ) دموعها بصعوبة ، واقتربت من المرأة التعيسة الشاحبة ، الهزيلة ، التي كانت تنتظر بقلق عودة (لوسي) مع الطعام الذي كان متوقعاً أن تشتريه بثمن فستانها العتيق والحقير . لاحظت السيدة (دي روسبورغ) أن الجوع هو الذي كان ينهش المرأة والفتاة في تلك اللحظة . فطلبت من (لوسي) أن تقترب ثمّ فتحت السلّة وقسمت الخبز والفاكهة بين الأم وابنتها . فالتهمتا الطعام بنهم . وانتظرت كي تنتهيا من هذه الوجبة البسيطة لتشرح للمرأة الفقيرة أنّها السيدة (دي روسبورغ) زوجة قبطان (لا سبيل) ، وأنّ الصغيرة (لوسي) أخبرتها عن تعاستهما وحزنهما منذ فقدت الباخرة التي كان يقودها زوجها . ثم أضافت : «سأهتم بمستقبلك ، ياعزيزتي (فرانسواز) . لاتقلقي لاعلى صغيرتك لوسي ولا على نفسك . وحالما أعود الى قصر (فلورفيل) سوف أرسل لك فوراً عربة لتنقلك الى القرية . سأهتم بايوائك ، والاعتناء بك ، وأزوّدك بكل ما تحتاجينه في غضون ساعتين . وستتركين هذا المسكن البائس وغير الصحي .

لم تترك السيدّة (دي روسبورغ) لفرنسواز ولا للوسي الوقت للصحو من المفاجأة . فخرجت بسرعة مصطحبة معها السيدة (دي فلورفيل) والبنات ، اللواتي بقين عند باب الكوخ . لم تنبس واحدة منهن بكلمة .

كانت السيدة (دي روسبورغ) مأخوذة بذكرياتها الحزينة ، والسيدة (دي فلورفيل) والبنات يشاركنها حزنها . عندما اقتربن من القرية اقترحت السيدة (دي روسبورغ) على السيدة (دي فلورفيل) مرافقتها لرؤية منزل كان معروضا للايجار منذ بعض الوقت قد يلائم المرأة الفقيرة . وافقت السيدة (دي فلورفيل) على الاقتراح بحماسة ، وتوجهتا الى منزل صغير لكنه نظيف وقد تم ترميمه وتجديده كليا . كان يحتوي على ثلاث غرف وقبو ، ومخزن للغلّة ، وحديقة جميلة ، وبستان مزروع بالأشجار المثمرة . كانت الغرف منورة ، وحجمها كاف للاستخدام . واحدة مطبخ وغرفة طعام ، والثانية غرفة نوم لفرانسواز وابنتها ، والثالثة غرفة احتياطيّة .

قالت السيدّة (دي روسبورغ) للسيدة (دي فلورفيل) :

«صديقتي العزيزة ، بينما أذهب أنا الى صاحب هذا البيت ، أعملي معروفا وعودي أنت الى القصر ، وأرسلي عربة لنقل المرأة (ليكونت) ثم أرسلي عربة ثانية الى هنا مع الأثاث والحاجات الضرورية لهذا المساء . ستتمكن المرأة الفقيرة منذ اليوم أن تمضي الليل في فراش جيد بانتظار أن أشتري لها ما يناسبها من أثاث .

وانطلقت السيّدة (دي فلورفيل) مع البنات من غير انتظار . وبدأت البنيات بمساعدة (اليزا) بجمع كلّ مايلزم لعشاء ومنامة فرانسواز ولوسي . لكن ، عندما جلبت كلّ واحدة منهنّ الأغراض التي كانت تعتقد أنّها حتما ضرورية ، توفرّت لهنّ كميّة كبيرة لم تعد عربة واحدة تستطيع أن تسع حتى نصفها . فهي طاولات وكراس ، وارائك ، وشمعدانات ، ومزهريات ، وطناجر ، وركوات ، وفناجين ، وأقداح ، وصحون ، وقناني ، ومكانس ، وفراش ، وسجاد ، وقالب سكّر ، ورغيفان يزن الواحد منهما ست ليبرات (٣ كلغ) ، وقدر مملوءة لحما ، وابريق حليب ، وقطعة زبدة ، وسلّة بيض ، وعشر قناني من النبيذ ، ومؤونة كاملة من جميع أنواع الخضر والفواكه والمقانق ، والجمبون . الخ ...

عندما شاهدت (اليزا) هذه الأكداس من الأغراض غير النافعة ، أخذت تضحك عاليا حتى غضبت مرغريت وصوفي بينما احمرّت كميلة ومادلين تكدرا .

فقالت لها مرغريت بحدّة :

ـ «لماذا تضحكين يا اليزا ؟ ليس هناك شيء يثير الضحك في مشاهدة تحضير المؤونة لامرأة فقيرة .

قالت اليزا ، ضاحكة أيضا :

ـ وتعتقدين أنّ والدتك سترسل كل هذه الأكداس من الأشياء غير النافعة ؟

قالت صوفي مجروحة الاحساس :

ـ لايوجد في ما جلبناه الّا ما هو ضروريّ جدّا .

قالت اليزا :

ـ ضروري لبيت مثل بيتنا . انّما لامرأة فقيرة ليس لديها سرير خاص بها ، فماذا تردن أن تفعل بكلّ هذا ؟ وكيف تستطيع أن تنظّم وتنظّف كلّ هذا الأثاث ؟ وكيف تستطيع أن تأكل هذا الخبز كله الذي سيقسو مثل الحجر قبل أن تتمكن من الوصول الى أخر لقمة فيه ؟ وهذا اللحم الذي سيفسد قبل أن تأكل نصفه ؟ وهذه الزبدة وهذا البيض وهذه الخضر : كلّ ذلك سيذهب سدى كما ترين .

قالت كميلة :

ـ لكنّك أنت نفسك ، يا اليزا ، حضّرت الفرش ، والمخدّات ، والشراشف والبّطانيات .

قالت اليزا :

ـ طبعا لأنها ضرورية لمنام الأم (ليكونت) وابنتها . امّا كلّ هذا ؟... هيّا أتركنني أتصرّف . سأرتّب الأمور على أفضل وجه . يا (جوزف) تعال ساعدني لترتيب الأغراض في العربة من أجل «البيت الأبيض» الصغير في القرية . اسمعن . هذا (نيكاز) مارّ من هنا . نادينه ليساعدنا .

حسنا .. لنضع الفرش أوّلا ... هكذا تماما ... والآن رزمة البطانيّات والشراشف والمخدات ... حسنا جيدا ... ضع في هـذه الزاويـة هذا الرغيف وهذا الاناء من الزبدة ،وهذه البيضات الست ...حسنا ...ثم هـذه القدر من المـرق ... وهذه العينـة من النبيذ ... وعلبـة الفتيـل والشمعدان ... هناك ضع هذه الطاولة الصغيرة وكرسيين من قش ، وكوبين ،وصحنين ...وهذا كلّ شيء ... اذهب الآن وانتظر سيدتي قبل افراغ العربة .



اسكان فرنسواز ولوسي

قالت كميلة :

ـ «يا أمّي ، أتسمحين لنا بالذهاب مع (اليزا) الى البيت الأبيض الصغير لتحضير الأسرّة والمؤن للوسي المسكينة وأمّها ؟ سنشاهدها عندما تصل وسنسر بمفاجأتها .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

-اجل ،يا بنيّاتي العزيزات ، اذهبن لاتمام ميرّتكن ،ورتّبن كلّ شيء على احسن وجه . اشترين من القرية ما ينقصهما للعشاء . وأنا ، سأبقى هنا لكتابة رسائل وتحضير دروسكنّ للغد . سوف تخبرنني عن فرحة المرأة المسكينة وابنتها .

-يا أمّي ! هل نستطيع أخذ قميص من قمصاننا ،وفستان ،وجوارب ، وحذاء ومنديل للمسكينة لوسي التي ترتدي الأسمال البالية ؟

-بكل تأكيد ،ياصغيرتي مادلين .فتفكيرك هذا صادر عن طيبة ومحبّة . خذن معكن البسة داخلية للأم المسكينة ، وردائي العتيق للبيت ، بانتظار أن تكون السيدة (دي روسبورغ) قد اشترت لهما الألبسة الضرورية .

-شكراً ،يا أمّي العزيزة .كم أنت طيّبة !

قبّلت السيّدة (دي فلورفيل) بحنوّ مادلين التي أسرعت لاعلام صديقاتها بهذا الخبر السارّ . وجمعت (اليزا) الأغراض التي سيأخذنها في رزمة صغيرة ، وانطلقن في الطريق مبتهجات .

لدى وصولهنّ الى البيت الابيض وجدن السيّدة (دي روسبورغ) وهي تعطي أوامرها لافراغ العربة .واهتمت البنيات بمساعدة (اليزا) في تنظيم الأسرة وترتيب الأغراض التي جلبنها .

قالت اليزا :

- «يلزمنا حطب لطبخ الحساء .

قالت كميلة :

-وملح ليرش فوقه !

قالت مادلين :

-وملاعق لاحتسائه !

قالت مرغريت :

-وبرنية وصحون لوضع السمن والبيض .

وقالت السيّدة (دي روسبورغ) :

ـ غزيزتي (اليزا) ، هلّا تذهبين الى القرية لشراء ما هو ضروري ؟

ردت اليزا :

ـ أجل ، سيّدتي . وبكلّ سرور . انتظرنني ، أيتها البنيّات ، سأعود في غضون خمس دقائق .

أعدّت البنيّات المائدة ، فلم يستغرق ذلك منهنّ وقتا طويلا . وضعن الطاولة في وسط المطبخ ، والكرسيين ، الواحد بازاء الآخر ، وعلى الطاولة وضعن الصحون والأقداح وقنينة النبيذ وكذلك الخبز . عادت اليزا مسرعة . كانت تحمل ما ينقص فضلاً عن السكرّ للنبيذ الساخن الذي كانت تبغي أن تسقيه لفرنسواز . ثم اضافت قائلة :

ـ «هذا أيضاً ابريق للمياه . ما فكرّنا فيه» .

بعد انتظار دام بضع دقائق كانت (اليزا) قد تمكنت في غضونه من اشعال النار وصنع حساء جيّد وعجّة بيض ـ وصلت العربة التي تقل المرأة وابنتها فكانت المسكينة ممددة فيها ، ولوسي الصغيرة تسند رأسها بركبتها . ولمّا توقفت العربة أمام الباب أنزلت السيّدة (دي روسبورغ) فرنسواز بمساعدة (اليزا) فبدت أكثر ضعفا وشحوبا ممّا كانت عليه قبل بضع ساعات . لم تكن لها القوة لشكر السيدة (دي روسبورغ) ، لكنّ نظرتها الحنون دلّت كفاية على الشكران الذي يملأ قلبها . ولوسي كانت قلقة لهذا الوهن الشديد فلم تفطن لمشاهدة البيت ولا الغرفة التي أدخلت اليها . ولكن عندما اطمأنت الى مصير والدتها وشاهدتها مرتدية البياضات ونائمة في سرير جيّد له شراشف وأغطية ، عندئذ أشرق وجهها الذي كان قلقا . وارتفع رأسها الذي كان منحنياً فوق والدتها ، وأمالت عينيها اللتين كانتا مسّمرتين على ذلك الوجه الشاحب الى اتجاه آخر ونظرت حولها . فتبدد الألم والقلق لتحل محلّه السعادة . فتلون خدّاها وانحدرت عليهما دموع الفرح . لكن التأثر أخرسها ، فلم تقو الاّ على الارتماء على ركبتيها . فأمسكت بيد السيّدة

(دي روسبوغ) وشدّتها الى شفتيها وأجهشت بالبكاء .

قالت لها السيّدة (دي روسبورغ) بكلّ رأفة وهي ترفعها :

«انهضي ، يا ابنتي . ولا توجهي اليّ هذا الشكر ، بل وجهيه الى الله تعالى الذي سمح بمصادفتك والتفريج عن بؤسك . هدّئي من روعك لئلا تخضّي والدتك . فمع الراحة والتغذية الجيدة سوف تستعيد نشاطها بسرعة . وها هي (اليزا) تجلب لها حساء وفنجان نبيذ ساخن مع السكر . وأنت ، يا ابنتي المسكينة ، انك منهوكة الجسم مثل والدتك تقريبا ، اجلسي الى الطاولة وكلي الوجبة الصغيرة التي اعدّتها لك (اليزا)» .

قادت البنيات (لوسي) الى الغرفة المجاورة وقدّمن لها عشاءها ، في حين كانت (اليزا) والسيّدة (دي روسبورغ) تطعمان (فرنسواز) : قدّمت لها كميلة الحساء ، ومادلين شريحة لحم عجل ، وصوفي عجّة بيض ، وصبّت لها مرغريت المياه لتشرب . لم تتعب (لوسي) من النظر ، والاعجاب ، والشكران . كانت تنادي البنيّات : (عزيزاتي المحسنات اليّ) الأمر الذي أفرح مرغريت كثيراً .

عندما انتهت (لوسي) من الأكل ، أسرعت الصغيرات الأربع لالباسها . كدن يمزّقن ثيابها لشدّة ما كنّ يسرعن في نزع الأسمال لالباسها الأشياء الجميلة التي جلبنها لها . فلم تتمالك لوسي من اطلاق بعض الصرخات الصغيرة بينما احداهنّ تشدّ لها شعرها وهي تنزع قبّعتها الوسخة ، والثانية تشكّ دبّوسا في ظهرها ، والثالثة تقرصها وهي تدخل لها يديها في الكمّين ، والرابعة تشدّ خناقها وهي تعقد قبّعتها البيضاء وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت نفسها أخيراً مرتدية بشكل يثير الاعجاب فأسرعت لكي تشاهدها أمّها التي جمعت كفّيها وتطلعت الى لوسي باعجاب . ثم قالت بصوت مسموع :

- «يا أنساتي العزيزات ، ويا سيّدتّي المحترمتين . ليبارككن الله تعالى ويكافئكنّ . وليرجع لكنّ يوما الخير الذي تبذلنه من أجلي ، والسعادة

التي ملأتن بها قلبي ! قربي اكثر ، ياعزيزتي لوسي ، لكي اشاهدك ولكي ألمسك ! آه ! لوكان بامكان والدك المسكين أن يراك هكذا !»

وسقط رأسها على المخدّة ، فغطّته بيديها وبكت . امسكت لها السيّدة (دي روسبورغ) يديها بمودّة ، وعزّتها قدرما استطاعت قائلة :

«كلّ ما يرسله الينا الله تعالى هو لخيرنا ، ياعزيزتي (فرنسواز) . اسمعي ! لو أنّ الطحّانة الشريرة لم تطرد ابنتك لوسي ، فلم تكن صغيراتي قد سمعنها تبكي ، ولم أكن استجوبتها لاعرف شقاءك . وهكذا يحصل في كلّ أمر . يرسل الله تعالى لنا السعادة ويسمح بالأحزان . فلنتقبّلها منه ، ولنتأكد أنّ كلّ ذلك يفعله لخيرنا» .

طمأنت كلمات السيّدة (دي روسبورغ) فرنسواز . فمسحت دموعها وارتاحت الى السعادة لوجودها في بيت مقفل جيّداً ، ونظيف . تنام في سرير جيد وشراشف بيض مع الاطمئنان الاكيد بأنّها لن تخشى بعد الآن لا هي ولا لوسي قلق الجوع والبرد وكلّ البؤس الذي انتشلتها منه السيّدة (دي روسبورغ) . قالت لها السيدة (دي روسبورغ) :

- «غداً ، ياعزيزتي فرنسواز ، سأذهب الى (لاغل) لشراء الأثاث ، والثياب والأغراض الأخرى الضرورية لمنزلك . فصغيراتي ، وأنا ، سنجيء غالبا لرؤيتك . واذا رغبت في شيء أخبريني به . وبانتظار ذلك هذه عشرون فرنكا أتركها لك من أجل مؤونتك من الحطب ، والشموع ، واللحم ، والخبز ، والسمانة ، عندما تتعافين تماما ، سأوفر لك عملا . لاتشغلي بالك في شيء . كلي ، نامي ، واستعيدي قوّتك . وصلّي معي الى الله تعالى كي يعيد لنا ذات يوم زوجينا» .

نادت السيّدة (دي روسبورغ) البنيّات فودّعن (لوسي) وعاهدنها بالعودة لرؤيتها في صباح الغد . ثم عدن إلى القصر حيث وجدن السيدة (دي فلورفيل) قلقة قليلا لطول غيابهنّ ، ومتحضّرة للّحاق بهن ، واسترجاعهنّ ، لأن موعد العشاء كان قد فات منذ وقت طويل .

أخبرتها البنيّات عن فرحة (لوسي) وأمّها ، وامتنانهما . وأشدن

بطيبة السيّدة (دي روسبورغ) . تحدّثن عن ذلك بطلاقة لسان طيلة السهرة . وأعدن الحديث مع (اليزا) عندما ذهبن الى النوم . وظللن يتحدّثن به بعدما تمدّدن في الأسرة . وحلمن في الليل بلوسي . وفي صباح الغد كانت أوّل فكرة لهنّ هي الذهاب الى البيت الابيض الصغير . وعندما اقترحت عليهن السيّدة (دي فلورفيل) ان تصحبهن الى هناك كانت السيّدة (دي روسبورغ) قد انطلقت منذ وقت طويل لشراء الأثاث الذي وعدت به في العشيّة فوجدن (فرنسوار) قد تحسّنت بشكل ملموس ونهضت . وكانت (لوسي) قد طلبت من جار صغير خدوم ان يصنع لها مكنسة . وكانت قد كنست ليس الغرف وحسب وإنما مدخل البيت أيضا . كانت الأسرة مرتّبة بشكل نظيف . والحطب الذي اشترته مصفوفا أكواما في القبو . وكانت قد مسحت بثوب قديم لها الطاولة والكراسي والمواقد : كلّ شيء كان نظيفا .

وكانت فرنسواز ولوسي تتمشّيان بمتعة في منزلهما الجديد لمّا وصلت السيّدة (دي فلورفيل) والبنيات ، وكنّ يجلبن بعض المؤن للغداء . فباشرت لوسي بتحضير الطعام واقترحت البنيّات عليها أن يساعدنها .

قالت لوسي :

- «شكراً ، يا آنساتي العزيزات الطيّبات . سأتمكّن وحدي من اتمام العمل» . لايجوز أن توسّخن ايديكنّ البيض الجميلة في ايقاد النار واذابة الزبدة .

قالت مرغريت ،

- لكن ، هل تعرفين أن تصنعي عجّة وحساء ؟

- أه ! طبعا يا انستي ! لقد صنعت أشياء أصعب من هذه ، عندما كنّا نملك ما يمكنّني من ذلك . وحين كانت أمّي تشتغل كنت أقوم بكل عمل البيت .

رجعت السيّدة (دي فلورفيل) والبنات الى القصر لاستئناف الدروس التي أهملت نوعا ما في العشيّة . وعادت السيدة (دي روسبورغ)

ظهرا . فطلبت فرصة أخيرة للبنات وحصلت عليها للمساعدة في ترتيب الأثاث في البيت الأبيض . واليزا التي كانت خدومة جداً وماهرة في العمل سخرتها مجدّدا السيّدة (دي روسبورغ) لمساعدة البنيات . وعاد الجميع بعد الغداء الى بيت فرنسواز . فكانت البنيّات يركضن ويقفزن طوال الطريق . وجدن الأم وابنتها تطفحان سرورا أمام كنوزهما من المفروشات وأواني المائدة ، والبياضات ، والثياب . لم يكن ينقص شيء .وكانت المهمّة طويلة لوضع كل شيء في مكانه . أرسلن في طلب النجّار لتسمير ألواح الخشب ووضع العلاّقات . فعلّقن وفككن عشر مرات الطناجر والمرايا . حتى انّ المفروشات كلّها دارت على الغرف قبل ايجاد المكان حيث يجب أن تستقرّ . فكلّ ابنة كانت تعطي رأيها ، وتصرخ ، وتشدّ ، وتضحك . ومضى وقت ما بعد الظهر كلّه تقريبا لترتيب كلّ شيء في مكانه . ولم تفرح لوسي في حياتها قدر ما فرحت ذلك اليوم ، وكان قلبها طافحا بالسرور . ومن وقت لآخر كانت تجثو على ركبتيها وتصرخ : «يا الهي ، اني أشكرك» ! ويا سيّدتيّ العزيزتين كم أنا معترفة بجميلكما ! ويا آنساتي الصغيرات ، شكرا ! شكرا» ! «وكانت الصغيرات مسرورات مثل لوسي وفرنسواز . فرؤيتهن هذا الفيض من السعادة كانت لهما أمثولة رائعة في المحبّة . وقد تعهّدت صوفي أن تبقى دائما محبة ، وان تتصدّق على الفقراء بكلّ الأموال التي تحصل عليها كمصروف جيب . ثمّ انتهى النهار بوجبة طعام رائعة طلبت احضارها السيّدة (دي فلورفيل) الى بيت فرنسواز . فتعشى الجميع معا على طاولة الطعام الجديدة المفروشة ببياضات فرانسواز والذي في آنيتها . وشاركتهن (اليزا) . أجلستها كميلة ومادلين بينهما ، واهتمتا بملء صحنها طيلة العشاء الذي قدم فيه حساء ، وفخذ خروف مشوي ، ويخنة فرّوج وسلطة ، وفطيرة حلوى بالدرّاق . كانت (لوسي) تلحس أصابعها فتسرّ البنيّات لفرحتها التي تشاركها فيها (فرنسواز) .

بعد العشاء عادت السيّدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) الى

القصر ، تاركتين (اليزا) مع البنيّات اللواتي ألححن على البقاء لمساعدة (لوسي) في جلي آنية الطعام وتنشيفها وترتيب كلّ شيء في محلّه .
ولمّا اصبح كلّ شيء نظيفا ومرتّبا ، وأغلق بعناية على بقايا الطعام في صواني السفرة ، انسحبت (اليزا) مع البنيات . ساعدت لوسي والدتها في النوم ثم استراحت هي من أتعاب هذا النهار السعيد .



صوفي تريد ممارسة احسان

تأثرت صوفي كثيرا بمغامرة (فرانسواز) و(لوسي) . لقد أحسّت بالسعادة التي نشعر بها عند صنع الخير . فلم تكن زوجة أبيها تمارس الصدقة ولا احد من الأشخاص الذين كانت تعيش بينهم . ولم يعطوها دروسا في الاحسان . كانت تعلم أنّها سترث يوما ما ثروة طائلة .

وبانتظار ان تتمكن من استخدام هذه الثـروة في تخفيف البؤس عن الناس كانت تتوق بحماسة الى أن تصادف (لوسي) ثانيةً و(فرنسواز) أخرى . ذات يوم كانت صوفي مع الأم (لوفرا) البستانية . وهي امرأة صالحة جدّا ، وكانت صوفي تحب التحادث معها ، فقالت لها : «آه ! يا أنسة ! هناك كثير من الفقراء لاتعرفينهم . اسمعي ! أنا أعرف امرأة طيّبة ، تسكن وراء الغابة . وهي تعيسة جدّا . فلا تحصل دائما على قطعة خبز لتقضمها بأسنانها .

قالت صوفي :

ـ أين تسكن ! وما اسمها ؟

ـ تقطن في بويت عند مدخل القرية بعد اجتياز الغابة . واسمهـا الأم (توتان) ، وهي عجوز فقيرة وصغيرة الجسم . فهي ليست أكبر من ولد ابن ثمانية اعوام ، ولها يدان طويلتان كيدي رجـل . وعمرهـا اثنان وثمانون عاما . وما تزال قامتها منتصبة مثلي تماما . تعمـل قدر مـا تستطيع . انها عجوز ، ضعيفة القوى . تملك كرسيّا صغيرا يبدو وكأنّه مصنوع من أجل ولد . تنام في فرن على الخنشار ولا تأكل غير الخبز والجبنة اذا توفرا لها .

ـ أوّاه ! كم أحب أن أراها ! هل هي بعيدة جدّا ؟

ـ من هذه الجهة ، كلّا ، يا أنستي . نصف ساعة سيرا على الأقدام ليس أكثر . يمكنك أن تصلي اليها وأنت تتنزهين .

لم تضف صوفي شيئا ، لكنّها تصوّرت في ذهنها خطّة للذهاب اليها ولكي يكون الاستحقاق من نصيبها وحدها ، قرّرت أن تنفّذ خطتها من غير مساعدة ومن غير أن تحدّث بها أحدا ما عدا مرغريت التي كانت تربطها بها صداقة خاصّة . وعلى كل حال كانت تخاف من كميلة ومادلين اللتين لاتفعلان شيئا أبدا من دون استئذان والدتهما ، فتمنعانها من الابتعاد عن خادمتهـا . انتظرت اذن حتى كـانت مرغـريت وحدهـا لتخبرها بما تعرف عن بؤس تلـك العجوز الفقـيرة ، ولتعرض عليهـا

مرافقتها في الذهاب اليها لمشاهدتها واغاثتها .
قالت مرغريت :
ـ هذا جلّ ما أطلب . لنذهب حالا اذا وافقت أميّ ، ولنأخذ معنا كميلة ومادلين واليزا .
قالت صوفي :
ـ لا ، يامرغريت . ويجب ألاّ نخبر أحدا . سيكون أجمل بكثير وأكثر محبّة اذا ذهبنا وحدنا من غير مساعدة أحد لاعطاء هذه الأم (توتان) ، القصيرة ، المال الذي نملكه من أجل الحلوى والمتع . فأنا عندي ثلاثة فرنكات وعشرون سنتاً في محفظة نقودي . وأنت كم معك ؟
ـ أنا عندي فرنكان وخمسة واربعون سنتاً . أعرف جيّداً أنّنا غنيّتان . لكن ، لماذا يكون أفضل واكثر محبّة أن نختبىء عن السيدة (دي فلورفيل) ووالدتي وعن كميلة ومادلين ، ثم نذهب وحدنا الى بيت هذه المرأة الطيّبة ؟
ـ لأني سمعت ذلك اليوم مَنْ يقول لوالدتك انّه لايجوز أن نتباهى بالخير الذي نفعله ، ويجب التخفّي حتى لا يكال لنا المديح . إذن ترين جيّداً أنّنا اذا تخفّينا في صنع الاحسان مع هذه العجوز الطيبة فسيكون ذلك أفضل .
ـ مع ذلك أرى أنّه يتوجّب علي في الأقل أن أقول لأمي .
ـ لا ، أبدا . اذا أخبرت أمّك ، فسيرغبن جميعهنّ في المجيء معنا وتقديم المال . عندئذ ماذا نفعل نحن ؟ سنقف هناك للاستماع والنظر كما حصل ذلك اليوم في كوخ (فرنسواز) و(لوسي) . ما هو الخير الذي فعلناه هناك ؟ لاشيء . انّما السيّدة (دي روسبورغ) هي التي تكلّمت وهي التي أعطت كلّ شيء .
ـ ياصوفي ، أعتقد أننا صغيرات جدّاً لكي نذهب وحدنا عبر الغابة .
ـ صغيرات جدّاً ! عمرك ست سنوات وأنا عمري ثمان ، وتعتقدين أنّنا لانستطيع الخروج من غير أمّينا أومن غير خادمة ؟ ها ! ها ! كنت أذهب

وحدي أبعد من هذا عندما كان عمري خمس سنوات .

مرغريت كانت ماتزال متردّدة .

فقالت صوفي :

ـ ارى أنّك خائفة وحسب ، وأنّك لا تجرؤين على خطوة خطوة من دون أمّك ؟ وربما تخافين ان يقضمك الذئب .

قالت مرغريت ، مغتاظة :

ـ أبدا . يا أنسة . لست بهذه الحماقة التي تظنّينها . أعرف جيّدا انه لاتوجد ذئاب ولست خائفة . ولكي أثبت لك ذلك ، سنذهب حالا .

ـ احسنت ! لنذهب حالا . سنعود في أقلّ من ساعة .

وانطلقتا في الطريق غير مقدّرتين المخاطر والأهوال التي تتعرّضان لها . كانتا تسيران سريعا وبصمت . مرغريت لم تكن تشعر أنّ ضميرها مرتاح . كانت تعرف انّها ترتكب حماقة ، وتتأسف لأنها لم تَثْبُت في وجه صوفي . وصوفي لم تكن مطمئنة كثيرا : فاعتراضات مرغريت عادت الى ذاكرتها ، وخافت أن تكون جرّتها الى فعل الشر . فقالت في نفسها : «سنوبخ» . وتعجبت كيف انّهما ، بعد ساعة من الانطلاق ، لم تصلا ، مع أنّهما تواصلان السير من دون توقف .

سألتها مرغريت بقليل من القلق :

ـ «هل تعرفين الطريق جيّدا» ؟

فأجابت صوفي بصوت واثق على الرغم من الخوف الذي بدأ ينتابها :

ـ طبعا ، فالبستانية دلتني عليه جيّدا .

ـ هل سنصل قريبا ؟

ـ في غضون عشر دقائق على الأكثر .

وتابعتا السير بصمت . ولم يكن للغابة نهاية . فلا يبدو بيت ولا قرية ، انّما أشجار ودائما أشجار .

قالت مرغريت :

ـ «تعبت» .

فأجابت صوفي :

ـ وأنا ايضا .

ـ قد مضى وقت طويل على انطلاقنا .

لم تجب صوفي : كانت مضطربة كثيرا ، وقلقة جدًا . فلم تستطع اخفاء خوفهامدّة أطول .

ـ «لو نعود الى البيت ؟ قالت مرغريت .

ـ آه ! أجل ! لنعد .

ـ ما بك ياصوفي ؟ تبدين كأنّك ترغبين في البكاء

ـ لقد تهنا ـ قالتها صوفي وهي تجهش بالبكاء ـ لم أعد أعرف طريقي . لقد تهنا .

فأجابت مرغريت بهلع :

ـ تهنا ، تهنا!

ماذا سيحلّ بنايا الهي !

فصرخت صوفي وهي تشهق :

ـ قد اكون أخطأت في الطريق عند مفرق الطرق . ولم أعد أعرف مطلقا أين صرنا .

عندما رأتها مرغريت مغتمّة جدًا ، حاولت طمأنتها في الوقت الذي تُطمئن فيه نفسها : «خفّفي عنك ياصوفي . عاجلا أم آجلا سنجد طريقنا . لنعد على أعقابنا وبسرعة مضى وقت طويل على انطلاقنا . ستقلق علينا والدتي والسيّدة (دي فلورفيل) . وأنا متأكدة أنّ كميلة ومادلين تبحثان عنّا في كلّ مكان .

مسحت صوفي دموعها وعملت بنصيحة مرغريت . عادتا على أعقابهما ومشتا طويلا . أخيرا وصلتا الى مفرق حيث تتلاقى طرق عديدة متشابهة . فتوقّفتا هناك . وسألت مرغريت :

ـ «أيّ طريق يجب أن نسلك» ؟

ـ لست أدري . كلّها متشابهة .

ـ حاولي أن تتذكري الطريق الذي سلكناه في المجيء .
تطلّعت صوفي ، استجمعت ذكرياتها ولم تتذكر . فقالت :
«أعتقد أنه الطريق حيث يوجد طحلب .
ـ هناك طريقان عليهما طحلب . انما يبدو لي أنّه لم يكن موجودا طحلب على الطريق الذي سلكناه في المجيء .
ـ أوّاه ! بلى . كان يوجد منه الكثير .
ـ أذكر أنّنا صادفنا الغبار طيلة الوقت .
ـ أبدا . فانت لم تلتفتي الى قدميك . لنأخذ هذا الطريق الى اليسار وسنصل في اقل من نصف ساعة .

تبعت مرغريت صوفي . وتابعتا كلتاهما السير بصمت . كانتا قلقتين فاحتفظت كلّ منهما بملاحظاتها المتعبة لنفسها . ومع ذلك ، توقّفت مرغريت بعد انقضاء ساعة وقالت :
ـ «لست أرى حتى الآن طرف الغابة . وأنا تعبة جدّا .
ـ وأنا كذلك . قدماي تؤلمانني بشدّة .
ـ لنجلس قليلا . لم أعد أستطيع السير .

وجلستا على حافّة الطريق . أسندت مرغريت راسها بين يديها وبكت بهدوء . كانت تأمل ألّا تلاحظها صوفي . كانت خائفة من أن تحزنها لأن صوفي هي التي أوقعتها وأوقعت نفسها في هذا المأزق الحرج . وصوفي كانت متأسّفة في داخلها وتشعر كم تصرفت خطأ في جرّ مرغريت الى هذه النزهة الطويلة في غابة لا تعرفانها .

مكثتا طويلا من دون كلام . وأخيرا مسحت مرغريت دموعها واقترحت على صوفي أن تنطلقا في المسير . نهضت صوفي بصعوبة ، وتقدّمتا ببطء . كان التعب يزداد لحظة بعد لحظة وكذلك القلق . ومالت الشمس الى الغروب . واضيف الخوف الى القلق . وبدأتا تحسّان بالعطش والجوع . وأخيرا قالت صوفي :
ـ «عزيزتي مرغريت ، سامحيني . فأنا التي أقنعتك بمرافقتي . وأنت

كريمة جدّاً لأنك لاتلومينني على ذلك .

فأجابت مرغريت :

ـ أنت مسكينة ياصوفي . لماذا تلومين نفسك ؟ ارى جيّداً أنّك تتألمين اكثر منّي . ماذا سيحلّ بنا اذا كنّا مجبرتين على قضاء الليل في هـذه الغابة الرهيبة ؟

ـ غير ممكن ، ياعزيزتي مرغريت . قد تكون أمّانا الآن قلقتين علينا في البيت ، وسيرسلان من يبحث عنّا .

ـ لو كنّا نستطيع في الأقل ايجاد مياه ! انّي عطشى كثيراً وأحسّ بحلقي يشتعل .

ـ الا تسمعين سقسقة ساقية في الحرج ؟

ـ أظنّ أنّك محقّة . فلنذهب كي نرى .

وتوغّلتا في الدغل وهما تشقّان طـريقا بـين الأشواك والعلّيق التي مزّقت لهما الساقين والذراعين . وبعد أن سارتا هكذا مئة خطوة سمعتا بوضوح خرير المياه . فأعطاهما الأمل شجاعـة . ووصلتا الى ضفـة جدول ضيّق جدّا ، لكنّه عميق . وبما أنّه كان طافيا حتى الضفة تمكنتا بسهولة من الشرب بمجرّد أن ركعتا على ركبتيهما . فَرَوّتا عطشهما ، وغسلتـا الوجـه واليدين ، ونشّفتـا بوزرتيهمـا ، وجلستا عـلى ضفة الجدول . كانت الشمس قد غابت ، والليل يهبط . وكان هلع الصغيرتين المسكينتين يتضاعف مع الظلام . فلم تعودا تضبطان نفسيهما وبكتا معا بلا تردّد . لم يكن يسمع أيّ صوت ولا يناديهما أحد . فلم يفكر أحد على الارجح في البحث عنهما في هذا البعد .

قالت صوفي :

ـ «يجب أن نحاول العودة الى الطريق الذي تركناه . ربّما صادفنا احد المارّة فيتمكّن من اعادتنا . ثمّ انّه اقل رطوبة من ضفّة المياه .

اجابتها صوفي :

ـ سنجرّح أنفسنا مجدداً بالأشواك .

– ومع ذلك يجب أن نحاول الاهتداء الى طريقنا . فلا نستطيع البقاء هنا .

نهضت مرغريت وهي تتنهّد وتبعت صوفي التي حاولت أن تسهّل لها المرور بالسير آمامها . وبعد فترة من الوقت ومجهود كبير ، وصلتا آخيرا الى الطريق . كان الظلام قد خيّم تماما . ولم تعودا تريان كيف تذهبان ، فقرّرتا الانتظار حتى صباح الغد .

مضى على جلوسهما قرب شجرة ما يقارب الساعة ، عندما سمعتا خشخشة في الغابة ، وكانت الخشخشة كأنّها صادرة عن حيوان يمشي بحذر . فتجمدت الصغيرتان المسكينتان من الخوف ، ولم تعودا تستطيعان التنفّس . وكانت الخشخشة تقترب وتقترب وفجأة أحسّت مرغريت بلهاث حارّ قرب عنقها . فأطلقت صرخة تجاوبت معها صوفي بصرخة أقوى . عندئذ سمعتا صوت اغصان تتكسر وشاهدتا حيواناً ضخماً يهرب في الغابة . فالتصقتا الواحدة بالاخرى وهما نصف ميتتين من الخوف لا تجرؤان على الكلام ولا على الاتيان بحركة ومكثتا هكذا حتى سمعتا صوتا اكثر هولا، اعاد لهما الشجاعة للنهوض والبحث عن نجاتهما في الهرب: كان صوت اغصان تتقصف بعنف وقباعاً[1] (القباع : صوت الخنزير) ممزوجاً بلهاث صاخب تتجاوب معه قباعات اضعف منه. وكل هذه الاصوات كانت تصدر ايضاً من الغابة وتقترب من الطريق، ارتعبت صوفي ومرغريت وراحتا تركضان. فاصطدمتا بشجرة كانت اغصانها متدلية حتى الارض. ومن خوفهما قفزتا فوقها وتسلّقتا غصنا غصنا حتى وجدتا نفسيهما بسرعة على علو شاهق، وفي حمى من كل هجوم، وكم شكرتا الله تعالى الذي مكنهما من مصادفة هذه الشجرة المنقذة! وفي الواقع كانتا قد نجتا من خطر كبير : فالحيوان الذي كان يتجه مباشرة نحوهما كان خنزيراً بريا يتبعه سبعة أو ثمانية خنانيص. فلو بقيتا في طريقه لكان مزقهما بانيابه، وكانت اسنان صوفي ومرغريت تصطك من الخوف الذي حل بهما وكانتا ترتجفان حتى انهما

كانتا تمكثان بصعوبة في اعلى الشجرة التي تسلقتاها. ابتعد الخنزير وعاد كل شي هادئاً عندما سمعتا سيرعربة احيا القوى الخائرة لـدى الصغيرتين المسكينتين. كان املهما يزداد كلما اقتربت العربة اكثر. ثم سمعتا بوضوح وقع حافر حصان، وبعد قليل سمعتا صفير الرجل الذي يقود الطنبر يقترب وكانتا ستنقذان. فصرختا اكثر من مرة.

ـ «النجدة ! النجدة !»

توقّف الطنبر . وبدا أنّ الرجل ينصت .

فصرختا من جديد :

ـ «النجدة ! النجدة ! أنقذونا !

الرجل ، بصوت لايتعدّى اسنانه :

ـ ياللشيطان ! من يطلب النجدة ؟ أنّي لا ارى أحدا . والظلمة حالكة كجهنّم . ياهوو ... من ينادي ؟

صرخت صوفي ومرغريت :

ـ نحن ، نحن . أنقذنا ، أيّها السيّد ، نحن تائهتان في الغابة .

ـ عجبا ! هذه أصوات بنات . أين أنتم ياصغار ؟ ومن أنتم ؟

قالت صوفي :

ـ أنا صوفي .

وقالت مرغريت :

ـ وأنا مرغريت . جئنا من (فلورفيل) .

قال الرجل متعجبا :

ـ من (فلـورفيـل) ؟ اذن جئتمـا من القصر ؟ ولكـن اين أنتمـا ؟ يـاللشيطان ! حتى اتمكّن من انقـاذكمـا ، ألا يجب أن أعـرف اين أجدكما ؟

ـ نحن على الشجرة . ولا نستطيع النزول .

نظر الرجل رافعا رأسه :

في الواقع ، هذا صحيح. يجب أن تكـون الصغيرتـان المسكينتان

خائفتين ! انتظراني ولا تتحرّكا سأنزلكما .

وتسلّق الرجل الطيّب من غصن الى غصن ،وهو يجسّ كلاّ منها ليرى اذا كانت البنيّتان عليه . وأخيراً أمسك مرغريت .

قال الرجل:

- لاتتحرّكي ، انت الأخرى : سأنزل هذه وسأتسلّق من جـديد . كم احدة انتنّ في هذا الوكر الجميل ؟

قالت مرغريت :

- نحن اثنتان

قال الرجل :

- حسنا . لن يطول ذلك . انتظريني في مكانك يارقم ٢ حتى اضع رقم ١ في طنبري .

نزل الرجل الطيب برشاقة ،وهو يمسك مرغريت بذراعيها . وضعها في الطنبر ، وعاد يتسلّق الشجرة حيث كانت صوفي تنتظر بقلق . حملها بذراعيها في الطنبر بجانب مرغريت . ثم صعد الى العربة وضرب حصانه بالسوط فانطلق عدواً . ثمّ استدار نحو البنيتين ، وقال :

- آه ! اذن ، ياصغيرتيّ ، الى اين يجب أن اقودكما ؟ أين تسكنان ؟ وكيف بحقّ جميع القديسين وصلتما الى هنا وحدكما ؟

قالت صوفي :

- نحن نسكن في قصر (فلورفيل) . وقد تهنا في الغابة لأننا كنّا ذاهبتين لاغاثة الأم (توتان) المسكينة .

- أنتما اذن من القصر ؟

- نعم ، أنا مرغريت (دي روسبورغ) وهذه صديقتي صوفي (فيشيني)

- اذن ، يا آنستي الصغيرة أنت ابنة هذه المرأة الطيّبة السيّدة (دي روسبورغ) . وامّك تسمح لك بالذهاب وحدك بعيداً جدّا .

قالت مرغريت خجلة :

- لقد ذهبنا من غير أن نخبر أحدا .

ـ ها ! ها ! أنّنا نتسكع بـدلا من الذهـاب الى المدرسـة ! وتريـان ما يحصل ! عندما نكون صغارا لا يجوز أن نفعل مثل الكبار .

قالت صوفي :

ـ هل نحن بعيدون عن (فلورفيل) ؟

ـ آه ! أعتقد ذلك ! فرسخين في الأقل . لن نصل قبل ساعة . على كلّ حال سأطلق حصاني بسرعة . قد يكونون قلقين عليكما في القصر .

وضرب الرجل الطيّب حصانه بالسوط وراح يصفر تاركـا البنيّتين لتأمّلاتهما . بعد ثلاثة أرباع الساعة توقّف أمام مدخل القصر . ففتح الباب وظهرت (اليزا) شاحبة ومرعوبة وسألت اذا كان لديه معلومات عن البنيّتين .

ـ «انّهما هنا» ، قال الرجل . وأنا أعيدهما اليكم . تأكدي لم تكونا في حفلة عرس عندما عثرت عليهما في الغابة» .

وأنزل الرجل صوفي ومرغريت فأخذتهما (اليزا) بين ذراعيها .

قالت اليزا :

ـ بسرعة . بسرعة تعاليا الى البهو . لقد بحثنا عنكما في كلّ مكان . وقد ارسلنا خيّالة في كل الاتجاهات . وسيدتاي حـزينتان جـدّاً . وكميلة ومادلين يائستان . انتظـر دقيقة أيهـا السيّد الخـدوم حتى تشكرك سيّدتي .

قال الرجل :

ـ زه ! ليس ما يوجب الشكر . يجب أن أعود الى البيت عليّ أن أقطع أيضا مسافة فرسخين .

ـ أين تسكن ؟ وما اسمك ؟

ـ اسكن في (أوب) : واسمّى (هوريل) الجزّار .

قالت اليزا :

سنذهب لشكرك ، يا (هوريل) الطيّب . الى اللقاء مادمت لاتستطيع الانتظار .

خلال هذه المحادثة كانت مرغريت وصوفي قد أسرعتا الى البهو . وما ان دخلتا حتى ارتمت مرغريت بين ذراعي السيّدة (دي روسبورغ) ، وجثت صوفي على ركبتيها ، وراحتا كلتاهما تجهشان بالبكاء .

كادت المفاجأة والفرحة تقضيان على السيّدة (دي روسبورغ) . فاصفرّت وسقطت على مقعدها ولم تجد القوّة لنطلق أيّة كلمة .

فصرخت مرغريت :

ـ «أمّي ، أمّي العزيزة . كلّميني ، عانقيني . قولي انّك تسامحينني .

ـ أيتها الابنة التعيسة ـ أجابتها السيّدة (دي روسبورغ) بصوت متأثّر ، وهي تمسكها بذراعيها وتغمرها بالقبل ـ كيف تمكنت أن تسببّي لي هذا القلق الرهيب ؟ كنت أظنك تائهة ، ميتة . لقد بحثنا عنك حتى هبوط الليل . والآن مازالوا يبحثون عنكما بوساطة المشاعل في كلّ الاتجاهات . أين كنت ؟ ولماذا تعودين متأخرة جدّاً ؟

ـ سيدتي العزيزة . أجابت صوفي التي كانت ما تزال جاثمة على ركبتيها عند قدمي السيّدة (دي روسبورغ) . أنا التي تطلب عفوك لأني جررت مرغريت لمرافقتي . كنت أرغب في الذهاب الى بيت امرأة فقيرة تسكن في الجهة الثانية من الغابة ، وكنت أرغب في الذهاب مع مرغريت وحيدتين ، لكي لا يقاسمني أحد فرحة عمل الخير هذا . ومانعت مرغريت ، فجررتها . لقد تبعتني على مضض ، وقد نلنا عقابنا ، وخاصة أنا التي كان ضميري يكبتني بتحمّل خطيئة مرغريت مضافة الى خطيئتي . لقد تألمنا كثيراً . ولن نفعل شيئاً في المستقبل مطلقا من غير أن نستشيرك .

ـ انهضي ياصوفي ، أجابت السيّدة (دي روسبورغ) بلطافة . أنا أسامحك على ندامتك . لكنّي ، من الآن فصاعدا ، سأحاول الاّ اضطر للعذاب بقدرما تعذبت اليوم . وأنت يامرغريت ، كنت أظنّك أكثر فطنة ، وأكثر طاعة والاّ كنت جعلت الخادمة ترافقك دائما عندما لاتتمكّن كميلة ومادلين من الخروج معك . وهذا ماسأفعله في المستقبل .

وكميلة ومادلين اللتان أرسلتا الى الفراش منذ ساعة (لأن الوقت كان

يقارب منتصف الليل) لم تستطيعا النوم لانهما كانتـا قلقتين جـدًا ، فركضتا في ثياب النوم وهما تطلقان صيحات الفرح . عانقتا عشرين مرة صديقتيهما اللتين ضاعتا ثمّ وجدنا .

كميلة :

ـ «اين كنتما ؟ وماذا حلّ بكما ؟

مرغريت :

ـ لقد تهنا في الغابة

مادلين :

ـ لماذا ذهبتما الى الغابة ؟ من أين لكما الجرأة للذهاب اليها وحيدتين ؟

قالت صوفي :

ـ كنا نأمل في الوصول عند امرأة فقيرة هي الأم (توتان) لنعطيها مالا .

كميلة :

ـ لكن لماذا لم تُخطِرانا ؟ كنّا ذهبنا اليها جميعنا » .

أحنت صوفي ومرغريت راسيهما ، ولم تجيبا . وقبل أن يتسنّى لهما الوقت للايضاح ولاعطاء تبريرات أخـرى ، دخلت اليزا وهي تحمـل طاسين من الحساء مع قطعة من الخبز المحمّص . وضعتهما أمام صوفي ومرغريت ، وقالت :

ـ كلا ، يا ابنتيّ المسكينتين . انّكما بالطبع لم تتعشيًا !

قالت مرغريت :

كلا ، لقد شربنا فقط من جدول صادفناه في الغابة .

قالت اليزا :

ـ ياللصغيرتين المسكينتين ! كلا بسرعة ما جلبته لكما . ستشربان فيما بعد كأسين من نبيذ (مَلَقـة)[1] . ثم استدارت نحـو السيّدتـين (دي روسبورغ) و(دي فلورفيل) واضافت : يجب أن تنام الطفلتان . انّهما منهوكتان من التعب .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

الحقّ مع اليزا مادمنا قد وجدناهما . فلنترك التفاصيل الى الغد . وفي هذا المساء يكفي أن نشكر الرّب الذي اعاد الينا هاتين البنيّتين المسكينتين ، اللتين كان يمكن الّا ترجعا أبدا .

بلعت صوفي ومرغريت بنهم كل ما قدّمته لهما (اليزا) . وبعد أن عانقتا بحنان كلّ الحاضرين توجهتا الى النوم . وما ان وضعتا رأسيهما على المخدة حتى استغرقتا في نوم عميق الى درجة انهما ما استيقظتا من النوم الّا عند الساعة الثانية بعد ظهر الغد !



رواية الحدث

كانت كميلة ومادلين تنتظران بفارغ الصبر عند السيدّة (دي فلورفيل) استيقاظ صديقتيهما . وكانت السيّدة (دي روسبورغ) لاتفارق غرفة مرغريت : كانت ترغب في الحصول على كلمتها الأولى وابتسامتها الاولى .

قالت كميلة لأمها :

«قلت أمس انّ مرغريت وصوفي كان يمكن الاّ تعودا ابدا . ولكنّهما كانتا دائما قادرتين على التوصل الى العثور على طريقهما او الى مصادقة احد مادامتا لم تكونا تائهتين .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ أنت تنسين ، ياصغيرتي العزيزة ، انهما كانتا في غابة طولها بضعة فراسخ وليس معهما طعام ، وانّهما كانتا مجبرتين على قضاء الليل في هذه الغابة المليئة بالوحوش .

قالت مادلين :

ـ انّما ، ليس في هذه الغابة ذئاب .

ـ بالعكس ، فيها الكثير من الذئاب والخنازير البرّية . فكلّ سنة يصطاد منها العديد . هل لاحظت انّ فستانيهما وجواربهما كانت ممزّقة وموسخة ؟ أراهن أنّهما ستخبراننا مغامرات اخطر ممّا تفترضين .

قالت كميلة :

ـ كم أرغب في ان تستيقظا !

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ ها هما تماما .

دخلت السيّدة (دي روسبورغ) وهي تمسك مرغريت بيدها .

سألت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ «وصوفي ؟ اما زالت نائمة ؟

قالت السيّدة (دي روسبورغ) :

ـ لقد استيقظت لتوّها ، وهي تعجل في ارتداء ثيابها وتناول طعامها لتأتي وتنضمّ الينا .

كميلة ، معانقة مرغريت

ـ صغيرتي مرغريت . أخبرينا ماذا حصل معك ، واذا كنتما تعرضتما للخطر .

سردت مرغريت أحداث مغامراتهما كلّها : خبّرت عن ممانعتها في الذهاب ، وخوفها عندما وجدت نفسها تائهة ، وتأسفها للقلق الذي سبّبته في القصر ، ورعبها عندما بدأت الشمس تغيب ، والجوع والعطش والتعب الذي أرهقها ، وسعادتها لدى مصادفة المياه ، وهولها عند سماعها تحريك الأوراق اليابسة ، والشعور باللهاث الحار على عنقها ، ومشاهدة مرور الحيوان الضخم الداكن . وخبّرت عن هلعها عندما سمعت الأغصان تتقصّف وسمعت قباعات ضعيفة تتجاوب من بضع جهات مع قباع قويّ ومع لهاث كان يبدو أنّه لهاث حيوان غاضب . وروت كيف هربت برشاقة وتسلّقت من غصن الى غصن حتى بلغت قمّة شجرة . وحدّثت عن التعب والجهد اللذين تمكنت معهما من الصمود ، والسعادة التي تملّكتها عندما سمعت وقع عربة تقترب وصوتا يجيبهما ، وشعورها بيدين تحملانها وتضعانها في الطنبر . وقالت كم أنّ صوفي ندمت لتورطها ولجرّها معها في هذا المشروع الطائش .

استمعت كميلة ومادلين الى هذه الرواية باهتمام شديد ممزوج بالرعب .

قالت كميلة :

ـ «ما هي الحيوانات التي أخافتكما ؟ هل تمكنت من رؤيتها ؟

قالت مرغريت :

ـ لا أعرف شيئا . كنت خائفة جدّا فلم أميّز شيئا .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ بحسب ما تقول مرغريت فان الحيوان الأول يجب أن يكون ذئبا ، والثاني خنزيرا بريّا مع صغاره .

قالت مرغريت :

ياللسعادة لان الذئب لم يفترسنا !لقد شعرت بلهاثه على قفا رقبتي .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

من المعقول أن تكون الصرختان اللتان أطلقتاهما أخافتاه وأنقذتاكما .
عندما تكون الذئاب غير جائعة تصبح جبانة ، وفي هذا الفصل تجد الذئاب صيدا وفيرا في الأخراج .

قالت مرغريت :

ـ والخنزير البري ما كان افترسنا لأنه لايأكل لحما .

ردت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ كلّا ، ولكنّه كان مزّق جسدك بنهشة من أنيابه . فعندما يكون للخنازير البريّة صغار تصبح شرّيرة جدّاً .

دخلت صوفي فقطعت الحديث . وقُبلت هي ايضا واحيطت بالاهتمام واستوضحت . فتحدثت بحرارة عن ندمها وعن حزنها لأنها قادت معها مرغريت المسكينة . واكدت أنّ هذا النهار لن يمحى من ذاكرتها أبدا . وقالت انّها عندما تكبر ستطلب من أحد الرسامين الكبار أن يرسم لها لوحة عن هذه المغامرة . وبعد أن أتمت رواية مرغريت ببعض الفصول المنسيّة . قالت :

«وأنت ياسيدتي العـزيزة ، وانتنّ يـاصديقـاتي العزيـزات ، هل مرّوقت طويل قبل أن تلاحظن اختفاءنا ؟ وماذا فعلتّن لايجادنا ؟

قالت السيّدة (دي روسبورغ) :

«بعد ساعة من ترككما غرفة الدرس جاءت كميلة تسـألني ، وهي قلقة ، عمّا اذا كانت مرغريت وصوفي عنـدي . فأجبتهـا : «كلّا . لم اشاهدهما . ولكن ، أليستا في الحديقة ؟» فقالت لي كمينة : «نحن نبحث عنهما منذ نصف ساعة مع (اليزا) ولم نتمكن من ايجادهما . فتملّكني القلق ، فنهضت وفتّشت في جميـع غـرف البيت ثم في الحـديقـة وفي البستان . اما السيدة (دي فلورفيل) التي كانت قلقة مثلنا ففكرت أنكما قد تكونان قصدتما (فرنسواز) . فتقبّلت هذا الأمـل بلهفة وأسرعنـا جميعنا الى البيت الأبيض : لم يشاهدكما أحد هناك . فدرنا من باب الى باب نسأل الجميع اذا كان أحد قد صادفكما . وتذكرت السقـوط في

البركة منذ ثلاثة اعوام ، فقلقت كثيراً . وعدنا ركضا الى البيت ، وعلى الرغم من الاحتمال الضعيف أن تكونا سقطتما في المياه ، رحنا نبحث في جميع جهات البركة بوساطة قصبات الغزّار والماشط الطويلة . ولم يفكر أحد منّا أنكما قد تكونان ذهبتما الى الغابة .فلم يكن فيها شيء يجذبكما اليه . ولماذا تعرضان نفسيكما لخطر مجّاني ؟ وعندما لم نعد نعرف اين نجدكما ، قصدت البيوت بيتا بيتا أطلبَ مساعدتي في التفتيش . فانطلق جمع غفير من الناس في كلّ الاتجاهات . وأرسلنا الخدم على الأحصنة في جميع الجهات ليلحقا بكما فيما لو خطرت لكما فكرة غريبة بالسفر بعيداً . وحتى لحظة عودتكما كنت في غمّ شديد وقلق مرعب . لقد سمح الله تعالى بانقاذكما واعادتكما بوساطة هذا الرجل الرائع والذي هوجزّار في (أوب) والمسمّى (هوريل) . فات الوقت اليوم ، ولكن غدا سنذهب اليه في زيارة شكر وسنذهب اليه بالعربة لكي لانفقد بعضنا البعض في الطريق .

قالت مرغريت :

ـ «هل يسكن بعيداً» ؟

.ـ على مسافة فرسخين من هنا . وهناك حرج يجب أن نجتازه .

قالت صوفي :

ـ هل سنرافقكما ياسيّدتي ؟

ـ حتماً ، ياصوفي . فأنت ومرغريت اللتان أسعفكما بل انقذكما من الموت . فلابدّ من مجيئكما .

قالت صوفي :

ـ يزعجني أن أراه مجدّداً . سيسخر منّا . لقد وجد مرورنا في الغابة سخيفا .

ـكان على صواب ، يا ابنتي العزيزة . بالحقيقة لقد قمتما بعمل طائش . فاذا سخر منكما ، فتقبّلا سخريته بلطافة تكفيرا عن الخطأ الذي ارتكبتماه .

قالت مرغريت :

ـ انا أعتقد أنّه لن يسخر منّا ، كان يبدو طيّبا .

ـ سنرى ذلك غدا . وفي الانتظار لنبدأ بدروسنا . ثمّ نقوم فيما بعد بنزهة .



زيارة الى بيت هوريل

قالت اليزا لحوذيّ السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ «حضّر العربة المكشوفة والمركبة الصغيرة للساعة الثانية بعد الظهر»

قال الحوذيّ :

ـ إذن الجميع يخرجون معا ، هذا اليوم ؟

قالت اليزا :

ـ أجل . سيّدتي تسألك اذا كنت تعرف الطريق الى قرية (أوب) ؟

قال الحوذي :

ـ (أوب) ؟ أنتظرى لحظة ... أليست الى الجهة المقابلة لقرية (لاغل) على طريق (سانت ـ هيلار) ؟

قالت اليزا :

ـ أعتقد ذلك . انّما تأكد من ذلك قبل الانطلاق . هاتان البنيّتان تاهتا أمس سيرا على الأقدام ، فيجب ألّا تضيعا اليوم في العربة .

استعلم الحوذي من الحارس (نيكاز) عن كلّ شيء ، وعندما حضر الجميع للانطلاق ، لم يتردّد الحوذيّان في اختيار الطريق الواجب سلوكه .

كانت المنطقة رائعة . فوادي (لاغل) معروف بمظهره الحيّ ، الأخضر والضاحك . وقرية (أوب) تقع على الطريق العام ، وبيت (هوريل) في مدخل القرية تقريبا ، فقد استعلمت عنه السيدتان . ترجل الجميع من العربتين وتوجهن صوب بيت الجزّار . جميع أهالي القرية كانوا واقفين على الأبواب وينظرون بدهشة الى هاتين العربتين الأنيقتين ، ويتساءلون عمن تكون هاتان السيدتان الأنيقتان ، وهؤلاء الآنسات الجميلات اللواتي يدخلن الى بيت (هوريل) . ولم يكن الرجل الطيب أقلّ مفاجأة . بقيت امرأته وابنته مشدوهتين ، لاتصدّقان أنّ هذه الزيارة الجميلة هي لهما .

لم يتعرّف (هوريل) الى البنيتين اللتين لمحهما أمس الأول بصعوبة في الظلام . ولم يكن يفكّر في مغامرة الغابة . فسأل :

«هل ترغب سيدتاي بطلبيّة من اللحم ؟ عندي لحم طازج ، ضأن رائع ، وعجل ، و ...

فقاطعته السيّدة (دي روسبورغ) وهي تبتسم :

ـ شكراً ، ياسيّد (هوريل) . ليس من أجل هذا نحن هنا ، بل من اجل أن

نسدّد لك دينا . تساءل هوريل :

ـدين ؟ لايتوجب على سيّدتي شيء لي . لا اتذكرّ انّي سلّمت لسيّدتي لحم ضأن ولاعجل ، ولا ...

قالت السيّدة (دي روسبورغ) :

ـكلاّ ، لالحم ضأن ولا عجل ، بل بنيتين ، ها هما ، وجدتهما في الغابة .

قال هوريل ، ضاحكا :

ـ آه ! انّهما هنا ، الآنستان الصغيرتان اللتان قطفتهما من شجرة ! ياللصغيرتين المسكينتين ! كانتا في حالة يرثى لها . واذن ياصغيرتيّ ! لم تعودا ترغبان في أن تجوبا الغابة . أليس كذلك ؟

قالت مرغريت :

ـكلاّ ! فلولاك ، ياعزيزي السيّد (هوريل) ، كنّا ولاشك متنا من التعب والخوف والجوع . لذلك ، جئنا ، امّي والسيّدة (دي فلورفيل) ونحن جميعا لنشكرك .

أنهت مرغريت هذه الكلمات وتقدّمت من (هوريل) ووقفت على رأس رجليها لتقبيله . فحملها الرجل الطيّب عن الأرض وطبع على كل خدّ من خديها قبلة كبيرة . وقال :

ـ «انّه لمؤسف أن تترك فتاة لطيفة وطيبة مثلك تهلك ... هكذا اذن كنت خائفة ؟

قالت مرغريت :

ـ أواه ! أجل . كنت خائفة وخائفة جدّا . كنا نسمع حسّ خطوات ، وصدى تكسير ، وأنفاسا .

هوريل ، ضاحكا

ـ آه ! كلّ هذا رهيب في نظر أنستين صغيرتين وجميلتين مثلكما . انّما بالنسبة الينا لانعير ذلك أيّ اهتمام . لكن ... تفضّلن بالجلوس سيّدتيّ . يا (فيكتورين) قدّمي لهنّ الكراسي واجلبي عصير التفاح من الصنف الجيّد .

و(فكتورين) كانت فتاة جميلة في الثانية عشرة من عمرها . ندية ، لها عينان سوداوان . قرّبت الكراسي فجلس الجميع ، وتحدثن ، وشربن عصير التفاح على صحة السيد (هوريل) وعائلته . وبعد انقضاء نصف ساعة سألت السيّدة (دي روسبورغ) عن الوقت . فنظر (هوريل) الى ساعة الكوكو ، وقال :

«انّها تقارب الرابعة ! لكن الساعة معطّلة ، وهي لاتضبط الوقت بدقّة» .

سحبت السيّدة (دي روسبورغ) علبة من جيبها وقدّمتها الى (هوريل) قائلة :

- «أرى ، ياسيّد (هوريل) الطيّب انّه ليس عندك ساعة في جيبك ولا في البيت . وهذه واحدة أرجو أن تتقبّلها كذكرى من بُنيّتي الغابة .

فأجاب هوريل :

- شكراً جزيلا ، سيّدتي . أنت حقيقة طيّبة جدّاً ... وأنا لا أستحق هذا ..

فتح العلبة وخرس اندهاشا وسعادة لدى رؤية ساعة ذهبيّة جميلة ، مع سلسلة ثقيلة وطويلة وهي كذلك من ذهب .

قال هوريل ، بتأثر :

- «سيّدتي العزيزة والطيّبة ، هذا جميل جدّا . فعلا ، لن اجرؤ أبدا على حمل سلسلة وساعة بهذا الجمال .

قالت السيدة (دي روسبورغ) :

احملهما حبّابنا . وفكرّ أنّي ما زلت مدينة لك . فقد أعدت لي كنزا بارجاع ابنتي وأنا ما أعطيك الاّ حلية واحدة .

ثمّ استدارت نحو السيّدة (هوريل) وابنتها وقالت :

«أرجو منكما كذلك ان تتقبّلا منّي تذكارا صغيرا» . وأعطت كلاًّ منهما علبة عجّلتا في فتحها . وعندما شاهدتا في كلّ علبة اقراط اذن ومشبكا من ذهب مرصّع بالمينا ، احمرّ وجهاهما فرحا . وقدّمت العائلة

كلها الى السيّدة (دي روسبورغ) الشكر العميق .ثّم صعدت السيدتان والبنيات الى العربتين يحيط بهنّ جمع غفير كانوا يحسدون أفراد عائلة (هوريل) عـلى سعادتهم ، ويبـاركون لطف السيـدة (دي روسبورغ) وطيبتها .



حادث مفجع

مضى بعض الوقت على زيارة (هوريل) . ومن وقت الى آخر كان يزور القصر عندما تسمح له مشاغله . ذات يوم بينما كانت زيارته مرتقبة بعد الظهر ، اقترحت (اليزا) على البنات أن يذهبن لجمع بندق من على طول السياج ، وارسال سلّـة منه الى (فكتـورين هوريـل) . قبلت البنيّات

بلهفة ، وحملت كل واحدة سلة وأسرعن باتجاه سياج البندق . وبينما كانت (اليزا) تشتغل ، ملأت البنيّات سلالهنّ ، ثمّ اجتمعن ليرين من منهن جمعت أكثر من غيرها .

فقالت الصغيرات الأربع معا :

«أنا ... انا ... ـ أعتقد أنيّ أنا» .

قالت مرغريت :

ـ انظرن اذن الى سلّتي . انّها ملأى أكثر من غيرها ! وانظرن الى الفارق مع السلال الأخرى !

كميلة ومادلين :

ـ صحيح !

قالت صوفي :

ـ أيه ! أما عندي كميّة تعادلها !

قالت مرغريت :

ـ أبداً ، أنا ازيدك ثلثاً !

قالت صوفي بسخط :

ـ من غير مزايدة ! ياللحماقة ! تريدين دائما أن يكون عملك أفضل من الأخريات !

قالت مرغريت :

ـ أنا لا أريد أن يكون أفضل من الأخريات ، وانّما هذه هي الحقيقة . وانت غضبت لأنك غيورة .

قالت صوفي :

ـ ها ! ها ! ها ! غيورة من بندقاتك السخيفة .

قالت مرغريت :

ـ أجل ، غيورة ، وترغبين تماما في أن أعطيك ايّاها ، هذه البندقات السخيفة .

قالت صوفي :

ـ خذي ، هذا هو الاهتمام الذي أوليه لمحصولك المهم .

قالت هذه الكلمات وقبل أن يتسنىّ لاليزا والصغيرات منعها . لكمت سلّة مرغريت بقبضة يدها فوقع البندق كلّه على الأرض .

صاحت مرغريت ، صارخة :

ـ بندقاتي ! بندقاتي المسكينة !

رمقت كميلة ومادلين صوفي بنظرة لائمة واسرعتا لمعاونة مرغريت في جمع البندق .

قالت كميلة :

ـ «اسمعي ، ياصغيرتي مرغريت ، من اجل أن تتعزّي خذي بندقاتي .

قالت مادلين :

ـ وبندقاتي أيضا . فالسلال الثلاث تصبح لك .

مسحت مرغريت عينيها الدامعتين وعانقت بحنان صديقتيها الصغيرتين الطيّبتين . وخجلت صوفي وراحت تبحث عن وسيلة لتصحيح خطأها :

ـ «خذي بندقاتي أيضا . قالت لمرغريت ـ وهي تقدّم لها سلّتها من دون أن تجرؤ على رفع نظرها والتطلع اليها .

ـ شكرا ، يا آنستي ـ عندي كفاية لا أريد بندقاتك .

ـ نهرتها مادلين قائلة : مرغريت ! لست لطيفة ! انّ صوفي وهي تقدّم لك بندقاتها تعترف أنّها أخطأت . فيجب الاّ تبقي مغتاظة .

تطلّعت مرغريت بصوفي قليلا من تحت من دون أن ترفع اليها بصرها ، وهي لاتعرف ماذا تفعل . فمنظر صوفي التعيس قد رقق قلبها ، لكنّها لم تكن قد تغلبت بعد على حقدها .

فراحت كميلة ومادلين تنقّلان نظريهما من الواحدة الى الأخرى .

قالت كميلة :

«اسمعي ياصوفي . واسمعي يامرغريت . تبادلا القبلات . ترين جيّدا ، انت ، ياصوفي أنّ مرغريت لم تعد غاضبة . وانت يامرغريت

ترين انّ صوفي حزينة لأنها غضبت .
قالت صوفي :
عزيزتي كميلة . ارى انّي سأبقى شرّيرة دائما ، ولن أصير أبدا صالحة مثلك . انظري كيف أنّي أغضب بسهولة ، وكم كنت فظّة تجاه مرغريت المسكينة !
قالت مرغريت :
ـ لاتفكّرى بهذا بعد الآن ياعزيزتي صوفي . قبّليني ولنظلّ صديقتين مخلصتين كما كنّا دائما .
عندما تعانقت مرغريت وصوفي وتصالحتا من صميم قلبيهما ، قالت كميلة لصوفي :
«ياصغيرتي صوفي ، لاتيأسي . لايمكن أن تصلح عيوبنا بسرعة . لقد اصبحت افضل ممّا كنتِ عندما قَدِمْتِ الينا . وكلّ شهر يحصل تحسن عن الشهر السابق .
قالت صوفي :
ـ شكرا ، ياعزيزتي كميلة ، لتشجيعك هذا ، لكنّي في جميع المناسبات التي أحاول أن اقارن نفسي بك وبمادلين أجدكما افضل مني بكثير .
قالت مادلين وهي تعانقها :
ـ اصمتي ، أصمتي ياعزيزتي صوفي المسكينة . انت متواضعة جدّا . أليس كذلك يامرغريت ؟
قالت مرغريت :
ـ كلا ، أنا أرى أنّ صوفي على حق . فهي وأنا مازلنا بعيدتين جدّا عن مساواتكما .
قالت كميلة :
ـ آه ! آه ! ياللتواضع ! حسنا ياصغيرتي مرغريت . انت متواضعة اكثر منّي . اذن أنت أفضل منّي .
مرغريت بجدّية تامة :

ـياكميلة ! هل كنت ارتكبتِ الحماقة التي ارتكبناها ذلك اليوم في ذهابنا الى الغابة ؟

كميلة ، مرتبكة :

ـلكنّي ... لست أدري ... يمكن ... قد أكون ...

مرغريت بحدة :

ـكلا ، كلا ، ماكنتِ ارتكبتِ تلك الحماقة . وهل كنتِ تقاتلتِ مع صوفي كما فعلتُ يوم حادثة الكرز المشهورة .

كميلة مرتبكة :

ـلكن ، مرّ عام على ذلك ... والآن ... أنت ...

مرغريت بحدّة :

ـ منذ عام ... منذ عام ! سيّان ، ماكنت ارتكبت ذلك . ومنذ لحظات ، هل كنتِ قلبتِ سلّتي كمافعلَتْ صوفي ؟

وهل كنت غضبت كما أنا فعلت ؟ أنتِ لاتجيبين ! ترين جيّدا أنّك مضطرة للموافقة أنّك أنت ومادلين أفضل منّا .

كميلة ، وهي تعانقها :

ـ نحن أكبر منكما سنا وبالتالي نحن أكثر تعقّلا . وهذا كلّ شيء . ثمّ فكري أنّني استعدّ لتناول قربانتي الأولى في العام المقبل .

قالت صوفي :

ـوأنا ، يا الهي ، متى أصبح مستحقّة لتناولها ؟

قالت كميلة :

ـ عندما تصبحين في عمر مثل عمري . ياعزيـزتي صوفي . لاتفقـدي العزيمة ، فكلّ يوم يمضي يجعلك أفضل .

قالت صوفي :

ـ لأني أقضي ذلك اليوم قريبة منك .

قالت مرغريت :

ـاني أسمع صوت عربة : هذا أمّي والسيّدة (دي فلورفيل) عائدتان من

مشوارهما . لنذهب ونسألهما اذا كانتا قد صادفتا (هوريل) .
ـ اليزا ، اليزا ، يا اليزا . لقد عدنا .
نهضت اليزا وتبعت البنات ، اللواتي أسرعن الى البيت . فوصلن اذ كانت الأمان تترجلان من العربة .
قالت مرغريت :
اذن ، ياوالدتي ، ألم تصادفا (هوريل) ؟ هل سيجيء ، عمّا قريب ؟ لقد قطفنا سلّة كبيرة من البندق لاعطائه اياها هديّة لفيكتورين .
قالت السيّدة (دي روسبورغ) .
لم نصادفه ، ياصغيرتي العزيزة . لكنّه لن يتأخر . انّه غالبا ما يصل قبل الموعد المحدّد .
دخلت الأمان لنزع قبّعتيهما . وبقيت البنيات منتظـرات . وكانت صوفي ومرغريت فاقدتي الصبر . اما كميلة ومادلين فتشتغلان .
قالت صوفي وهي ترفس الارض برجلها :
ـ «هذا كثير . لقد مضت ساعتان ونحن ننتظر ولمّا يجيء بعد . انه ، حقيقة ، لايزعج نفسه ! كان يجب الأنعطيه بندقا .
قالت مرغريت :
ـ أواه ! ياصوفي . يالهوريل المسكين ! انّه منزعج جدّا لجعلنا ننتظر طويلا . هذا صحيح . وقد لايكون الخطأ خطأه .
قالت صوفي :
ـ ليس خطأه ، ليس خطأه ! لماذا أعلمنا انّه سيجيء ظهرا ويجلب لنا سرطانا نهريا ؟ وها هي الساعة الثانية الآن ! فرَجلٌ مثله ما كان يحقّ له أن يسمح لنفسه بجعل أنسات مثلنا ينتظرنه .
قالت مرغريت بحدّة :
ـ «أنسات مثلنا كنّ سعيدات جدّا لمصادفة «رجل مثله» في الغابة ، يا أنستي . انّ ما تقولينه الآن لنكران للجميل
قالت مادلين :

ـ مرغريت ، يامرغريت . ها انّك تثورين من جديد ! ألا تستطيعين أن تتناقشي مع صوفي من غير أن تقولي لها كلاما غير مستحب ؟

ردت مرغريت :

ـ لكن ، بالنتيجة ، لِمَ تهاجم صوفي هذا المسكين (هوريل) ؟

قالت صوفي ، ثائرة :

ـلم أهاجمه ، يا آنسة . انّي فقط متضجرة من الانتظار ، وسأتوّجه الى غرفتي لمراجعة دروسي . أفضّل أن أشتغل على اضاعة وقتي في انتظار (هوريل) هذا .

قالت مرغريت :

ـ هل تسمعين ، هل تسمعين يامادلين ، كيف تتكلّم عن (هوريل) هذا الممتاز ؟ لو كنت مكانه لما جلبت السرطان النهريّ الذي وعدتُ به . لكن ... ها هو قادم . وهذا هو حصانه قد وصل .

وفعلاً توقّف حصان (هوريل) أمام المدخل . كان يقطر مياها ويبدو متعبا .

قالت كميلة :

ـ «إذن أين (هوريل) ؟ وكيف يجيء حصانه وحيدا ؟

قالت مرغريت :

ـ لاشكّ أنّ (هوريل) ترجّل ليفتح الحاجز ثمّ يغلقه ، وتابع الحصان وحده .

قالت صوفي :

ـلكن انظري كم يبدو متعبا !

قالت كميلة :

ـ لأنه قام برحلة طويلة .

قالت صوفي :

ـ ولكن ، لِمَ هو مبلّل ؟

قالت مرغريت :

ـ لأنه اجتاز النهر .

انتظرت البنيّات لحظات ، ولمّا لم يصل (هوريل) نادين (اليزا) . فقالت كميلة :

«يا اليزا . هل ترافقيننا لملاقاة (هوريل) ؟ ها هو حصانه قد وصل ولكن من دونه» .

فنزلت اليزا ونظرت الى الحصان وقالت :

«هذا غريب أن يصل الحصان من دون سيّده . ثمّ في أية حالة وصل هذا الحيوان المسكين ! تعالين ، يا بنيّاتي ، لنحاول اذا كان بامكاننا مصادفة (هوريل) . شرط أن لايكون قد حل به مكروه ! (قالتها بصوت منخفض) ومشين في الطريق بسرعة سالكات الطريق الذي كان على الحصان أن يسلكه . وكلّما تقدّمن كان قلقهن يزداد . كن يخشين من وقوع حادث أو سقطة . وعندما اقتربن من الطريق العام الذي يمرّ بجانب النهر ، شاهدن جمعا لابأس به . فتوقّعت (اليزا) مصيبة وأوقفت البنيّات :

«لاتتقدّمن ، ياصغيراتي العزيزات . اتركنني أرى أنا بنفسي سبب هذا التجمّع . وسأعود بعد دقيقة» .

بقيت البنيّات على الطريق بينما توجهت (اليزا) صوب جمع كانوا يتحادثون بحيويّة . فقالت لهم عندما اقتربت : «أيها السادة . هل تقولون لي ماسبب هذه الحركة غير العادية التي ألمحها هناك عند ضفّة النهر ؟

قال أحد العمال :

ـ انّها مصيبة كبيرة قد وقعت ، ياسيّدة ! لقد وجدت في النهر جثّة جزّار طيّب اسمه (هوريل) !

صرخت اليزا :

ـ هوريل !... يالهوريل المسكين ! كنّا بانتظاره وكان آتيا الى القصر . لكن هل مات فعلاً ؟ أليس هناك أيّ أمل في انقاذه ؟

رد العامل :
ـ مع الأسف ! كلا ، ياسيّدتي : حاول الطبيب خلال ساعتين انعاشه ، لكنّه لم يبد أيّة حركة . فما العمل الآن ؟
وكيف يمكن اعلام زوجته بهذه المصيبة ؟ قد تموت تأثّرا هذه المخلوقة المسكينة !
قالت اليزا :
ـ يا الهي ، يا الهي ، ياللمصيبة ! لا أعرف بماذا انصحك . لكن يجب أن أعود للانضمام الى صغيراتي اللواتي كن اتيات لمقابلة هذا المسكين (هوريل) وقد تركتهنّ في الطريق .

عادت (اليزا) ركضاً الى البنيّات اللواتي وجدتهنّ حيث تركتهنّ رغم تلهّفهن لمعرفة أيّ شيء عن (هوريل) فأنذر شحوب اليزا والحزن البادي على وجهها بخبر مشؤوم . فسألن جميعهن معا عمّا حصل :
ـ لِمَ كلّ هذه الجموع يا (اليزا) ؟ هل يعرفون ما حل به ؟
قالت اليزا :
ـ يابنيّاتي العزيزات ، ليست بنا حاجة للذهاب أبعد من ذلك للحصول على أخباره . ياللرجل المسكين . لقد حصل له حادث . حادث مريع ...
صاحت مرغريت ، بهلع :
ـ ماذا ؟ أيّ حادث ؟ هل جرح ؟
قالت اليزا :
ـ أسوأ من هذا ، ياعزيزتي مرغريت : لقد سقط الرجل المسكين في المياه و ... و ...
قالت كميلة :
ـ تكلّمي اذن ، يا اليزا . ماذا ؟ هل غرق ؟
قالت اليزا :
ـ تماما . وقد انتشلت جثّته من المياه منذ ساعتين ...

صوفي :

ـ اذن ، عندما كنت أتّهمه ظلما ، كان الرجل التعيس قد فارق الحياة !

مرغريت :

ـ ترين جيّداً ، يا صوفي ، أنّها لم تكن غلطته في التأخر . يـاالهوريـل المسكين ! أيّة مصيبة هذه !

بكيت البنيّات . وقصّت عليهنّ (اليزا) التفاصيل القليلة التي عرفتها ونصحتهن بالعودة الى البيت .

قالت اليزا :

ـ سنعلم سيّدتيّ بهذا الحادث التعيس . قد تجدان وسيلة للتخفيف من حزن زوجة (هوريل) المسكينة . فنحن لانستطيع شيئًا للفقيد ولاللذين يبقون بعده .

قالت كميلة :

ـ أوّاه ! بلى يا اليزا . نستطيع الصلاة الى الله تعالى من أجلهم ، ونطلب اليه أن يتقبّل (هوريل) المسكين في الجنّة ويعطي امرأته واولاده القدرة على تقبّل هذه المصيبة وتحملها من دون نحيب .

قالت مرغريت :

ـ ياكميلة الطيبة ، افكارك دائما نبيلة وتقيّة . أجل سنصلي جميعنا من أجلهم .

قالت مادلين :

ـ وسنطلب من أمّي أن تقدّم حسنة لله عن نفس (هوريل) .

وصلن الى القصر وهنّ يبكين فدخلن الى البهو . ولم يكن باستطاعة آية واحدة منهنّ الكلام ، ودموعهنّ تسيـل رغما عنهنّ . استغـربت السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) ، وتأثرتا لهذا الاكتئاب . وعبثا وجهتا اليهن مجموعة من الأسئلة . أخيرا تمكنّت مادلين من أن تهدّىء روعها وأخبرتهما بما رأين وسمعن . فشاركت الأمّان البنيّات حزنهنّ ، وبعد أن تناقشن في أفضل ما يمكن القيام به ، سلكت الأمان

الطريق للذهاب والتأكيد بنفسيهما إذا لم يكن قد بقي أيّ أمل في إعادة (هوريل) الى الحياة .

عادتا بعد وقت قليل فأحاطت بهنّ الصغيرات للحصول على بعض الأخبار المعزّية .

قالت كميلة :

ـ «إذن يا أمّي العزيزة ، هل هناك من أمل ؟

ردت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ لا أمل أبدأ ، ياصغيراتي العزيزات ، أبدأ . عندما وصلنا ، كانوا قد مدّدوا الجثّة الهامدة والباردة للمسكين (هوريل) على عربة لنقله الى بيته . أحد أقربائه وشقيقة للسيّدة (هوريل) سبقتا الموكب لتحضير زوجته لهذه المصيبة الرهيبة . وغداً تتم مراسم الدفن . وبعد غد سنذهب ـ السيدة (دي روسبورغ) وأنا ـ لتقديم التعزية الى زوجة (هوريل) والنظر في ما اذا كانت محتاجة الى بعض المساعدة من أجل العيش .

قالت صوفي :

ـ لكن ، ألن تتابع عمل الملحمة كما كان يفعل زوجها ؟

ردت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ لا أظنّ ذلك . فلأجل أن يكون الواحد جزّارا ، يجب أن يجوب البلاد ويذهب بعيداً لجلب العجول ، والخراف ، والثيران . ثم انّ امرأة لاتستطيع أن تذبح هذه الحيوانات المسكينة . فليس لها القدرة ولا الشجاعة .

قالت كميلة :

ـ وابنه (تيوفيل) ، الا يستطيع أن يحلّ محلّ ابيه ؟

قالت السيّدة (دي فلورفيل)

ـ كلاّ ، لأنه يعمل مساعد جزّار في باريس ، وهو مازال صغيرا جدّاً لادارة ملحمة .

وفي بقيّة النهار ،لم يجر الحديث الآ على (هوريل) المسكين وعائلته . والجميع كنّ حزانى .

وغداة الغد ،ركبت السيدتان عربة للذهاب الى (أوب) وزيارة الأرملة التعيسة .وغابتا طويلا .وكانت البنيّات يترقبن عودتهما بقلق .

ولدى سماع صوت العربة ركضن الى المدخل .

قالت مرغريت :

-إذن ،يا أمّي العزيزة ،كيف وجدتما أفراد عائلة (هوريل) المساكين ؟ كيف هي (فكتورين) ؟

قالت السيّدة (دى روسبورغ) :

ليسوا على ما يرام ،ياصغيراتي العزيزات .فالمرأة المسكينة في كآبة تثير الشفقة ولم أستطع التخفيف عنها . انّها تبكي ليلَ نهار وتنادي زوجها الذي صار قريبا من الله تعالى .و(فكتورين) حزينة و(تيوفيل) لمّا يرجع بعد .كتبوا اليه من أجل أن يعود .

قالت مادلين :

هل عندهم ما يمكنّهم من العيش ؟

قالت السيّدة (دي روسبورغ) :

بشكل عام الأشخاص المدينون لهوريل لايعجّلون في الدفع ،والذين يتوّجب لهم مال يطالبون بتسديد الدين حالا ، ويهدّدون بطرح البيت والأرض القليلة التابعة له للبيع .

قالت صوفي :

- اظن أنّنا نستطيع مساعدتهم باعطائهم المال الذي معنـا كمصروف جيب .فكلّ واحدة منّا تحصل على فرنكين في الاسبوع ،فاذا اعطيناهم فرنكا من اصلها تجمع أربعة فرنكات في الاسبوع وستة عشر فرنكا في الشهر تكفيهم تمن الخبز .

قالت كميلة بصوت خافت الى صوفي

-ترين ، ياصوفي ، في السنة الماضية لم تكن تخطر في بالك هذه الفكرة

الصالحة .

قالت مادلين :

-صوفي محقّة . وهذه فكرة رائعة ، اتسمحين لنا ، يا امّي ، بتقديم هذه النفقة الى الأمّ (هوريل) ؟

قالت السيّدة (دي فلورفيل) وهي تعانقهنّ :

- بكل تأكيد ، يابنيّاتي الممتازات . انتنّ جميعا صالحات ومحبّات . وانت ياصوفي ، عمّا قريب لن تحسدي صديقاتك على شيء .

سرّت الصديقات الأربع بهذا السماح فأسرعن يطلبن محفظات نقودهنّ من (اليزا) وقدمت كل واحدة منهنّ فرنكا الى السيّدة (دي فلورفيل) التي أرسلتها الى الأم (هوريل) بعد أن أضافت اليها مئة فرنك .

وتابعن ارسال مدّخراتهنّ القليلة المحدودة كلّ أسبوع الى الأمّ (هوريل) . وكنّ يضفن بعض المرّات تنّورة أو قميصا صنعنه بأنفسهنّ ، أو كذلك فاكهة وحلوى كنّ يحرمن أنفسهن منها بسعادة لتقديمها الى المرأة المسكينة . وكانت السيدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) تضيفان الى ماتقدمه البنيات مبالغ من المال كبيرة . وبفضل هذه الاعانات لم تحتج ارملة (هوريل) ولا ابنتها أيّة حاجة . وبعد فترة من الوقت تزوجت (فيكتورين) من شاب طيّب . صاحب نزل يقع على مسافة فرسخين من (أوب) . أمّا الأم التي عجزّها الحزن والمرض ، فقد توفّيت وهي تشكر الله على جمعها بعزيزها (هوريل) .



الجدري

ذات يوم اشتكت كميلة من ألم في رأسها وبطنها . وكـان وجهها شاحباً وممتقعا ، فقلقت السيّدة (دي فلورفيل) وأرسلتها الى النوم . واستمرّت الحمّى ، ووجع الرأس وكذلك وجع البطن والتقيؤ . فأرسلت السيّدة (دي فلورفيل) في طلب الطبيب . لم يجيء الاّ عند المساء . لكنّه عندما وصل وجد كميلة أكثر هدوءاً . كانت (اليزا) قد وضعت لها لزقات رشت عليها كافورا فأراحتها كثيرا . وسقتها من مياه الصمغ الطازج . فهنّأ الطبيب (اليزا) على العناية المستنيرة والمحبّة التي تقدّمها لمريضتها الصغيرة . وأثنى على كميلة لبشاشتها وطاعتها ، وقال للسيدة (دي فلورفيل) الاّ تقلق وأن تتابع العلاج ذاته . في صباح الغد ، لمحت (اليزا) بقعا حمراء على وجه كميلة . وكان على الذراعين والجسم بقع مثلها . عند المساء أصبحت كلّ بقعة دمّلا ، وفي الوقت ذاته زال

وجع البطن ووجع الرأس . فأبعدت حالا البنيّات الثلاث الأخريات وبقيت (اليزا) والسيّدة (دي فلورفيل) وحدهما بـالقرب من كميلـة رغبت السيّدة (دي فلورفيل) في ابعاد (اليزا) أيضا خوفا من العدوى لكنّ (اليزا) رفضت ذلك باصرار . فقد قالت :

ـ «أبدا ياسيدتي . لن أترك مـريضتي المسكينة . حتى لـو أصابني الجدرى لن أتخلّى عن واجبي .

قالت كميلة :

ـ يا اليزا الطيبة . أنا أعرف كم تحبّينني . لكنّني أنا أيضـا أحبك . وسأحزن لرؤيتك تمرضين بسببي .

ـ طيّب ! طيّب ! اهدئي ، ولا تقلقي على شيء . ولا تتكلّمي . اذا تحرّكت سيعاودك وجع الرأس .

تبسمت كميلة وشكرت (اليزا) بنظرة . كانت عيناهـا المسكينتان نصف مطبقتين ، ووجهها مليئا بالبثور . وبعد بضعة أيام نشّفت البثور وتمكنت كميلة من ترك السرير ، ولم يبق عندها الّا الوهن .

في أثناء مرضها ، كانت مادلين ومرغريت وصوفي يسألن دائما عن أخبارها اذ منعن من الاقتراب من غرفة كميلة ، لكنهنّ كنّ يستطعن رؤية (اليزا) والتحدث معها . عشرون مرة في اليوم كلّما سمعن صوتها في المطبخ أو في غرفة الانتظار كنّ يسرعن للاستعلام عن عزيزتهنّ كميلة . كن يرسلن اليها قصاصات من الـورق ورسومـا وسلالا صغـيرة من الأسل ، كلّ ما كنّ يعتقدن أنه يسلّيها ويفرحها . وكميلة أرسلت اليهن الف عبارة ود . لكنها ما كانت تستطيع ارسال شيء اليهنّ ، لأنها منعت من العمل والقراءة والرسم خوفا من تعب العينين .

كان قد مضى على ابلالها من المرض ثمانية أيّام ، وبدأت قشور بثورها تقع عندما استرعى انتباهها ذات صباح شحوب وجه (اليزا) .

قالت كميلة ، بقلق :

ـ «أنت مريضة يا اليزا» ، وشاحبة كأنك ستموتين ! آه ! كم أنّ يدك ساخنة ! أنت محترّة .

ـ اشعر بألم شديد في راسي منذ امس . فلم انم طيلة الليل . وهذا سبب شحوبي . لكنّ ذلك ليس مهمّا .

ـ اذهبي الى النوم ، ياعزيزتي اليزا أرجوك . لاتستطيعين الوقوف على رجليك . انظري انّك تترنّحين .

وانهارت (اليزا) على مقعد . فأسرعت كميلة تنادي امها التي تبعتها في الحال . وعندما رات حالة (اليزا) المسكينة ، طلبت أن يدفّأ فراشها وتمدد فيه رغم مقاومتها . واستدعي الطبيب كذلك ، فوجد حرارتها مرتفعة وهي تهذي ، فأعلن انّ مرضها قد يكون بداية جدري . فوصف عدّة علاجات لم تسكّن الألم . وفي صباح الغد وضع علقا عند كاحلي المريضة لكي يسكن الم رأسها فتخرج الدمامل . ومنذ وضعت (اليزا) في فراشها لم تفارقها كميلة . كانت تقدّم لها المياه لتشرب ، وتدفىء لزقاتها ، وترطّب راسها بالمياه الباردة . وتوجبت طاعتها الكاملة لأوامر أمّها لمنعها من قضاء الليل قرب عزيزتها (اليزا) . فكانت تكرّر وهي تبكي :

ـ «إنها في أثناء الاعتناء بي وقعت مريضة . وانّه لمن العدل أن أعتني بها انا أيضا» .

ولم تكن (اليزا) تشعر بعذوبة هذه المودّة المؤثرة : فهي منذ العشية فاقدة الوعي . لم تكن تتكلّم ، حتى انها لم تكن تفتح عينيها . وضعت لها عشرون علقة في رجليها ولم يبد أنّها شعرت بها . سال دمها بغزارة وطويلا . أخيرا أوقف الفصد ، ولفّت رجلاها بالقطن . وفي الغد امتلأ جسمها ببقع حمر : انه الجدري وقد خرج . وفي الوقت ذاته شعرت بتحسّن ملموس . تمكنت عيناها من التفتّح وتحمّل النور . تعرّفت الى كميلة التي كانت تنظر اليها بقلق وتبسمت لها . أمسكت كميلة يد (اليزا) المشتعلة ورفعتها الى شفتيها وقالت لها :

ـ «لاتتكلّمي ، ياعزيزتي (اليزا) المسكينة ، لا تتكلّمي . فأمّي وأنا بجانبك» .

لم تكن (اليزا) تستطيع الاجابة ، لكنها عندما عادت لها حواسها ، شعرت بالعناية التي تقدّمها لها كميلة والسيدة (دي فلورفيل) . وعبّرت عن امتنانها بكلّ الوسائل الممكنة .

وبقيت (اليزا) هكذا مدّة أيام في خطر . وأخيرا حلّ الوقت الذي أعلن فيه الطبيب أنّها نجت . بدأت الدمامل تنشف . وكانت عديدة لدرجة أنها كانت تُغطي وجهها ورأسها .

وعندما تحسنت حال (اليزا) وبدأت تتناول بعض الطعام كانت كميلة قد تعافت تماما ، فطلبت من أمها اذا كانت تستطيع الخروج لشاهدة أختها وصديقتيها .

فقالت لها السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ «تستطيعين ، يا ابنتي العزيزة التنزّه والتحدّث مع مادلين وصديقتيك ، لكن من غير أن تقبليهنّ أو تلمسيهنّ» .

فقفزت كميلة خارج الغرفة وركضت الى الخارج . وعندما سمعت أصوات مادلين وصوفي ومرغريت اللواتي كنّ يتحدّثن في حديقتهن الصغيرة ، توجّهت اليهن وهي تصرخ :

«مادلين ، مرغريت ، صوفي ! انّي أستطيع مشاهدتكنّ والتحدث معكنّ . تعالين بسرعة ، لكن لا تلمسنني !»

(هنا الرسم صفحة ٢٢٤ ـ ٢٢٥ في الأصل)

ثلاث صيحات فرح تجاوبت مع نداء كميلة وشاهدت صديقاتها الثلاث يسرعن ويتدافعن . كل واحدة تسعى للوصول أولا .

فتوقفت كميلة وصاحت :

ـ «توقفن ! لقد منعتني أمّي من لمسكنّ سازلت أستطيع أن انقل اليكن الجدرى .

قالت مادلين :

ـ كنت أرغب كثيراً في تقبيلك ، يا كميلة ، ياعزيزتي كميلة !

وقالت مرغريت :

ـ وأنا أيضاً ! زه ! سأقبّلك على الرغم من ذلك» .

وقفزت وهي تقول هذه الكلمات صوب كميلة التي تراجعت فوراً الى الوراء . وقالت لها :

ـ «أيتها المتهوّرة ! لو كنت تعرفين ما هو الجدري لما كنت تعرّضين نفسك للإصابة به .

قالت صوفي :

ـ أخبرينا اذا كنت تضجرّت ، وتألمت كثيراً ، وخفت .

ـ أواه ! أجل . عندما كنت مريضة جدّاً لم اتضجرّ لأني تألمت كثيراً من وجع رأسي وبطني . والمسكينة (اليزا) تألمت أكثر مني ولمدّة أطول .

قالت مادلين :

ـ كيف هي اليوم ؟ متى نستطيع مشاهدتها ؟

ـ حالتها حسنة . لقد أكلت وقت الغداء لحم دجاج وهي تقوم من فراشها وتظنّ أنكنّ ستستطعن مشاهدتها عبر النافذة غداً .

ـ ياللسعادة ! ومتى نستطيع تقبيلها وتقبيل أمّي ؟

ـ أمّي التي لم تصب مثلي بالجدري تستطيع تقبيلكنّ عمّا قليل . لقد ذهبت لتبديل ثيابها المشبعة بهواء غرفة (اليزا) .

تابعت البنيات التحادث وتبادل أخبار أحداث حياتهن البسيطة والمتشابهة . وبعد قليل وصلت السيّدة (دي فلورفيل) مع السيّدة (دي روسبورغ) ، فخفّت البنيّات صوبهما وعانقنهما أكثر من مرة بينما كانت السيّدة (دي روسبورغ) تعانق كميلة . فمنذ ثلاثة أسابيع لم تشاهد السيّدة (دي

فلورفيل) البنات الآمن بعيد وعبر النافذة . ففي الصباح ذاته أعلن الطبيب أنّه لم يعد هناك خطر من العـدوى بالجـدري لامنها ولا من كميلة . لكنّ (اليزا) يجب أن تظل بعيدة حتى تسقط قشور بثورها .

وفي صباح الغد سرت حركة كبيرة بين البنات . كانت (اليزا) ستطل من النافذة بعد الفطور . فكانت البنيّات قبل الموعد مثل خليّة النحل : يـرحن ويجئن ويتطلّعن الى دقات السـاعة ، وينظـرن الى النافـذة ، ويحضرن مقاعد . أخيرا أصطففن جميعهنّ على أربعة كراسي كما في المسرح وانتظرن وانظارهن مرفوعة الى فوق . وفجـأة فتحت النافـذة وظهرت (اليزا) .

فصرخت كميلة ومادلين :

ـ «اليزا ، اليزا ، عزيزتي اليزا» ! لكنّ الدموع خنقت صوتيهما

قالت مرغريت :

ـ صباح الخير ، ياعزيزتي اليزا .

ردت اليزا :

ـ صبـاح الخير ، صبـاح الخير ، يـاصغاري انظـرن كيف أصبحت جميلة . اي قناع أرتدي على وجهي !

قالت كميلة :

ـ أواه .. ستظلـين دائما (اليـزا) الجميلة والطيبـة . أتعتقدين أني سأنسى أنك من أجل الاعتناء بي مرضت ؟

قالت اليزا :

ـ لقد بادلتني الاعتناء بأحسن منه . أنت ابنة طيّبة وممتازة . فطالما حييت لن أنسى حنانك المؤثر الذي عبّرت عنه في أثناء مرضي ولا لطف السيّدة (دي فلورفيل) .

تـأثرت (اليـزا) المسكينة ومسحت عينيهـا المبلّلتين بـالدمـوع . وانسحب تأثرها على البنيّات فرحن يبكين أيضا . وصلت السيّـدتان

(دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) بينما الجميع يبكين . فسألتا بشيء من الخوف :

ـ «ماذا جرى ؟

ـ لاشيء يا أمّاه ! انّ (اليزا) المسكينة على نافذتها .

تطلّعت السيّدتان فشاهدتا (اليزا) تبكي وغرفتا سبب مشهد دموع الفرح الذي حصل .

وقالت السيّدة (دى روسبورغ)

أتركن (اليزا) ترتاح ، لتستعيد عافيتها تماما : وبالانتظار فلنذهب ونحضرّ عيداً للاحتفال بشفائها .

ـ «عيد ! عيد ! صرخ الصغار . أوّاه ! شكراً سيّدتي العزيزة ! سيكون رائعا ! عيد لاليزا» .

كانت (اليزا) تعبة ، فانسحبت الى زاوية غرفتها . وتبع الصغار السيّدة (دي روسبورغ) وتناقشن بتحضيرات العيد على شرف (اليزا) وعندما ننتقل الى الفصل التالي سوف نعرف ماذا قرّرن .



العيد

منذ بضعة أيام والضوضاء تملأ القصر : المسامير تُغرز في بستان الليمون الملاصق للبهو ، والأزهار تُجمع وتنقل . تطبخ الفطائر ، وتعدّ الحلويات والملبس . والبنيات يبدون غامضات مع اليزا . يمنعنها من التوجه الى ناحية بستان الليمون ، ويحرسنها أطول ما يمكن من الوقت لكي يمنعنها من التحدث في المطبخ أو في المكتب . كانت (اليزا) تشكّ في مفاجأة ما . لكنّها كانت تتجاهل لئلّا تخفّف من اللذة التي يمنّي البنات أنفسهنّ بها .

ثمّ في يوم الخميس التالي عند الساعة الثالثة بعد الظهر حصلت في البيت حركة غير اعتيادية . كانت (اليزا) تتأهب لارتداء ثيابها إذ دخلت عليها البنيّات وهنّ يحملن سلّة مغطّاة فيها اجمل ثياب الآحاد .

قالت كميلة :

ـ سنلبسك ثيابك ، ياعزيزتي (اليزا) . وجئنا بكل ما تحتاجينه .

قالت اليزا :

ـ عندي كلّ ما يلزمني . فشكرا ، يابناتي .

قالت مادلين :

ـ لكنّك لم تشاهدي ماجلبناه لك . خذي ، خذي . أنظري .

وبينما كانت تقول هذه الكلمات رفعت مادلين الحرير الموصلي الذي يغطي السلّة ، فرأت (اليزا) فستانا جميلا من التفتا ترنه بني ، وله ياقة واكمام من نسيج مخرّم (دانتيلاّ) ، وقبّعة من الدانتيلاّ مزيّنة بشرائط ، ودثار أسود من التفتا مزيّن بدوائر مماثلة .

قالت اليزا :

ـ ليست لي كلّ هذه الأشياء . انّها جميلة جدّاً ! لن ارتدي ثوبا بهذه الأناقة . سأبدو مثل السيّدة (فيشيني) .

قالت مرغريت :

ـ لا ، لا ، لن تشبهي أبدا السيّدة (فيشيني) الضخمة .

قالت كميلة :

ـ لم يعد هناك من سيّدة (فيشيني) . يجب أن تقولي الكونتيسة (بلاغوفسكي) .

قالت مادلين :

ـ زهّ ! الكونتيسة (بلاغوفسكي) أو السيّدة (فيشيني) ما همّ ! لِنُلبِس اليزا .

وقبل ان تتمكّن من منعهنّ ، كانت الصغيرات الأربع قد فككن الوزرة وأزرار ثوب (اليزا) الذي كان تنورة في أقلّ من دقيقة .

قالت كميلة :

ـ «انحني ، كي أضع لك الياقة .

قالت مادلين :

ـ اعطني ذراعك ، لأدخل فيها الكمّ .

قالت مرغريت :

ـ مدّي ذراعك الأخرى لكي أدخل فيها الكمّ الآخر .

قالت صوفي :

ـ ها هو الفستان انّه جاهز وهذه هي القبّعة .

ألبست (اليزا) الفستان ، ورُتّب ، وزُرّ . وقادتها البنيّات امام مرآة لوالدتهنّ . فوجدت نفسها جميلة جدّا ولم تتعب من النظر الى نفسها والاعجاب بمنظرها . فشكرتهنّ وقبلتهنّ بحنوّ . ثمّ رافقنها الى حيث كانت السيّدتان (دي فلورفيل) و(دى روسبورغ) لأن اليزا كانت تريد شكرهما أيضا .

فقالت وهي تتوجّه نحو غرفتها :

ـ «الآن ، يابناتي ، سأنزع هذه الملابس الجميلة ، وسأحتفظ بها لأول مناسبة .

قالت كميلة :

ـ لا ، يا اليزا . يجب أن تظلّي طيلة النهار بهذه الثياب .

ردت اليزا :

ـ لماذا ؟

قالت مادلين :

ـ سترين . تعالي معي .

وأمسكت الصغيرات الأربع باليزا وقدنَها الى البهو ، ثم الى بستان الليمون الذي كان قد تحوّل الى صالة مسرح ملأى بالناس . المزارعون وسكان القرى المجاورة في منصة مرتفعة ، والخدم وأهل القرية في الردهة الأرضيّة . قادت البنيّات اليزا وهي مرتبكة الى أماكن مخصصة لهنّ في وسط الصالة وجلسن حولها ! ثمّ رفعت الستارة وبدأ المشهد .

كان موضوع المسرحيّة قصّة عبدة طيّبة . في أثناء مذبحة العبيد البيض في جزيرة (سان دومينيك) ، انقذت الأطفال من أسيادها . وخلّصتهم من الف خطر . ثمّ سافرت معهم على ظهر سفينة عائدة الى

فرنسا . وضعت بين يدي القبطان صندوقا تمكنت من انقاذه كان يخص أسيادها الذين ذبحوا وهـو يحتوي عـلى مبلغ كبـير من المجوهـرات والذهب . واعلنت أنّ هذه الكميّة تخصّ الأولاد .

وقد صفّق لهذه المسرحيّة بجنون . وتضاعف التصفيق عندما رميت باقات الزهور من جميع الجهات على (اليزا) التي لم تكن تعرف كيف تشكر الجميع على دليل اهتمامهم .

بعد المسرحيّة ، انتقل الجميع الى غرفة الطعام حيث كانت الطاولة ملأى بالفطائر ، والجنبـون ، والحلوى ، والمثلجـات والمهلّبية . كـان الجميع جائعين ، فأكلوا حتى التخمة . وبينما كان الجـيران وسكان القصر يشتركون في هذه الوليمـة ، قدّمت في الخـارج لأهالي القـرية المعجنّات واللحوم الباردة ، والفطائر ، وعصير التفاح ، والقهوة .

عندما شبع الجميع عادوا الى بستان الليون حيث نزع كل ما يمكن ان يـزعج الـرقص فصُفّت الكراسي والمقـاعد عـلى الحـائط ، وأضيئت المصابيح والثريات . وعندما دخل الصغار بدأت الأوركسترا المؤلفة من أربعة عازفين معزوفة رقصة (الكدريل) . فرقصتها (اليزا) والصغيرات مع العديد من السيّدات والسادة . وشارك المدعوون الآخرون أيضا في الرقصة . وبعد نصف ساعة كان الجميع يرقصون في بستان الليمون وامام البيت . لم تله البنيّات في حياتهن مثل ما لهون ذلك النهار . وكانت (اليزا) في نشوة ومتـأثّرة بهـذا العيد الـذي اقيم على شرفهـا وكانت مليكته . واستمر الرقص حتى الساعة الحادية عشرة ليلا . وبعد أن أكل الجميع مجـدّدا بضع فطـائر ، وجمبـونا ، وحلـوى ، ومثلجات انصرفوا ، بعضهم سيرا على الاقدام والبعض الآخر في عربات .

ودخلت البنيّـات الى غـرفهنّ مـع (اليـزا) بعـد أن قبلن أميهنّ وشكرنهما .

قالت صوفي :

ـ «يا الهي ! كم أنا أشعر بالحرّ ! قميصي مبلّل !

قالت مرغريت :

ـ وأنا أيضاً ! فستاني مبلّل بالعرق !

وقالت مادلين :

ـ آه ! كم تؤلمني رجلاى !

وقالت كميلة :

ـ لم أعد أقدر على شيء! في أخر رقصة لم تعد ساقاي تستطيعان الحركة .

قالت مرغريت

هل رأيت ، يا كميلة ، ذلك الرجل البدين ، ذا البطن المنفوخ الذي تدحرج وهو يهرول .

كميلة

أجل ! لقد كان مضحكا . كان يقفز ، ويهرول كما لو لم يكن له بطن ضخم ليجرّه معه .

وقالت صوفي :

وذلك النحيل الطويل الذي كان يقفز عاليا جدّا فصدم الثرّيا .

وقالت مادلين :

ـ كان ينقصه أن يلامس النار هذا النحيل المسكين ، اذن لكان اشتعل كعود ثقاب .

وقالت صوفي :

ـ وهل لاحظت تلك الفتاة المدعية التي كانت مقطبة الوجه ومنعزلة في مكانها ؟

وقالت مادلين :

ـ لا لم أشاهدها . ماذا كانت ترتدي ؟

قالت صوفي :

ـ كانت ترتدي فستانا رماديا عليه ورود حمر كبيرة .

قالت مادلين :

ـ أه ! أجل ! أعرف ماذا تقصدين . انّها عاملة فقيرة ، وخجول وليست مدّعية أبدا .

قالت صوفي :

ـ مثلاً إذا كانت هذه غير مدعية ، فـأنا لا اعـرف من يكون مـدعيا والاخرى تلك التي كانت ترتدي فستانا من الحرير الموصلي الابيض المجعّد مع شرائط زرق حائلة معقودة وساحبـة حتى الارض ، أترين كذلك أنها لم تكن متصنعة ؟

قالت كميلة :

اسمعن ! لا ننتقدن كلّ هؤلاء الناس الفقراء الذين ارتدوا ، كـلّ واحد قدرما استطاع وقد تسلّوا وشاركونا بهجتنا .

قالت صوفي ، بمرارة :

ـيا الهي ،كم أنت قاسية ! أليس مسموحا أن نهزأ قليلا من الأشخاص المثيرين للسخرّية ؟

قالت كميلة :

ـ كلا ، ولكن لماذا نعتبر أشخاصا مثيرين للسخرية عندما لايكـونون كذلك ؟

قالت صوفي :

ـ اذا كنت تجدينهم على مايرام ،فليس ذلك سببا لكي اكون مضطرة أن أقول مثلك .

قالت مادلين :

ـصوفي . ستغضبين تماما اذا تابعت على هذه الوتيرة .

قالت صوفي :

ـليس الموضوع موضوع غضب ! أقول فقط انّي أجد كميلة مضجرة قليلا مع طيبتها الدائمة . فهي لاتهزأ من انسان أبدا . ولا ترى مطلقا سخافات الآخرين وحماقاتهم .

قالت مرغريت ، محتدّة :

ـ هذه سعادة بالنسبة اليك !

ردت صوفي بجفاف :

ـ ماذا تقصدين بهذا القول ؟

ـ قالت مرغريت :

ـ اقصد ، يا آنسة أنّه لو كانت كميلة ترى حماقات الآخرين وتسخر منها ، لكانت غالبا ما ترى حماقاتك ، ونسخر جميعنا منك .

اجابت صوفي ، غاضبة :

ـ انا منزعجة قليلا ممّا تقولين . أنت حمقاء كبيرة .

كانت اليزا ، داخلة وقد قالت :

ـ حسنا ! حسنا ! ماذا أسمع ؟ هل نتشاجر هنا ؟

قالت صوفي :

ـ انّ مرغريت تقول لي حماقات .

قالت اليزا :

ـ يبدو لي أنّي وأنا داخلة سمعتك أنت تقولين حماقات لمرغريت .

ردت صوفي مرتبكة :

ـ يعني ... أني كنت أجاوبها فقط ... لكنّها هي التي بدأت .

قالت مرغريت :

ـ هذا صحيح ، يا اليزا . لقد قلت لها انها تقول حماقات . ومعي حقّ لأنها قالت ان كميلة مضجرة .

قالت اليزا :

ـ يا بُنيّاتي ، هل هكذا تنهين نهارا سعيدا جدّا بالتشاجر والتشاتم ؟

خجلت صوفي ومرغريت واحنتا راسيهما . ثم تطلّعت كل واحدة الى الأخرى وقالتا معا :

ـ «عذرا ياصوفي !

ـ عذرا يا مرغريت !

ثمّ تعانقتا . واعتذرت صوفي كذلك من كميلة التي كانت طيّبة جدّا فلم

تحقد عليها . وانهين جميعهنّ نزع ثيابهنّ ، ونمن بعد أن تلون صلاتهنّ مع اليزا التي شكرت أيضاً لهنّ برقّة على عاطفتهنّ كلّها وعلى النهار الذي انقضى .



نزهة على الحمير

قالت مرغريت :

ـ «يا أمّي ، لماذا لانركب أبدا على الحمار ؟ انّ ذلك مسلٍّ .

قالت السيّدة (دي روسبورغ) :

ـ أعترف بأني لم أفكرّ في ذلك .

وقالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ ولا أنا . انّما يمكن التعويض عن هذا النسيان بسهولة . يمكننا الحصول على حماري المزرعة وحماري الطاحونة وحماري معمل الورق وهكذا يصير عندنا ستة حمير .

قالت كميلة :

ـ والى أين نذهب ، يا أمّاه ، على حميرنا الستة ؟

قالت صوفي :

ـ يمكننا الذهاب الى الطاحونة .

قالت مرغريت :

ـ كلاّ ، فجانيت شرّيـرة جدّا . فمنـذ أن سرقت لي دميتي لا احبّ ان اراها . انّها تنظر اليّ بعينين شريرتين تخيفانني .

قالت مادلين :

ـ لنذهب الى البيت الأبيض لرؤية (لوسي) .

قالت صوفي :

ـ هذا ليس بعيدا ! فنحن نذهب الى هناك غالبا سيرا على الأقدام .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ عندي فكرة أظنّها جيّدة . واراهن انكنّ ستفرحن بها .

قالت كميلة :

ـ ما هي هذه الفكرة ، يا أمّاه ؟ قوليها ، أرجوك .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ انّها للحصول على حمار سابع ...

قالت مرغريت :

ـ لكن ، لن يكون مسلّيا الحصول على حمار لايركبه أحد .

قالت السيّدة (دي فلورفيل)

ـ انتظري قليلا . كم أنت لجوجة ! الحمار السابع يحمل الزاد و ... أولا تحزنين ؟

قالت مادلين :

ـ الزاد ؟ لمن يا أمّاه ؟

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

ـ لنا ، لكي نأكله !

قالت مرغريت :

ـ لماذا لا نأكله على طاولة بدلا من أن نأكله على ظهر حمار ؟

انفجر الجميع بالضحك . ففكرة جعلِ ظهر الحمار طاولة طعام بدت لهنّ ظريفة جدّاً ممّا أضحكهنّ جميعا ، ومرغريت قبل الأخريات .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

لن نأكل على ظهر حمار . ولكن الحمار سينقل لنا غداءنا الى غابة الطواحين . سنمدّ الطعام على العشب في مرجة جميلة ضمن الغابة ، ونأكل بين الاشجار .

فصرخت الصغيرات الاربع وهن يصفّقن ويقفزن :

- «رائع رائع ! آه ! يا للفكرة الجيدة ! لنعانق أمّنا كي نشكرها على فكرتها المبتكرة .

فأجابت السيّدة (دي فلورفيل) وهي تتخلّص من أذرع البنيّات اللواتي كنّ يتنافسن على تقبيلها

أنا مغتبطة ، لأني وجدت تماما ما هو مطلوب . والآن سآمر بتحضير غداء من اللحوم الباردة للغد ، وتأمين حميرنا السبعة .

أسرعت الصغيرات الى غرفة (اليزا) ليعلمنها بفرحتهنّ ويطلبن منها مرافقتهنّ .

قالت اليزا وهي تعانقهن

«ياصغيراتي العزيزات ، أشكركنّ لتفكيركنّ بي ودعوتي لمرافقتكنّ . لديّ عمل آخر غير التسلية . اذا كانت أمّاكنّ ليستا بحاجة اليّ ، فانّي أفضّل البقاء في البيت وانهاء أشغالي .

قالت مادلين :

- أيّة أشغال ؟ ليس لديك عمل مستعجل لانجازه !

قالت اليزا :

- عليّ انهاء فساتينكنّ من البوبلين الأزرق : عليّ صنع الأكمام ، والقبّات والتنانير ، والقمصان ، والـ ...

قالت مرغريت :

ـ كفى ، كفى ، بحقّ السماء ! هذا يكفي ! أنت التي ستقومين بكـلّ ذلك ؟

قالت اليزا :

وَمَنْ غيري ؟ أتكونين أنت مصادفة ؟

قالت كميلة :

ـ بلى ، طبعا . سنساعدك كلّنا طيلة يومين .

ردت اليزا ضاحكة :

ـ شكرا جزيلا ، يا عزيزاتي ! سيكون لي عندئذ عامـلات ممتازات ، يفسدن عليّ عملي بدلا من تعجيله ! ابدا ، أبـدا . لكلّ عملـه . أنتنّ تسلّـين ، واركضن ، واقفزن ، وكلن عـلى العشب . وأنـا واجبي أن أشتغل . فضلاً عن ذلـك ، أنا متقـدّمة في السنّ لكي انظ واركض في الأحراج .

قالت صوفي :

ـ ومع ذلك رقصت جيّدا يوم حفلة الرقص .

قالت اليزا :

ـ أفّ ! هذا شيء آخر . كان ذلك للاعتناء بساقيّ . لكن من دون مزاح ، يا بنيّاتي العزيزات ، لاتجبرنني على الانضمام الى حفلة الغد ، فسأكون مكدّرة . الخادمة هي خادمة وليست سيّدة تعيش من ايراداتها . لدي عملي ويجب أن أنهض به .

جدّية اليزا وضعت حَدّا لالحاح البنيات . فقبّلنها وتركنها كي يذهبن ويخبرن أمّيهنّ عن رفض اليزا .

قالت السيدة (دي فلورفيل) :

ـ ياصغيراتي العزيزات لقد أعطت اليزا برفضها مرافقتنا غدا برهانا على كياستها ، وادراكها السليم ، ونبلها . انّ اللباقة التي تتصرف بها في جميع أعمالها تجعلها أفضـل من بقيّة الخـدم الذين تعـرفونهم .

والحقيقة انّها تقوم بأعمال كثيرة ، فاذا كانت ستضيّع في اللهو القليل من الوقت الذي يتبقّى لها بعد أن تنجز خدمتها لكنّ ، ستكنّ انتنّ أوّل من يعاني من ذلك الامر .

توقّفت البنيّات عن الالحاح وأجّلن افكارهنّ الى الغد .

قالت صوفي بعد ساعتين من التثاؤب والتبرّم :

ـ «يا الهي !كم طال هذا الصباح» !

فأجابتها مادلين :

ـ سنتغدّى بعد نصف ساعة .

قالت صوفي :

ـ وعندنا أيضا السهرة بطولها لقضائها !متى يجيء الغد اذن ؟

قالت مرغريت بسخرية :

ـ عندما ينتهي هذا اليوم .

ردت صوفي مغتاظة :

ـ اعرف جيّداً أن اليوم لا يصير غدا ، وأنّ غدا ليس اليوم ، وأنّ ... وأنّ ...

قالت مرغريت ضاحكة :

ـ أنّ غداً هو غد وأنّ السيّد (لاباليس) لم يمت .

قالت صوفي :

انّ ما تقولينه لسخافة !تعتقدين أنّك أنبه من غيرك ...

قالت مرغريت بحدّة :

... وأنّي لست أنبه منك . هذا ما تقصدين قوله ؟

قالت صوفي غاضبة :

ـ لا ، يا آنسة . ليس هذا ما أريد قوله : لكن ، بالحقيقة ، تجبرينني دائما أن أتكلّم بحماقة ...

قالت مرغريت :

ـ هذا لأني أتركك تتكلّمين .

قالت كميلة لائمة :

ـ مرغريت ! مرغريت !

قالت مرغريت وهي تعانقها :

ـ عزيزتي كميلة . اعذريني . لقد أخطأت . لكنّ صوفي أحيانا ... تكون جدّ ... لا أعرف كيف أعبّر .

قالت صوفي ، غاضبة .

اسمعي ، قولي حالا : (جدّ حمقاء) ! لا تنزعجي ، أرجوك .

ـ لكن ، كلّا ياصوفي . لا أريد أن اقول (حمقاء) . أنت لست حمقاء . لكنّك لجوجة قليلا .

ـ وماذا فعلت أو قلت بكثير من التلّهف ؟

ـ أنت منذ ساعتين تتثاءبين ، وتتململين ، وتتضجّـرين . تنظرين الى الساعة ، وتكرّرين باستمرار أنّ النهار لاينقضي أبدا ...

ـ حسنا ، أين الضرر ؟ انا أقول عاليا ما تفكرّين به في صمت .

ـ أبدا . نحن لانفكرّ في شيء أبدا ! اليس كذلك يا كميلة ؟ اليس كذلك يا مادلين ؟

كميلة مرتبكة قليلا :

ـ نحن الأكبر سنّا نعرف أفضل كيف ننتظر .

مرغريت بحدة :

ـ وأنا الأصغر سنّا ، ألست أنتظر ؟

صوفي ، بتحيّة انحناء ساخرة .

ـ أوّاه ! أنت ، نعرف أنّك كاملة ، وأنّك أنبه من الجميع ، وأفضل من الجميع !

مرغريت وهي تعيد لها تحيّتها

ـ وانّي لا أشبهك اذن .

كانت السيّدة (دي روسبورغ) قد سمعت المحادثة كلّها من طرف البهو حيث كانت منهمكة في الرسم . فلم تتدخّل لأنها كانت تريد

تعويدهن أن يتعرّفن بأنفسهنّ الى أخطائهنّ .لكن ، عندما وصل غضب الصديقتين الى حدّ عال ارتأت أنّه من الضروري أن تتدخّل .

قالت السيّدة (دي روسبورغ) :

ـ «مرغريت . انّك تتعوّدين عادة سيّئة بالسخرية وبرمي الكلام القاسي الذي يجرح ويثير الغضب . لقد قلت لصوفي أشياء كثيرة جارحة أغضبتها ، لانّها لم تعرف كيف تكبت مثلك تلهّفها : هذا خطأ ، وأنا منزعجة منه . كنت أعتقد انّ قلب صغيرتي مرغريت اكثر عطفا وأنّها أكرم نفسا .

مرغريت ، راكضة لترتمي بين ذراعي والدتها .

ـ عزيزتي ، يا أمّي الطيبة ، سامحي صغيرتك مرغريت . لاتتكدّرى . انّي أشعر بعدالة ملامتك وأرجو ألاّ استوجبها في المستقبل . (متوجّهة الى صوفي) سامحيني ياصوفي . وكوني متأكدة أنّي لن أعيدها أبدا ، واذا حدث مرة وانزلقت منّي كلمة خاطئة أو ساخرة ، ذكـرّيني بأني ازعج أمّي . وهذه الفكرة توقفني بكلّ تأكيد .

هدأت صوفي بسبب اللوم الموّجه الى مرغريت ورضوخ هذه الأخيرة ، فعانقتها من كلّ قلبها . ثمّ أعلن موعد العشاء ، واثني على صوفي في أثنـائه . وانقضت السهـرة بسرور . كبتت صوفي تلّهفهـا واشتركت بحماسة في المشاريع المعدة للغد . لم يبد الليل طويلا لها ، لأنها نامت نوما عميقا حتى الساعة الثامنة ، الوقت الذي جاءت فيـه خادمتهـا لايقاظها . عندما ارتدت ثيابها أسرعت الى النافذة وشاهدت بسعادة سبعة حمير مسرجة ومصفوفة أمام البيت . نزلت بسرعة وفحصتهـا جميعها . وقالت .

ـ «هذا صغير جدّا . وذاك بشع جدّا مع شعره المنتصب . هذا الرمادي الكبير يبدو كسولا . وذاك الرمادي الفاتح هو الافضل والأجمل . انّه الحمار الذي أحتفظ به لنفسي . وحتى لا يأخذه غيرى سأربط قبّعتي وشالي ببرذعته . سيرغبن كلّهن في الحصـول عليه ولكنّي لن اتنـازل

عنه .»

عندما كانت تفكر فقط في نفسها ، اختارت هذا الحمار الذي اعتقدت أنّه أفضل من الحمير الأخرى . أمّا (نيكاز) وابنه اللذان كان يتوجّب عليهما مرافقة الركب وضعا الزاد في سلّتين كبيرتين وربطاهما في جلال الحمار الأسود .

وصلت السيّدتان (دي فلورفيل) و(دي روسبورغ) والبنات . كانت الساعة التاسعة . كنّ تناولن الفطور وكان كلّ شيء حاضراً للانطلاق .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

اخترن حميركنّ ، يابنات . ولنبدأ بالأصغر . مرغريت أيّها تريدين ؟

ـ كلّها سيّان عندي ، يا أمّي العزيزة . الذي تختارينه أنت . كلّها جيّدة .

ـ حسنا ، بما أنّك تتركين لي أن أختار فاني أنصحك يامرغريت بأخذ أحد الحمارين الصغيرين . فالآخر سيكون لصوفي . إنّهما حماران ممتازان .

قالت صوفي ، بعجلة :

سبق أن اخترت واحداً ، يا سيّدتي : انّه الرماديّ الفاتح . وقد ربطت في بردعته قبّعتي وشالي .

قالت السيّدة (دي فلورفيل) :

كم أنت مستعجلة في اختيار الذي تعتقدين أنّه الأفضل ، ياصوفي ! هذا ليس مستحبّا تجاه صديقاتك ولا مهذّبا تجاه السيّدة (دي روسبورغ) . لكن ، بما أنّك قد اخترت فستحتفظين بحمارك وقد تندمين على ذلك .

ارتبكت صوفي . أحسّت أنّها استحقّت ملامة السيّدة (دي فلورفيل) . وكانت تفضل ان تضحّي بالكثير من دون أن تظهر أنانيّتها التي كانت ما تخلّصت منها بعد . لم تقل كميلة ومادلين شيئا وركبتا على الحمارين اللذين اختيرا لهما . رمقت مرغريت صوفي بنظرة هازئة ،

وكبتت سخرية كانت ستصدر عن شفتيها ، وقفزت على ظهر حمارها الصغير .

ومشى الـركب : السيّدتـان (دي فلورفيـل) و(دي روسبـور غ) في الطليعة ، تتبعهما كميلة فمادلين فمرغريت فصوفي . أمّا (نيكاز) وابنه فسيسيران مع الحمار المحمّل بالأزودة .

بدأن السير ببطء ، ثم ضربن الحمير بضع ضربات بالسوط جعلتها تخبّ . وكانتكلّها تخبّ ما عدا حمار صوفي الذي أبى أن يفارق رفيقه حمار الأزودة . سمعت صديقاتها يضحكن . وشاهدتهنّ يبتعدن خببا وعدوا . ورغم جهودها كلّها وجهود (نيكاز) تشبثّ حمارها في السير ببطء وفي الصفّ ذاته كصديقه . بعد قليل اختفت الحمير الثلاثة الأخرى عن نظرها ، وبقيت وحدها فراحت تبكي غضبا وغمّا . تأثّـر ابن (نيكاز) لبكائها ، فقدّم لها تعزيات زادت تنغيصها :

«لا يجـوز البكاء من أجـل شيء بسيط ، يـا آنستي . أكبـر منـك ويخطئون أيضاً . بدا لك جحشـك أفضل من الحمـير الاخرى وليس غريبا ألاّ تكوني تعرفين في الحمير ، مادمت أنّك لم تهتمّي طيلة حياتك بالجحاش . فهو يبدو ، عندما نراه هكذا ، كجحش ممتاز . أنا الذي أعرفه في الاستخدام كنت قلت لك انّه تنبل وعنيد . وهو لايتصرف الاّ كما يشاء ! لكن لايجب ان تحزني . في العودة ستعطينه الى الآنسة كميلة الطيّبة التي ستأخذه على كـل حال وتعطيـك حمارهـا الذي هـو جيد تماما» .

صـوفي لم تجب . لكنّها خجلت من أنهـا لفتت النظر بـأنـانيّتهـا واستوجبت مثل هذه الكلمات المعزّية . وامضت كـل الطريق ببطء . وعنـدما وصلت الى المحطـة المعينّة ، رأت جميـع الحمير مـربـوطـة بالأشجار . وصديقاتها لم يكنّ هناك . كنّ يـرغبن في انتظارهـا لكنّ السيّدة (دي فلورفيل) التي رغبت في اعطاء درس لصـوفي لم تسمح بذلك . فأخذتهنّ مع السيّدة (دي روسبورغ) الى الغابـة . قمن فيها

بنزهة رائعة وقطفن كثيرا من الفراولة والبندق . وجمعن باقات من الأزهار البرّية ، وعندما رجعن الى المحطّة كانت وجوههن الورديّة والمشرقة ومرحهنّ الصاخب تناقض سحنة صوفي الكئيبة والحزينة .
وجدنها جالسة عند جذع شجرة ، عيناها منتفختان وتبدو خجلة .
فقالت لها كميلة بنبرة وديّة وهي تعانقها :
ـ «ألم يرغب حمارك في العدو ، ياعزيزتي صوفي المسكينة ؟
ـلقد عوقبت ، لأنانيتّي الحمقاء ، يا حبيبتي كميلة . وقد وضعت كذلك مشروعا لاطالة قصاصي في اتخاذ الحمار ذاته للعودة .
فصرخت مادلين :
ـ أوّاه ! من أجل هذا ، كلاّ . لن تحصلي على هذا الحمار ! انّه كسول جدّا .
فأجابت صوفي بغبطة :
ـمادمت أنا التي اخترته ، سوف أتحمّل الازعاج حتى النهاية .
واستعادت صوفي غبطتها منتعشة بهذا القرار الكريم ، وانضمّت الى صديقاتها لتفريغ الزاد وبسطه على العشب وتحضير الغداء . فالنزهة كانت قد حرّكت القابليات . وجلسن الى المائدة فقعدن على الأرض . وبدأن أولا بقطعة كبيرة من لحم الأرنب المحفوظ ، ثمّ أكلن قطعة لحم مطهو بالكمر ، ثمّ بطاطا بالملح ، وجنبونا ، وسرطان نهر ، وفطيرة حلوى بالخوخ ، وأخيرا جبنا وفواكه .
قالت مرغريت :
ـ «ما أطيب غداءنا ! هذه السرطانات ممتازة .
قالت صوفي :
ـوما كان أطيب اللحم المحفوظ !
قالت كميلة :
ـوالفطيرة لذيذة !
قالت مادلين :

ـ كان جوعي رهيبا .

قالت السيِّدة (دي روسبورغ) :

ـ أترغبين أيضا في قليل من النبيذ لتستطيعي بلع طعامك ؟

قالت مرغريت :

ـ بطيبة خاطر ، يا أمّي . نخب صحّتك !

طلبت البنيات جميعا نبيذا وشربن على صحّة الأمّين . وعندما انتهت وجبة الطعام ، قمن بنزهة جديدة في الغابة وهذه المرّة برفقة صوفي .

(نيكاز) وابنه تغدّيا بدورهما في اثناء هذه النزهة ورتّبا بقايا الطعام والصحون ووضعاها في السلّتين .

قال السيِّد (نيكاز) الصغير :

ـ يا أبي . لايجوز أن تأخذ الآنسة كميلة جحش صوفي التنبل . لنضع على ظهره خرج الأزودة ولنضع البردعة على الجحش الأسود . فهو ليس سيئا كما يبدو عليه . أنا أعرفه ، حمار جيِّد .

ـ افعل ، يا ولدي ، افعل كما تريد .

عندما رجعت البنيّات والأمان وجدن الحمير مسرجة وحاضرة للانطلاق . توجّهت صوفي صوب حمارها الرمادي الفاتح وفوجئت بوجود خرج الأزودة على ظهره . فشرح لها (نيكاز) أنّ ابنة لم يرغب في أن تبقى الانسة كميلة في المؤخرة .

ـ لكنه كان حمارى وليس حمار كميلة .

ـ عذرا ، يا أنسة . الآنسة . كميلة طلبت من ابني أن تأخذ حمارك في العودة . لكن لاتخافي ، يا أنسة ، فالجحش الأسود ليس شريرا . انّه يبدو هكذا . يجب أن لاتخافي منه . اسمعي . سوف يمشي فيك بسرعة » .

لم تعترض صوفي : ففي قرارة نفسها كانت تتشبّه بكميلة . وكانت تقرّ بأنّ مستواها أدنى . فطلبت من الله تعالى أن يجعلها صالحة مثل صديقاتها . ومجرد تفكيرها بذلك كان يفيدها . أرادت كميلة أن تعطيها

حمارها فلم تقبل صوفي وقفزت على ظهـر الحمار الأسـود . وانطلقن جميعا خببا ، ثمّ عدوا .

وكان الاياب كذلك أجمل من الذهاب . لأن صوفي لم تبق في المؤخرة . ووصلن في موعد العشاء . كانت البنيّات مسرورات بنهارهن فشكـرن ألف مرّة أمّيهن للّذة التي وفرتاها لهنّ .

فتحت السيّدة (دي فلورفيل) رسالة كانت قـد تلقتها وقـالت يا بنيتيّ . انبئكما بخبر جديد . انّ خـالتكما (دي روجيس) وزوجهـا وخالتكما (دي ترابي) وزوجها كتبـوا اليّ يعلمونني انّهم سيقضـون العطلة عندنا مع أولادهم (ليون ـ جان وجاك) . سيكونون هنا بعد غد

فصرخت البنيّات جميعا :

ـ يا للسعادة ! ما أجمل العطلة التي سنقضيها !

وجاءت العطلة ، وجاء أولاد الخالتين بعد أيّام قليلة . ودامت سعادة الأولاد مدة شهرين . حصلت في غضونها أحداث ممتعة لايستطيع هذا الكتاب أن يحتوي أخبارها . لكني أمل أن أتمكن من سردها لكم ذات يوم .

شركة المنصور للطباعة المحدودة - تلفون ٤١٦٣١٥٣



سلسلة مكتبتنا
دار ثقافة الأطفال
وزارة الثقافة والاعلام

البنيّات النموذجيّات

البنيّتان النموذجيّتانِ كميلة ومادلين دي فلورفيل تستقبلان بسخاء صوفي فيشيني التعيسة ، ذات الطبع الغضوب والأنانيّ والتي يصعب عليها تصليح عيوبها .

وتتوالى أحداث عديدة ، بعضها مُفجع والبعض الآخر مضحك : حصان جامح ، ازهار تنبت بأعجوبة ، عضّة كلب مسعور ، استحمام لاإراديّ ، سرقة ثمار ودمية ، تيه في الغابة ، مَرض ، غرق ، أعياد في القصر ...

فهل تفرح كميلة ومادلين لرؤية صوفي تتحسّن شيئاً فشيئاً على مثالهما ؟



السعر ١,٢٥٠ دينار

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٣٤٥ لسنة ١٩٨٩

شركة المنصور للطباعة المحدودة - تلفون ٤١٦٢١٥٢